مجمع الفقه الإسلامي الدولي

International Islamic Fiqh Academy
Académie Internationale du Fiqh Islamique

منظمة التعاون الإسلامي

Organization of Islamic Cooperation
l'Organisation de la Coopération Islamique

الموضوع الثاني عشر

دور آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي في

دعم العمل الإنساني

في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث
ودور النهوض بثقافة التطوع لتعزيز العمل الإسلامي المشترك

الدورة الخامسة والعشرون
لمؤتمر مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي

من ٢٩ رجب إلى ٣ شعبان ١٤٤٤هـ
من ٢٠ فبراير إلى ٢٣ فبراير ٢٠٢٣م

منتدى البركة للاقتصاد الاسلامي
ALBARAKA FORUM

الشريك الاستراتيجي

دور آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي في دعم العمل الإنساني في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث ودور النهوض بثقافة التطوع لتعزيز العمل الإسلامي المشترك

١٢

مجمع الفقه الإسلامي الدولي

International Islamic Fiqh Academy
Académie Internationale du Fiqh Islamique

ص.ب 13719 جدة 21414
المملكة العربية السعودية
هاتف: 6900346 - 6900347 - 2575662 - 6980518 (+96612)
فاكس: 2575661 (+96612)

@iifa.aifi
@iifa_aifi
www.iifa-aifi.org
info@iifa-aifi.org

المَوْضُوعُ الثَّانِي عَشَرَ

دَوْرُ آلِيَّاتِ التَّمْوِيلِ الاجْتِمَاعِيِّ الإِسْلَامِيِّ

فِي

دَعْمِ العَمَلِ الإِنْسَانِيِّ

المَوْضُوعُ الثَّانِي عَشَرَ

دَوْرُ آلِيَّاتِ التَّمْوِيلِ الاجْتِمَاعِيِّ الإِسْلَامِيِّ

فِي

دَعْمِ العَمَلِ الإِنْسَانِيِّ

فِي مَنَاطِقِ الصِّرَاعَاتِ وَالنِّزَاعَاتِ وَالكَوَارِثِ

وَدَوْرُ النُّهُوضِ بِثَقَافَةِ التَّطَوُّعِ لِتَعْزِيزِ العَمَلِ الإِسْلَامِيِّ المُشْتَرَكِ

الدَّوْرَةُ الخَامِسَةُ وَالعِشْرُونَ

لِمُؤْتَمَرِ مَجْلِسِ مَجْمَعِ الفِقْهِ الإِسْلَامِيِّ الدَّوْلِيِّ

مِنْ ٢٩ رَجَب إِلَى ٣ شَعْبَان ١٤٤٤هـ

مِنْ ٢٠ فِبْرَايِر إِلَى ٢٣ فِبْرَايِر ٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الأبحاث

بحث فضيلة الأستاذ الدكتور كمال بوزيدي ٧
بحث فضيلة الدكتورة ميادة بنت رشدي عكاوي ٦١
بحث فضيلة الدكتور محمد خليفة صدّيق ٨٧
بحث فضيلة الأستاذ الدكتور محمد محمود الجمّال ١٣٥
بحث فضيلة الدكتور محمد الأمين سيلا ١٦٩
بحث فضيلة الدكتور مطلق جاسر مطلق الجاسر ٢٠١
بحث فضيلة الدكتور عبد القاهر محمد أحمد قمر ٢٣٧

بحث فضيلة الأستاذ الدكتور كمال بوزيدي

عضو المجمع، أستاذ الشريعة

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المقدمة

الحمد لله الذي وسِعت رحمته كل شيء، وأشهد ألا إله إلا الله الذي أمر بالتعاون، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله القائل: «في كُلِّ كبِدٍ رطبةٍ أجرٌ» [صحيح البخاري]، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد،

فإن العمل التطوعي الاجتماعي والإنساني هو من مقاصد الإسلام الكبرى التي وُجد الإنسان من أجلها، وخُلق لعمارة الأرض لا لخرابها؛ لذلك أولاه الإسلام أهمية كبرى، فجعل كلَّ عمل يتقرب فيه الإنسان إلى الله وفيه خدمةٌ ومنفعةٌ للإنسانية هو من أعلى وأرقى العبادات، فلذلك نجد نصوصًا كثيرة في السنة النبوية تكافئ على قليل من العمل، لكن مقابل هذا العمل محتوى إنساني كبير، فرجل ـ مثلًا ـ يدخل الجنة لأنه أزال أذى عن الطريق، وامرأةٌ تسقي كلبًا تدخل بسببه الجنة، واليوم أن توفر قارورة أكسجين لمرضى (كورونا) الموجودين في الرعاية المركزة هو من أفضل الأعمال؛ فهذه الأعمال تمثل قمة الإنسانية، والعمل الإنساني بهذا المنظور له أبواب واسعة تساعد الإنسان على أن يصبح من أصحاب المنازل العليا في الجنة.

وعليه، فالعمل التطوعي الاجتماعي والإنساني دوافعه الأخوة، والتراحم، والمحبة، والوفاء، واستزادةٌ لفضل الرحمن الرحيم الذي لا يضيع أجر من أحسن عملًا، قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١]، وإقراض الله تعالى يعبر عن الإحسان لعباده الفقراء، الذين مسّتهم البأساء والضراء، ونحوهم من ذوي الحاجات، والإحسان إلى هؤلاء بمساعدتهم.

وتنطلق هذه المُبادرة من فرد من أفراد المجتمع لتصبح مجموعة من الأفراد الذين يساهمون في النهوض بالقضايا التطوعية الإنسانية ورفع مكانتها، للنهوض بالمجتمعات وإغاثتها والوقوف بجانبها في مآسيها ومعاناتها.

ويدخل العمل التطوعي الاجتماعي والإنساني ضمن العادات والتقاليد الراقية التي تُعرف بها المجتمعات، وتشجعها كافة الأديان وتباركها بصفتها قمة في الأخلاق.

من أجل هذا كله أحببت أن أشارك في هذا الملتقى المبارك الذي أحسن القائمون عليه الاختيار في هذا الظرف المناسب جدًّا للموضوع. وقد اخترت أن يكون بعنوان: «العمل التطوعي الاجتماعي الإنساني في ظل تعاليم الإسلام»، وتناولت فيه النقاط التالية:

النقطة الأولى: التعريف بالعمل التطوعي الاجتماعي الإنساني.

النقطة الثانية: مكانة العمل الاجتماعي الإنساني في التعاليم الإسلامية.

النقطة الثالثة: دور العمل التطوعي الاجتماعي الإنساني في استقرار المجتمعات.

النقطة الرابعة: الحاجة إلى تمويل ودعم العمل الاجتماعي الإنساني.

النقطة الخامسة: أهمية إبراز القيم الاجتماعية والإنسانية في العمل الاجتماعي بين أفراد المجتمع.

النقطة السادسة: بيان دور المنظمات والهيئات الناشطة في مجال العمل الإنساني وتعزيزها ماديًّا ومعنويًّا.

النقطة السابعة: بعض الاقتراحات لترسيخ ثقافة العمل التطوعي الاجتماعي الإنساني.

فاللهَ أسألُ التيسير والتوفيق، آمين.

النقطة الأولى: التعريف بالعمل التطوعي الاجتماعي الإنساني

أولًا: تعريف التطوع لغةً واصطلاحًا:

أ ـ المعنى اللغوي للتطوع:

وردت كلمة (تطوع) في معاجم اللغة العربية بعدة معانٍ، من أشهرها:

١ ـ التنفُّل: جاء في (المعجم الوسيط): «هو التقرب إلى الله تعالى بما ليس بفرض من العبادات؛ فيقال: تنفَّلَ: لمَن أدّى العبادة طائعًا مختارًا دون أن تكون فرضًا عليه»[١]، والتنفل والتطوع بمعنًى واحد؛ وجاء في (القاموس المحيط): «كلُّ مُتنفِّلِ خيرٍ متطوعٌ»[٢]، يُقال: صلّى نافلة، وصام تطوّعًا.

٢ ـ التبرُّع: ورد في (الصحاح) للجوهري: «يُقال: تطوّع فلانٌ بالشيء إذا تبرّع به»[٣]، ويُستعمل ذلك غالبًا مع التطوع الاجتماعي.

وفي (لسان العرب) هو: «ما يتبرع به الفرد من ذات نفسه بما لا يلزمه فرضه، ويقال: تطوع بالشيء أي تبرع به وبذله دون مقابل».[٤]

---

(١) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ١/ ٥٧٠.

(٢) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص٩٦٢، مادة: طاع.

(٣) انظر: القاموس المحيط، ص٩٦٢، مادة: طاع.

(٤) انظر: ابن منظور: لسان العرب، دار بيروت للطباعة، بيروت، ١٩٥٦ ص٢٤٣.

٣ـ الانقياد والخضوع: «يُقال: انطاع لك فلان، أو فلانٌ طَوْعُ يديك، أو هو طَوْعُ أمرك، إذا انقاد لك وخضَع»[١].

٤ـ الموافقة: جاء في (العين) للفراهيدي: «فالمطاوعة: الموافقة، ويقال لمن وافق غيره: طاوعه»[٢].

٥ـ تكلُّف الطاعة: جاء في (العين) للفراهيدي: «يُقال: تطوّع: أي تكلَّف الطاعة»[٣].

٦ـ اللّيونة: جاء في (المعجم الوسيط): «يُقال: طاع وأطاع: لان وانقاد، وتطوّع، أي: لان»[٤].

٧ـ الطَّوْع: الذي هو نقيض الكَره، جاء في (العين) للفراهيدي، يقال: «لتفعلن هذا الأمر طوعًا أو كرهًا، يعني طائعًا أو كارهًا»[٥].

٨ـ الطاعة: التي هي ضد المعصية، جاء في (العين) للفراهيدي، يقال: «إذا مضى في أمرك فقد أطاعك»[٦]، والطاعة اسم لـ(أطاعَ)، وفيها معنى الانقياد كذلك.

٩ـ الاستطاعة: بمعنى إطاقة فعل الشيء، جاء في (العين) للفراهيدي: «يقال: تطاوَعْ لهذا الأمر حتى تستطيعه، وتطوّعْ له، أي: تكلف استطاعته، يعني: زاوله حتى يستطيعه»[٧].

وتدور هذه المعاني اللغوية حول ما تبرع به الإنسان من ذات نفسه كجهد أو خِدْمات صحية واجتماعية ونفسية وإدارية وغيرها من غير أن يُفرض عليه شيء منها.

ب: المعنى الاصطلاحي للتطوع:

لقد عرّف العلماء السابقون التطوع بتعريفات متعددة، ومن هذه التعريفات:

١ـ تعريف الخليل: «التطوع: ما تبرعت به مما لا يلزمك فرضه».[٨]

٢ـ تعريف الجرجاني: «التطوع اسم لما شُرع زيادةً على الفرض والواجبات».[٩]

---

(١) انظر: العين، الفراهيدي ٣/ ٦٦، الصحاح للجوهري ٣/ ١٢٥٦، تاج العروس، الزبيدي، ١٦/ ٤٦٢.
(٢) انظر: العين، الفراهيدي ٣/ ٦٦، الصحاح للجوهري ٣/ ١٢٥٦.
(٣) انظر: العين، الفراهيدي، ٣/ ٦٥، الصحاح للجوهري ٣/ ١٢٥٥.
(٤) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ١/ ٥٧٠.
(٥) انظر: العين، الفراهيدي، ٣/ ٦٥.
(٦) انظر: العين، الفراهيدي ٣/ ٦٦.
(٧) انظر: العين، الفراهيدي، ٣/ ٦٥، الصحاح للجوهري ٣/ ١٢٥٥.
(٨) انظر: العين، الفراهيدي ٣/ ٦٥، تاج العروس، الزبيدي ١٦/ ٤٦٦.
(٩) انظر: التعريفات، الجرجاني، ص٥٥.

٣ـ تعريف المناوي: «هو التبرع بما لا يلزم كالنفل».[١]

٤ـ تعريف عوايشية: «هو الجهد الذي يقدمه الإنسان طواعية لمجتمعه بدافع من ذاته بلا مقابل للإسهام في تحمل مسؤوليته في خدمة مجتمعه»[٢].

٥ـ تعريف حمدون الصواف: «ولكلمة التطوع معان متعددة فهي تدل على الجهد الإضافي خارج حدود الواجب والمسؤولية، وهي كذلك رد فعل تلقائي لمشاركة الآخرين دون طلب منهم، وهذه المشاركة قد تكون بالجهد والوقت والمال في أوقات الشدة وعند الكوارث الطبيعية والاجتماعية، كما يُعرّف على أنه عمل غير ربحي لا يُقدم نظير أجر معلوم، بل يقوم به الأفراد لمساعدة غيرهم بشكل إرادي ودون انتظار مقابل مادي»[٣].

٦ـ تعريف الشربيني: «التطوع اصطلاحًا: التقرُّبُ إلى اللهِ تعالى بما ليس بفرضٍ من العباداتِ»[٤].

ومن خلال هذه التعريفات نرى أنها تشمل نوعي التطوع (التعبُّدي والاجتماعي).

ثانيًا: تعريف العمل التطوعي:

تعريف العمل لغةً واصطلاحًا

تعريف العمل لغة

العمل: إن كلمة العمل مشتقة من (عمِل) وهو من باب طرِب.[٥] قال ابن فارس: «العين والميم واللام أصل واحد صحيح، وهو عام في كل فعل يفعل».[٦] وقيل العمل: المِهنة والفعل[٧]. أما الراغب الأصفهاني فقد اعتبر أن العمل أخص من الفعل حيث يقول: «فهو أي ـ العمل ـ أخص من الفعل؛ لأن الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد، وقد ينسب إلى الجمادات، والعمل قلّما ينسب إلى ذلك، ولم يستعمل العمل في الحيوانات إلا في قولهم: البقر العواملُ».[٨] وتقول العرب:

---

(١) انظر: التوقيف، المناوي، ص٣٥.

(٢) انظر: عوايشية نصر الدين: الحركة الجمعوية بين الفعل الثقافي والخدمة الاجتماعية، دراسة أنثروبولوجية لجمعية الظهرة الثقافية بمازونة، رسالة ماجستير، جامعة وهران ٢، كلية العلوم الاجتماعية، ٢٠١٥- ٢٠١٦ ص٧٣.

(٣) انظر: محفوظ حمدون الصواف وآخرون: استثمار الموارد البشرية للشركات الصناعية في العمل التطوعي في حالة الكوارث ـ أنموذج مقترح باعتماد أسلوب حلقات الجودة، مجلة تنمية الرافدين، العدد ١٠٦، مجلد ٣٤، ٢٠١٢. ص٧.

(٤) انظر: مغني المحتاج للشربيني، ١/ ٤٤٥.

(٥) انظر: مختار الصحاح، مادة (ع م ل)، ج١، ص٢١٨.

(٦) انظر: معجم مقاييس اللغة، مادة (ع م ل)، ج٤، ص١٤٥.

(٧) انظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مادة (ع م ل)، ص٦١٦.

(٨) انظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص٥٨٦.

الرجل يعتمل لنفسه، ويعمَل لقوم، ويستعمل غيره، ويُعمِل رأيه أو كلامه أو رمحه، وأعمل فلان ذهنه في كذا، إذا دبّره بفهمه[١].

ونستخلص من هذه المعاني اللغوية التي سبقت أن مادة «عمل» تأتي لمعانٍ تدور حول: فعل الشيء بقصد، سواء قام به الإنسان نفسه، أو طلبه من غيره، وسواء أكان بإعمال الجوارح أو الذهن أو بالآلة.

تعريف العمل اصطلاحا:

هو: «كل مجهود بدني أو ذهني مقصود ومنظم يبذله الإنسان؛ لإيجاد منفعة مقبولة شرعًا أو زيادتها، تهدف إلى تحقيق عمارة الأرض التي استُخلف فيها والاستفادة مما سخره الله تعالى؛ لينفع نفسه وبني جنسه في تحقيق حاجاته وإشباعها»[٢].

ـ تعريف العمل التطوعي:

يعرِّف حسن عالي العمل التطوعي بأنه عمل غير ربحي لا يقدم نظير أجر معلوم، وهو عمل غير وظيفي مهني يقوم به الأفراد من أجل مساعدة وتنمية مستوى معيشة الآخرين من جيرانهم أو المجتمعات البشرية بصفة مطلقة[٣].

وعند هناء حافظ بدوي يُعرّف العمل التطوعي بأنه ذلك الجهد الذي يبذله أي إنسان بدون مقابل لمجتمعه وبدافع منه؛ للإسهام في تحمل مسؤولية المؤسسات الاجتماعية التي تعمل على تقديم الرفاهية الإنسانية على أساس الفرص التي تتهيأ لمشاركة المواطن.[٤]

ويعرّفه مدحت أبو النصر بأنه: نشاط اجتماعي يقوم به الأفراد بشكل فردي أو جماعي من خلال إحدى الجمعيات أو المؤسسات دون انتظار عائد، وذلك بهدف إشباع حاجات وحل مشكلات المجتمع والمساهمة في تدعيم مسيرة التنمية.[٥]

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (عمل)، ج٤، ص١٤٥.

(٢) انظر: مدخل للفكر الاقتصادي في الإسلام، سعيد مرطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٦٥هـ ٢٠٠٤م، ص٨١.

(٣) انظر: حسن عالي: الأعمال التطوعية في الإسلام ـ العمل الخيري المؤسسي ـ الملتقى الوطني الثاني، جمعية جيل صناع الحياة، جامعة سعد دحلب، البليدة، مايو ٢٠١٠.

(٤) انظر: هناء حافظ بدوي: أجهزة تنظيم المجتمع في الخدمة الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٤. ص١٥١.

(٥) انظر: مدحت أبو النصر: إدارة الجمعيات الأهلية في مجال رعاية وتأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة، ط١، مجموعة النيل العربية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص٤٥

وهو أيضًا: مجموع المساعدات المادية والمعنوية التي تقدمها مؤسسات أو هيئات أو حكومات أو أفراد على حد سواء لخدمة الأشخاص والهيئات التي هي بحاجة لهذه الخدمة من خلال التبرع والدعم، كما أنه لا يعتمد على تحقيق أي مردود مادي أو أرباح، بل يعتمد على تقديم مجموعة من الخِدْمات الإنسانية للأفراد المحتاجين لها.(١)

ويُعرّف أيضًا بأنه: «قيام مجموعة من الأفراد، والجمعيات، والمؤسسات بتقديم الدعم والمساعدة للأشخاص الذين لديهم احتياجات مختلفة، طعام، دواء، مأوى وغيرها، والهدف من هذا العمل هو نشر الخير وتحقيق التكافل والتضامن الاجتماعي بين الأشخاص مما يؤدي إلى المحافظة على القيم الدينية والأخلاق الاجتماعية».(٢)

تعريف التطوع الاجتماعي:

عند إطلاق مصطلح (التطوع) ينصرف الذهن إلى التطوع الاجتماعي، و(التطوع الاجتماعي) بناء على المعاني اللغوية السابقة يشمل المعاني اللغوية السالفة الذكر؛ فالمتطوع هو بمثابة المتبرع بوقته أو بدنه أو ماله أو بهما جميعًا، وهو يقوم بعمل نافلةٍ لا فرض ثم هو في تطوعه هذا منقاد وخاضع لله سبحانه وتعالى، متكلف ومجاهد نفسه على العمل التطوع، سهل ليِّن في تعامله مع الفئات المستفيدة من تطوعه.(٣)

ولذا عرّف بعضهم التطوع الاجتماعي بأنه: «كل ما يقدمه الفرد من خِدْمات للآخرين بلا أجر مادي، سواء كان ما يبذل علمًا، أو مالًا، أو وقتًا، أو جهدًا بدنيًّا، أو رأيًا، أو غيرها مما يملكه الفرد ويحتاجه الآخرون»(٤).

وعُرِّف العمل التطوعي الاجتماعي أيضا بأنه: «شكلٌ من أشكال الخدمة التي تُقدم للإنسانيّة في أيّ مكانٍ في العالم كالدُّول الفقيرة، ومناطق الحروب والنِّزاعات؛ فيتطوع من أراد وامتلك شروط الخدمة التطوعيّة للعمل في تلك المناطق بتقديم الخِدْمات الطِّبيّة والعلاجيّة والمساعدة في نشر التعليم ومكافحة الأُميّة والفقر، ويُطلق لقب مُتطوّع على الشخص الذي نذر حياته لمساعدة الآخرين دون مقابلٍ ماديٍّ أو معنويٍّ وإنما خدمةً للإنسانيّة سواءً لأهل وطنه أم غيرهم»(٥).

---

(١) انظر: مقال لـ: (بلعربي غنية) بعنوان «العمل التطوعي في ظل الأزمات ـ أزمة كورونا نموذجًا»، https://eipss - eg. org/

(٢) انظر: مقال لـ: (بلعربي غنية) بعنوان «العمل التطوعي في ظل الأزمات ـ أزمة كورونا نموذجًا»، نفس المرجع.

(٣) انظر: التربية على العمل التطوعي وعلاقته بالحاجات الإنسانية، عبد اللطيف الرباح، ص٤ – ٥.

(٤) انظر: المصدر السابق، ص٥.

(٥) انظر: أحمد مختار عمر معجم اللغة العربية المعاصرة عالم الكتب القاهرة، ٢٠٠٨، ٢/ ٣٩٤. بتصرف. مقال، لـ: عمار كاظم، بعنوان: «العمل التطوعي.. مبدأ خير وإيثار» https://www. balagh. com/

وعرّفه الدكتور محمد القاضي بأنه: «كل جهد بدني أو فكري أو عقلي أو قلبي يأتي به الإنسان أو يتركه تطوعًا دون أن يكون ملزمًا به لا من جهة الشرع ولا من غيره».[١]

وبناء على هذه التعريفات للعمل التطوعي نستنتج أن العمل التطوعي عملٌ إنسانيّ بحت، لا نجده مرتبطًا ببلد معين أو بديانة معينة، إنما هو فعل يعتمد بالدرجة الأولى على البعد الإنساني للمجتمعات والأفراد وإن اختلفت أنماط هذا العمل ودوافعه والغاية منه ففي الدول العربية والإسلامية، كما هي في الدول الغربية تنتشر الأعمال الخيرية من تبرعات وأعمال تطوعية يستفيد منها المحتاجون، سواء كانت مؤسسات أو هيئات أو أفرادًا.

كما يمكن القول إن العمل التطوعي: هو عبارة عن حركة اجتماعية تهدُف إلى تأكيد قيم التعاون وإبراز الوجه الإنساني للعَلاقات الاجتماعية، وإبراز أهمية التفاني في البذل والعطاء عن طيب خاطر في سبيل سعادة الآخرين، ولكن يجب ألّا ننظر للعمل التطوعي حيث قد تكون هناك أهداف غائبة وإن كانت غير مباشرة للأفراد والتي قد تؤثر على العمل التطوعي بالاتجاه السلبي أحيانًا.

ثالثًا: تعريف الإنسانية:

الإنسانية هو مصطلح مشتق من الإنسان، وهو يجمع بين جميع معاني التسامح والمحبة والمساعدة التي تعمل على غرس الرحمة في قلوب البشر بعضهم تجاه بعضًا.

وتسعى الإنسانية إلى الحث على التعاطف والمحبة بين جميع البشر دون النظر إلى دينه أو لونه، ودون تمييز أو تحيز لشخص بعينه.

والإنسانية هي العطاء ومساعدة الغير بجميع الطرق، والمساعدات الممكنة لديه دون انتظار مقابل وهو العمل لتحقيق المساواة والإخاء بين جميع البشر[٢].

الأعمال الإنسانية في الإسلام:

يسعى الإسلام دائمًا إلى تطبيق نظام العدل الذي يتمثل في الخضوع إلى إله واحد، وحث جميع المؤمنين على الأمر بالمعروف، والتنافس في صنع الخير، والسعي إلى الأعمال الخيرية. ومن أوائل الإشارات الدالة على ذلك في مطلع القرن السابع الميلادي قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءَ وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩]. كما شجع الإسلام أيضًا على العمل التطوعي

(١) انظر: الأعمال التطوعية في الإسلام، محمد القاضي، ص٣.

(٢) انظر: مقال لـ: راندا عبد الحميد، عنوانه «تعريف العمل الإنساني التطوعي»: https://mqaall. com

والخيري؛ لأنه يحقق التكافل الاجتماعي والعدل والمساواة، وينشر القيم الاجتماعية بين أفراده، فقال تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨]. وقال أيضًا في الحث على العمل الإنساني ونشر الخير: ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ﴾ [البقرة: ١٤٨]. كما حث رسول الله ﷺ على العمل الإنساني، حين قال: «من كان معه فضلُ ظهرٍ فليعُد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضلٌ من زادٍ فليعُد به على من لا زاد له»[(١)].

الألفاظ ذات الصلة بالعمل التطوعي:

توجد بعض الألفاظ التي تتقارب معانيها مع العمل التطوعي، من بينها: الخير، والإحسان، والبِر.

أولًا: الخير

تعريف الخير لغةً واصطلاحًا:

أ ـ الخير في اللغة

الخير، ضد الشر، وجمعه خُيور، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١]، جمع (خَيْرة) وهي الفاضلة من كل شيء.[(٢)] والخاء والياء والراء أصله العطف والميل، ثم يحمل عليه؛ فالخير: «خلاف الشر؛ لأن كل أحد يميل إليه ويعطف على صاحبه. والخيرة: الخيار. والخير الكرم، والاستخارة: أن تسأل خير الأمرين لك»[(٣)].

ب ـ الخير في الاصطلاح:

فالمعنى الاصطلاحي للخير قريب من المعنى اللغوي، فقد ورد الخير في القرآن الكريم وأريد به البر والصلاح والهُدى والمعروف والحسن[(٤)].

المعنى الاصطلاحي للخير هو: ما يرغب فيه الكل، كالعقل والعدل والفضل والشيء النافع[(٥)].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجهاد، باب آداب السفر، ج ٦ ص٢٥١٣.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (خ ي ر)، ج٣، ٢٦٤.

(٣) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٢، ص٢٣٢. مختار الصحاح، الرازي، ص٩٩، لسان العرب، ابن منظور، ج٤، ص٢٦٤ مادة (خير).

(٤) انظر: الخير ومرادفاته، نذير حمدان، دار المأمون للتراث، دمشق، ص١٨.

(٥) انظر: روح البيان، إسماعيل حقي ٧/ ٣٤٨.

ج ـ تعريف العمل الخيري:

عرّف الإمام الطاهر بن عاشور العمل الخيري من خلال تعريفه التبرع قائلًا: «هو المعطى من مال أو جهد على أساس المواساة بين أفراد الأمة الخادمة لمعنى الأخوة فهي مصلحة حاجِيّة جليلة وأثر خُلقي إسلامي جميل، بها حصلت مساعدة المُعْوِزين، وإغناء المقترين وإقامة الجميع على مصالح المسلمين»[١].

التعريف الثاني للإمام يوسف القرضاوي:

عرّف الإمام يوسف القرضاوي العمل الخيري في كتابه (أصول العمل الخيري في الإسلام) قائلًا: «المراد بالعمل الخيري: النفع المادي أو المعنوي الذي يقدمه الإنسان لغيره، من دون أن يأخذ عليه مقابلًا ماديًّا، ولكن ليحقق هدفًا خاصًّا له أكبر من المقابل المادي، قد يكون عند بعض الناس الحصول على الثناء والشهرة، أو نحو ذلك من أغراض الدنيا»[٢].

أما الدكتور عبد الكريم بكّار فقد عرّف العمل الخيري بقوله: «هو كل مال أو جهد أو وقت يبذل من أجل نفع الناس وإسعادهم والتخفيف من معاناتهم»[٣].

الصلة بين التطوع والخير:

يمكننا القول إن العمل التطوعي يندرج تحت عموم فعل الخير المأمور به شرعًا في الكتاب والسنة؛ فكل من فعل معروفًا أو خيرًا لا يلزمه، بل يبتغي بذلك الأجر من الله عز وجل، ويعد عمله هذا عملًا تطوعيًّا.

ثانيًا: الإحسان:

تعريف الإحسان لغةً واصطلاحًا:

الإحسان في اللغة

مصدر أحسنَ، والحسن: ضد القبح ونقيضه، والإحسان: ضد الإساءة[٤].

الإحسان في الاصطلاح:

يُعرَّف الإحسان بأنه: «إتقان الأعمال، والتطوع بالزائد عن الفرائض، ومقابلة الخير بأفضل منه، والشر بأقل منه»[٥].

---

(١) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون (تونس)، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص١٨٧.

(٢) انظر: أصول العمل الخيري في الإسلام، ليوسف القرضاوي، دار الشروق، ط/ ٢، ٢٠٠٨، ص٢١.

(٣) انظر: ثقافة العمل الخيري كيف نرسخها؟ وكيف نعممها؟ عبد الكريم بكّار، ط١، دار السلام ٢٠١٢. ص١٢.

(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور ١٣/ ١١٧.

(٥) انظر: التفسير المنير، الزحيلي ١٤/ ٢١٢.

الصلة بين التطوع والإحسان:

أن الإحسان قد يكون واجبًا وقد يكون غير واجب، أما التطوع فلا يكون واجبًا؛ إذ الإيجاب والإلزام يفقد التطوع معناه.

ثالثا: البِرِّ:

تعريف البر لغةً واصطلاحًا:

البر في اللغة

البِر: الصِّدق والطّاعة والخير والفضل، وبرّ يبر، إذا صلح. وبرّ في يمينه يبر، إذا صدّقه ولم يحنث. وبرّ رحمه يبر، إذا وصله. ويقال: فلان يبرُّ ربّه ويتبرّره، أي: يطيعه. ورجل برٌّ بذي قرابته، وبارّ: من قوم برَرَة وأبرار، والمصدر: البِرّ، والبَرُّ: الصّادق أو التقيّ وهو خلاف الفاجر، والبِرّ: ضدُّ العقوق. وبرِرتُ والدي بالكسر، أبرُّهُ برًّا، وقد برّ والده يبُرُّه ويبِرُّه بِرًّا... وهو برٌّ به وبار.. وجمع البرِّ الأبرار، وجمع البارِّ البَرَرةُ[١].

البِرِّ في الاصطلاح:

قال المناوي: (البِرُّ بالكسر أي: التوسُّع في فعل الخير، والفعل المرضِي، الذي هو في تزكية النّفس... يقال: برّ العبدُ ربّه. أي: توسّع في طاعته... وبِرُّ الوالد: التّوسع في الإحسان إليه، وتحرِّي محابِّه، وتوقِّي مكارهِه، والرِّفقُ به، وضدُّه: العقوق. ويستعمل البِرُّ في الصِّدق؛ لكونه بعض الخير المتوسّع فيه).[٢]

قال القاضي المهدي: «والبِرّ: هو الصِلة، وإسداء المعروف، والمبالغة في الإحسان»[٣].

تعريف العمل التطوعي الإنساني:

تظهر أهمية العمل الإنساني من بؤس العالم الذي نعيش فيه؛ والمليء بالحروب والصراعات، والفقر والحاجة، وكلما زادت مآسي الإنسان اشتدت الحاجة إلى من يمد له يد العون. ومن هنا نقول إن أهمية العمل الإنساني تكمن من كونه يسبب السعادة لمن يتضامن مع الآخرين.

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (٤/ ٥١)، المصباح المنير للفيومي (١/ ٤٣).

(٢) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م. ص١٢٢.

(٣) انظر: صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، حسين بن محمد المهدي، ٢/ ٣٠٢.

يُعرّف العمل التطوعي الإنساني بأنه عِبارة عن جهد مادي وفني ومعنوي بالإضافة للشؤون التعليمية والاقتصادية[١].

ويُعرّف أيضًا بأنه: ذلك النشاط الهادف إلى تقديم المساعدة والإغاثة للأفراد الذين يواجهون خطرًا يهدد حياتهم (القتل، الجوع، المرض، النزوح، اللجوء، الكوارث الطبيعية... وغيرها من الأخطار الذي تهدد الحياة الطبيعية للإنسان، وتؤثر على الحق في الحياة بكرامة، ويقوم على مجموعة من المثل والمبادئ المتمثلة في مبدأ الإنسانية، والنزاهة، والحيادية، والاستقلالية)[٢].

وعليه، فإن الأعمال التطوعية والإنسانية تتنوع وتشمل التطوع بالمال ويظهر هذا في صورة تبرعات بالمال والصدقات، وأيضًا الزكاة والوقف، وكل هذا يعزز المحبة والمودة بين الناس. ومن الأعمال الإنسانية ما يقوم به بعض الأفراد بالتطوع لمساعدة الآخرين وخاصة من يعانون من أزمات إنسانية فيقومون بالتطوع بالطعام والمبلس والخيم والأدوية وغيرها.

وهناك العمل التطوعي الخيري المؤسسي كالجمعيات والحكومات وغيرها، وهذا النوع يعمل على تحقيق التكافؤ الاجتماعي بين أفراد المجتمع عن طريق توفير الاحتياجات الأساسية لجميع فئاته[٣].

النقطة الثانية : مكانة العمل الاجتماعي الإنساني في التعاليم الإسلامية

اهتم الإسلام بالعمل التطوعي اهتمامًا كبيرًا، فقال تعالى: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وقال عز وجل: ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، وحرص الإسلام على توجيه قوى الإنسان نحو الخير والبناء والبذل والعطاء، وحضّ على قيم المروءة والشهامة والنجدة والكرم والجود والإيثار، وشرع الزكاة والصدقات، ورغّب في بذل المعروف وإسداء الإحسان، وبناء مجتمع الرحمة والتكافل. ويستند العمل التطوعي إلى مقاصد الشريعة وقواعدها الغراء في تحقيق المصالح المتعددة، وتحصيل المنافع المتنوعة، والعمل على ما يحقق الخير والسعادة للعباد في دنياهم وأخراهم.

وميدان العمل التطوعي ميدان رحب فسيح، وصوره كثيرة لا تنحصر، فهو كالبستان المليء بالأشجار المثمرة، وفي الحديث النبوي: «كل معروف صدقة»[٤].

---

(١) انظر: مقال لـ: محمد سليمان، تعريف العمل الإنساني https://wikiwic. com/

(٢) انظر: مقال لـ: سعيد طه، تلخيص دراسة: العمل الإنساني في مرحلة ما بعد الحرب الباردة للباحث مايكل بارنيت (٢٠٠٥) https://tsaidali. wordpress. com

(٣) انظر: مقال لـ: راندا عبد الحميد، العمل الخيري من خلال مواقع التواصل الاجتماعي عن طريق نشر الوعي بين الشباب بأهمية هذا العمل وفوائده التي سوف تعود على الفرد والمجتمع https://mqaall. com

(٤) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب كل معروف صدقة، ج١٠ ص٤٦٢.

ومن صور العمل التطوعي الاجتماعي: التفاعل مع مبادرات القيادة الحكيمة، والمشاركة الفاعلة فيها من خلال الأفكار والممارسات العلمية والعملية، ومشاركة المجتمع في أفراحهم وأحزانهم، والتزام أجمل سلوك في معاملة الناس، والإصلاح بين المتخاصِمين، وتقديم العون والمساعدة للمحتاجِين، ونشر العلم النافع والثقافة المفيدة والمشورة الصادقة، ومشاركة المجتمع بالأفكار النيرة الهادفة، والمحافظة على البيئة وثرواتها، وصيانة موارد الدولة، والعناية بالمرافق العامة، إلى غير ذلك من الصور التطوعية المجتمعية الكثيرة(١).

وبناء على فوائد وأهمية العمل التطوعي الاجتماعي الإنساني فقد جاءت مشروعية هذا العمل والحث عليه في الكتاب والسنة والإجماع ومقاصد الشريعة.

أولا: العمل التطوعي في القرآن الكريم:

القران الكريم كتاب أنزله الله تعالى ليصلح به أحوال العباد والبلاد، فهو كتاب دين ودنيا وآخرة، كتاب يدعو إلى الإصلاح والتنمية والنهضة والرقي، وإلى الترابط بين أفراده؛ لذا حثنا الله تعالى على العمل التطوعي الاجتماعي مؤكِّدًا ومقرِّرًا ضرورة التعاون والتكافل والتآلف بين الناس، وذلك في عدة مواطن، منها:

١ـ ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ١١٠].

٢ـ ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٣ـ ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣ - ١١٥].

ومن صور العمل التطوعي الاجتماعي: الإيثار، قال الله تعالى:

٤ـ ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ﴾ [الحشر: ٩]، أي: يقدمون خدمة الآخرين ومصلحتهم العامة على المصلحة الشخصية الخاصة.

---

(١) انظر: أحمد محمد الشحي، العمل التطوعي قيمة حضارية https://www. albayan. ae/

وهناك آيات أخرى تدل على الحث على التطوع الاجتماعي، منها:

٥ـ ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٢].

٦ـ ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ﴾ [البقرة: ١٨٤].

٧ـ ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٨ـ ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧].

٩ـ ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩].

١٠ـ ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۞ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ۞ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ۞ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا﴾ [الإنسان: ٨ – ١٢].

١١ـ ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ﴾ [البقرة: ١٨٤].

ثانيا: العمل التطوُّعي الاجتماعي في السنة النبوية:

ورد في السنّة النبوية المطهّرةِ كثيرٌ من التّرغيب في السعي إلى قضاء حوائج النّاس، والأحاديث في هذا الباب كثيرة، تؤكِّد قيمة التطوُّع والعمل الخيري، والمسارعة إلى الخيرات، والمساهمةِ في نفع النّاس والمجتمع، فمِن ذلك:

١ـ عن أبي سعيد الخدري قال: بينما نحنُ في سفرٍ مع النّبيِّ ﷺ إذ جاء رجُلٌ على راحلتِه قال: فجعل يضرِبُ يمينًا وشِمالًا فقال النّبيُّ ﷺ: «من كان معه فضلُ ظهرٍ فليعُد به على من لا ظهر له ومن كان معه فضلُ زادٍ فليعُد به على من لا زاد له»، فذكر مِن أصنافِ المالِ ما ذكر حتّى رأينا أن لا حقّ لأحدٍ منّا في فضلٍ[(١)].

٢ـ عن النبيّ ﷺ أنه قال: «خير النّاسُ أنفعُهم للناس»؛ حسّنه الألبانيُّ رحمه الله في صحيح الجامع برقم: **٣٢٨٩**)، وهذا الحديثُ يُشيرُ إلى نفعِ الناس أجمعين، وليس نفع المسلمين فقط.

٣ـ قوله ﷺ: «أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنفعُهُم لِلنّاس، وأحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزّ وجلّ سُرُورٌ يدخِلُهُ على مسلم أو يكشِفُ عنهُ كُربةً، أو يقضِي عنهُ دينًا، أو تطرُدُ عنهُ جُوعًا، ولأنْ أمشِيَ مع أخٍ لي في حاجةٍ أحبُّ إليّ من أن أعتكِف في هذا المسجد، يعني مسجد المدينةِ، شهرًا»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجهاد، باب آداب السفر، ج ٦، ص**٢٥١٣**.

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» عن عبد الله بن عمر برقم **٦٠٢٦**. قال الشيخ الألباني: حديث صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة: تحت رقم **٩٠٦**.

٤ـ عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «تبسُّمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرّجل في أرض الضّلال لك صدقة، وبصرك للرّجل الرّديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشّوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة»(١).

٥ـ وعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سبعٌ يجري للعبدِ أجرُهن وهو في قبرِه بعد موته: من علّم علمًا، أو أجرى نهرًا، أو حفَر بئرًا، أو غرَس نخلًا، أو بنى مسجدًا، أو ورّث مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفرُ له بعد موته»(٢)

٦ـ قال ﷺ: «كل سُلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس، تعدِل بين اثنين صدقة، تعين الرجل على دابّته فتحمِله عليها أو ترفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتُميط الأذى عن الطريق صدقة». متفق عليه(٣).

٧ـ وقال ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قولُ لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» متفق عليه.

٨ـ وقال ﷺ: «لقد رأيت رجلًا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين»(٤).

٩ـ وفي رواية: «مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق، فقال: والله لأُنحينّ هذا عن المسلمين لا يؤذيهم، فأُدخل الجنة»(٥).

١٠ـ وقال ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار»(٦).

---

(١) رواه الترمذي (١٩٥٦)، والبزار (٩/ ٤٥٧) (٤٠٧٠)، وابن حبان (٢/ ٢٨٧) (٥٢٩). قال الترمذي: حسن غريب. وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٩٥٦)، وشعيب الأرناؤوط في «صحيح ابن حبان» (٢/ ٢٨٧).

(٢) أخرجه ابن ماجة وغيره، حسّنه الألبانيُّ – رحمه الله – في صحيح الجامع برقم: ٣٥٩٦.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالركاب ونحوه (٤/ ٥٦)، رقم: (٢٩٨٩)، ومسلم، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (٢/ ٦٩٩)، رقم: (١٠٠٩).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب فضل من استمع وأنصت في الخطبة، (٢/ ٥٨٨)، رقم (٨٥٧).

(٥) أخرجه أحمد في المسند، ط الرسالة (٣١/ ١٨٩) رقم (١٨٨٩٤) وصححه شعيب الأرناؤوط.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الساعي على المسكين، برقم (٦٠٠٧)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، برقم (٢٩٨٢).

١١ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ: قال: «المسلم أخو المسلم لا يَظلمه ولا يُسلِمُه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كُربة من كُرب الدنيا فرّج الله عنه كُربة من كُرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»(١).

١٢ـ وقال ﷺ: «من مشى في حاجة أخيه كان خيرًا له من اعتكاف عشر سنوات»(٢).

١٣ـ وقال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى»(٣).

١٤ـ أنّ النبي ﷺ: قال: «من نفّس عن مؤمن كربةً من كُرب الدنيا نفّس الله عنه كربةً من كُرب يوم القيامة، ومن يسّر على مُعسِر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، واللهُ في عون العبد ما كان العبدُ في عون أخيه»(٤).

ثالثا: الإجماع على العمل التطوُّعي الاجتماعي:

انعقد الإجماع على استحباب العمل التطوعي باعتباره نوعًا من أنواع الهِبة التي تعامل بها الناس من زمن المصطفى ﷺ إلى يومنا هذا؛ إذ يقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٢]، وبديهي أن العمل التطوعي سبب للتعاون والتآزر ونشر الخير والمودة بين الناس، وحماية الضعيف، وإغاثة اللهفان، ونصرة المظلوم، وتحقيق الاجتماع والألفة بين الناس.(٥)

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب: لا يظلم المسلمُ المسلم ولا يُسلِمُه، (٣/ ١٢٨)، برقم: (٢٤٤٢)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (٤/ ١٩٩٦)، برقم: (٢٥٨٠).

(٢) وقد أورد المنذري في الترغيب والترهيب حديث ابن عباس مرفوعًا: من مشى في حاجة أخيه كان خيرًا له من اعتكاف عشر سنين ـ وقال: رواه الطبراني في الأوسط، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.
وضعفه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة ج١١ ص٥٦٦، وقد ضعفه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/ ١٨٥)؛ ولكنْ يُغني عنه ويكفي ما رواه الشيخان في الصحيحين عن ابن عمر – رضي الله عنهماـ عن النبي ﷺ أنه قال: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ أنه قال: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»؛ فهذا يكفي.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (٤/ ١٩٩٩)، (برقم ٢٥٨٦)، والبخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، (٨/ ١٠) برقم: (٦٠١١)، بلفظ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمّى».

(٤) رواه مسلم (٢٦٩٩)، وأبو داود (٤٩٤٦)، والترمذي (١٩٣٠)، وابن ماجه (١٨٥)، وأحمد (٢/ ٢٥٢) (برقم ٧٤٢١)، والحاكم (٤/ ٤٢٥)، وابن حبان (٢/ ٢٩٢) (برقم ٥٣٤).
انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، كتاب العلم، ج١ ص٢٨٦.

(٥) انظر: السباعي مصطفى: «من روائع حضارتنا» ط١، بيروت، ١٩٩٩ دار الوراق للنشر والتوزيع، ص١٣٣.

بعض الآثار وأقاويل الصالحين الواردة في الباب:

بعث الحسن البصري قومًا من أصحابه في قضاء حاجة لرجل وقال لهم: مُرُّوا على ثابت البُناني فخذوه معكم، فأتَوْا ثابتًا، فقال: أنا معتكف، فرجعوا إلى الحسن فأخبروه، فقال: قولوا للأعمش: أما تعلم أن مشيك في حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة فرجعوا إليه فترك اعتكافه وذهب معهم...[١].

ويقول الحسن البصري رحمه الله: «لأنْ أقضي حاجة لأخ أحبُّ إليّ من أنْ أصلي ألف ركعة، ولأنْ أقضي حاجة لأخ أحبُّ إليّ من أنْ أعتكف شهرين»[٢].

قال ابن شُبرُمة رحمه الله: «إذا طلبت من أخيك حاجة فلم يُجهد نفسه في قضائها فتوضأ وُضوءَك للصلاة، وكبّر عليه أربع تكبيرات، وعدَّه في الموتى»[٣].

قال حكيم بن حزام: «ما أصبحت وليس على بابي صاحب حاجة إلا علمت أنها من المصائب».[٤]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من عبد الله وأحسن إلى الناس فهذا قائم بحقوق الله وحق عباد الله في إخلاص الدين له».[٥]

قال ابن القيم رحمه الله: «فإن الصدقة تفدي العبد من عذاب الله تعالى، فإن ذنوبه وخطاياه تقتضي هلاكه، فتجيء الصدقة تفديه من العذاب، وتفكه منه».[٦]

رابعا: العمل التطوُّعي الاجتماعي في مقاصد الشريعة

إن من أهم المقاصد العظمى للعمل الاجتماعي تهذيبَ النفس الإنسانية، وتعويدَها على قيم الرحمة والحنان والعطف والمحبة والتعاون والإحسان بين العباد، فيغرس فيها الإحساس بالمسؤولية الفردية والجماعية، وتتطهر من المن والأذى والسمعة والرياء والشح والطمع، وتخلص نيتها وعملها لله رب العالمين، قال الله تعالى: (قل إن صلاتي ونُسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين)[٧].

---

(١) انظر: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ج١ص٣٤١.

(٢) انظر: خضر موسى محمد حمود، شرح القصيدة المِيميّة للآثاري في مدح خير الرسل ﷺ، ص١٢٢.

(٣) انظر: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت، ج٢، ص١٧٥.

(٤) انظر: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت، ج٢ص١٧٥.

(٥) انظر: ابن تيمية، الفتاوى، ج١ص ٥٣.

(٦) انظر: ابن القيم، الوابل الصيب من الكلم الطيب، ص٣٢.

(٧) انظر: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٥١.

ثم إن نظام التطوع الاجتماعي الإنساني في الإسلام غايتُه إصلاح أحوال الناس، وتوفير أسباب العيش الأفضل وتحقيق الاستقرار، واندماج الناس في مجتمعاتهم، مطمئنين على عقائدهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

الواقع التطبيقي للعمل التطوعي في القرآن الكريم:

يؤكد القرآن الكريم قيمة العمل التطوعي في المنظور القرآني؛ حيث ذكر بالاسم مجموعة من الأنبياء العِظام والصالحين الذين مارسوا الأعمال التطوعية بما يرضي الله سبحانه وتعالى، وسنشير إلى أهم النماذج من تطوع الأنبياء والصالحين الوارد في القرآن الكريم، ومن جملتها:

١ـ قصة ذي القرنين:

ذو القرنين ملك من الملوك الذين ملكوا الدنيا كلها، فدانت له البلاد، وخضع له العباد، وذكره الله تعالى في القرآن الكريم ليقدم للأمة مثالًا للحاكم العادل الذي يجوب الأرض ويمشي في قضاء حوائج الخلق. ولقد كان للعمل التطوعي دور بارز في حياته ودعوته نذكر منها ما ذكره الله تعالى لنا في كتابه.

ذو القرنين وبناء السد:

بينما ذو القرنين يجوب الأرض إذ وقف على يأجوج ومأجوج، وهم قوم طبيعتهم الإفساد في الأرض، وعندها طلب منه من يجاوروهم أن يبني بينهم وبين يأجوج ومأجوج سدًّا، فيقول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ۞ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ۞ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ۞ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ۞ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ۞ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا﴾ [الكهف: ٩٣ – ٩٨].

فكان بناء السد نعمة عظمى للبشرية، وسببًا من أسباب هناء العيش على الأرض: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا﴾، قال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس: (خرجًا)، أي: أجرًا عظيمًا، يعني أنهم أرادوا أن يجمعوا له من بينهم مالًا يعطونه إياه حتى يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سدًّا، فقال ذو القرنين بعفّة وديانة وصلاح وقصد للخير:

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ﴾، أي: إن الذي أعطانيه اللهُ من الملك والتمكين خير لي من الذي تجمعونه، كما قال سليمان عليه السلام: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ﴾ [النمل: ٣٦]،

وهكذا قال ذو القرنين: الذي أنا فيه خير من الذي تبذلونه، ولكن ساعدوني بقوة، أي: بعملكم، وبآلات البناء، ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۞ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾، والزُّبَرُ: جمع (زُبْرة)، وهي القطعة منه.

٢ـ قصة الرجل الصالح سيدنا الخضر مع سيدنا موسى عليه السلام

أشار القرآن الكريم إلى تطوع نبي الله (على الصحيح) بأن بنى جدارًا من غير مقابل، بالرغم من رفض أهل القرية ضيافتهما؛ لذلك استنكر سيدنا موسى عليه ذلك، إذ ليسوا أهلًا لخدمتهم.

قال الله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧].

٣ـ كفالة نبيِّ الله زكريا عليه السلام لمريم بنت عمران:

أشار القرآن الكريم إلى تطوع نبي الله زكريا عليه السلام لكفالة مريم بنت عمران، قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

والكفالة تعني أن يقوم شخص برعاية شؤون أحد الأطفال، والعمل على تربيته، وتوفير احتياجاته حتى يكبر، وهذا ما فعله نبي الله زكريا عليه السلام حيث تكفل برعاية مريم بنت عمران، وقام بكفالتها خير قيام، فهو نبي وزوج خالة مريم، وما كان أحد غيره جديرًا بهذه المهمة في كفالة مريم.

وكفالة الأيتام هي من أفضل الأعمال التطوعية، وقد ورد في فضلها الكثير من الأحاديث والروايات؛ فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة»، وأشار بالسبابة والوسطى[(١)]، وقال ﷺ أيضًا: (من قبض يتيمًا من بين مسلمِين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة البتّة، إلا أن يعمل ذنبًا لا يُغفر)[(٢)].

٤ـ نبي الله يوسف عليه السلام يتطوع ليكون مسؤول المالية:

أشار القرآن الحكيم إلى نماذج من تطوع نبي الله يوسف عليه السلام ومنها تطوعه ليكون وزير المالية كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۞ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٤، ٥٥].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب اللعان، حديث رقم ٥٣٠٤، صحيح.

(٢) رواه الترمذي وغيره، وقال الترمذي: «حنش هو: حسين بن قيس، وهو أبو علي الرحبي، وسليمان التيمي يقول: حنش، وهو ضعيف عند أهل الحديث». انظر: (الجامع ٤/ ٣٢١)، ونقل عنه المنذري أنه قال: حديث حسن صحيح! انظر: (الترغيب ٣/ ٣١٧).

فتحمل مسؤولية المالية يدل على طموح نبي الله يوسف عليه السلام كما يشير إلى أنه كان يرى نفسه مؤهلًا لتحمل هذه المسؤولية العظيمة والمهمة؛ لذلك تطوع من تلقاء نفسه للقيام بها.

وفي سورة يوسف يشير القرآن الكريم إلى أن نبي الله يوسف عليه السلام عندما أُدخل السجن ـ قام بالدعوة إلى الله تعالى، كما تطوع بتفسير الأحلام للسجناء، وقد أشار القرآن الكريم لذلك في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ * قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ * وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ * يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٦ - ٤٠].

فهذه الآيات الشريفة تشير إلى تركيز نبي الله يوسف ليه السلام حتى وهو في السجن ـ على الدعوة إلى الله تعالى، وإخلاص العبودية له، وتوحيده عز وجل، ولعله استفاد من حاجة السجناء إلى تفسير أحلامهم بدعوتهم أولًا إلى توحيد الله عز وجل بالمنطق والبرهان كما تشير لذلك الآيات الشريفة.

٥ـ موسى عليه السلام وتطوُّعه لسقي الأنعام:

ومن أمثلة العمل التطوعي الذي قصه علينا الرب العلي جل جلاله ما قام به نبي الله موسى عليه السلام لمّا ورد ماء مدين. فهو مشهد يفيض بالمروءة والشفقة، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣، ٢٤].

يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله: لقد انتهى به السفر الشاق الطويل إلى ماء لمدين، وصل إليه وهو مجهود مكدود، وإذا هو يطلع على مشهد لا تستريح إليه النفس ذات المروءة، السليمة الفطرة، كنفس موسى عليه السلام وجد الرعاة الرجال يوردون أنعامهم لتشرب من الماء، ووجد هناك امرأتين تمنعان غنمهما عن ورود الماء، والأولى عند ذوي المروءة والفطرة السليمة، أن تسقي المرأتان وتصدرا بأغنامهما أولًا، وأن يفسح لهما الرجال ويعينوهما[١].

(١) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٥ ص٢٦٨٥ بتصرف. وانظر: مقال: نقل عن الجمعية الشرعية الرئيسية: https://www. alshareyah. com/

ولم يقعد نبي الله موسى عليه السلام الهارب المطارد، المسافر المكدود، ليستريح وهو يشهد هذا المنظر المنكر المخالف للمعروف، بل تقدم للمرأتين يسألهما عن أمرهما الغريب: «قال ما خطبُكُما»، «قالتا لا نسقِي حتّى يُصدِر الرِّعاءُ وأبُونا شيخٌ كبِيرٌ»، فأطلعتاه على سبب انزوائهما وتأخرهما وذودهما لغنمهما عن الورود؛ إنه الضعف، فهما امرأتان وهؤلاء الرعاة رجال، وأبوهما شيخ كبير لا يقدر على الرعي ومجالدة الرجال! وثارت نخوة موسى عليه السلام وفطرته السليمة، فتقدم لإقرار الأمر في نصابه، تقدم ليسقي للمرأتين أولًا، كما ينبغي أن يفعل الرجال ذوو الشهامة.

وهو غريب في أرض لا يعرفها، ولا سند له فيها ولا ظهير، وهو مكدود قادم من سفر طويل بلا زاد ولا استعداد، وهو مطارد، من خلفه أعداء لا يرحمون، ولكن هذا كله لا يقعد به عن تلبية دواعي المروءة والنجدة والمعروف، وإقرار الحق الطبيعي الذي تعرفه النفوس: «فسقى لهُما»، مما يشهد بنبل هذه النفس التي صنعت على عين الله... كما يشي بقوته التي تُرهب حتى وهو في إعياء السفر الطويل، ولعلها قوة نفسه التي أوقعت في قلوب الرعاة رهبته أكثر من قوة جسمه، فإنما يتأثر الناس أكثر بقوة الأرواح والقلوب[١].

العمل التطوعي الاجتماعي في عصر النبي ﷺ

كانت حياة الإسلام بالمدينة المنورة في أشد الحاجة إلى المال، وهي سكن لمجتمع جديد بالنسبة للمهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم، لا يعرفون منافذ الوصول إلى الثروة فيها، وانطلق الكثيرون منهم إلى العمل في الزراعة والتجارة والصناعة، لكنّ احتياج الدولة الجديدة إلى المال كان من أولويتها، ومن هنا كان التسابق إلى عمل الخير إما بالدعوة العامة التي لا تُوجّه إلى فرد أو جماعة بعينها، وإما أن يكون التطوع من الصحابي بلا دعوة ولا مطالبة، وصار ذلك أسلوبًا للأمة الإسلامية في مراحلها الأولى، وقد قال النبي ﷺ: «من يحفِر بئرَ رُومة فله الجنة، فحفَرها عثمان»، وقال ﷺ: «من جهّز جيش العسرة فله الجنة، فجهّزه عثمان»[٢].

لقد أخلص ذو النورين في تجارته فزادت ثروته وكان السبق إلى التطوع لحفر البئر، ليرتوي العطشى، وتحيا الأرض، ويزداد النماء، وكان التسابق لتجهيز الجيش الإسلامي عندما استشعر الرسول ﷺ أن دولة المدينة مهددة بالهجوم من الروم قبل غزوة تبوك، ولم يكن موقف عثمان بن عفان رضي الله عنه إلا صورة لحالة واحدة أو بيانًا لعدة مواقف، تنافس فيها مع أثرياء الصحابة إلى العمل التطوعي، ومنهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب، أما عبد الرحمن بن عوف فهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، وأحد الذين هاجروا الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة المنورة، وكان

(١) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٥ ص٢٦٨٦. وانظر مقال: «من قصة مع المرأتين... العمل التطوعي الذي قام به سيدنا موسى عليه السلام» نشرته esraa بالواسطة، https://www. almuheet. net/

(٢) انظر: البخاري، باب مناقب عثمان بن عفان، فتح الباري ج٧ ص٦٥.

على رأس المجاهدين في غزوة تبوك، ولما كان يوم العسرة وتسابق الصحابة إلى التطوع لدعم تجهيز الجيش فتبرع ابن عوف بمئة أوقية من الذهب الخالص، وهي نصف ماله فقال رسول الله ﷺ: «ماذا تركت لنفسك»؟ فقال: بقي عندي مثل ما تبرعت لا يزيد ولا ينقص، فقال ﷺ: «بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت»[١]. وفي صنائع هؤلاء الكرام نزل قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢]، وقد صارت هذه الأعمال الخالصة لوجه الله تعالى ذات دلالات مشرقة من زمن المبعث النبوي، ليحيا على تذكرها والاقتداء بها المخلصون الصادقون من عباد الله المتقين.[٢]

إن العمل التطوعي تحتاج إليه الأمم الناهضة التي تضع في خططها أهدافًا عظيمة تسعى إليها ولا يتحقق ذلك إلا إذا تعاونت كل فئات الأمة وطوائفها، لكن النظرة الذاتية الضيقة المعبرة عن الأنانية والطموح الخادع تجعل الكثيرين لا يفكرون إلا في أنفسهم، ويغفلون عن الطوائف التي تلهث إلى رغيف الخبز ولا تسعفهم أعمالهم البسيطة على سد احتياجاتهم الضرورية فلا بد أن تكون النظرة عمومية شاملة كالأشعريين الذين جمعوا ما كان لديهم في رداء واحد واقتسموه بالسوية فيما بينهم، فإذا ما انخرط الناس في الأعمال التطوعية فإن التقارب سوف يشمل الكثيرين، وتتلاشى الكراهية والبغض، الذي ينتابُ المحتاجين في ظلال الحياة الاجتماعية المكشوفة بكل وسائل الإعلام.[٣]

وهناك شباب من الصحابة قد مارسوا العمل التطوعي الاجتماعي، منهم:

أ ـ الأرقم بن أبي الأرقم الذي قدّم بيته ليكون أول محضن للدعوة.

ب ـ علي بن أبي طالب حينما قدّم نفسه لرد أمانات قريش يوم الهجرة.

ج ـ جعفر بن أبي طالب لقبه النبي ﷺ بأبي المساكين.

د ـ رفيدة صاحبة أول مستشفى ميداني في الإسلام.

هـ ـ أم كلثوم بنت علي وزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين في مساعدة امرأة في المخاض[٤].

---

(١) انظر: العشرة المبشرون بالجنة، عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، بقلم الدكتور/ محمد رجب البيومي، ص١٩.

(٢) انظر: د. السيد محمد الديب، مكانة العمل التطوعي في الإسلام، مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند، ذوالحجة ١٤٣٨هـ = أغسطس – سبتمبر ٢٠١٧م، العدد: ١٢، السنة: ٤١.

(٣) انظر: المرجع نفسه.

(٤) انظر: د. فهد سلطان السلطان، أستاذ اجتماعيات التربية المشارك كلية التربية/ جامعة الملك سعود، «اتجاهات الشباب الجامعي الذكور نحو العمل التطوعي» دراسة تطبيقية على جامعة الملك سعود، بحث منشور برسالة الخليج العربي – مكتب التربية لدول الخليج العربي ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ومقال لـ: الجمعية الشرعية الرئيسية: «العمل التطوعي في الإسلام.. مفهومه وثمراته» https://www. alshareyah. com/

وقد اتخذت الصدقة في الإسلام والدولة الإسلامية صورة مؤسسية في شكل الأوقاف في صورها المختلفة من خلال المساجد والوقف الاستثماري لدعم المساجد ودور العلم، كما هو الحال في دواوين الزكاة في العديد من الدول الإسلامية.

النقطة الثالثة : دور العمل التطوعي الاجتماعي الإنساني في استقرار المجتمعات

قال تعالى: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ [البقرة: ١٨٤]، ووجه الدلالة أن هذه الآية الكريمة أشارت إلى فائدة التطوع النفسية الكبيرة للمتطوِّع. وقد قرر الخبراء أن من يقوم بالعمل التطوعي الاجتماعي الإنساني هم أشخاصٌ نذروا أنفسهم لخدمة المجتمع والإنسانية. كما يمكن استخدام العمل التطوعي في معالجة الأفراد المصابين بالاكتئاب والملل. والتطوع من الأعمال الخيرية التي تساعد أولئك الذين أصابتهم جائحة (كورونا) أو كارثة طبيعية كالزلزال، أو الفقر أو المرض، أو النكبات والحروب، وضحايا حرائق الغابات، واللاجئين، والمهاجرين وغيرهم ـ في تجاوز محنتهم الشخصية والجماعية التي مسّتهم، ليشعروا بأهمية التضامن والتكافل الاجتماعي، وأنهم عناصر لهم دورهم في تنمية المجتمع الذي يعيشون فيه، وهو ما يعطيهم الأمل بحياة جديدة.

فالتطوع إذن هو وسيلة لراحة النفس والشعور بالاعتزاز والثقة بالنفس، ومن خلاله تتقوى الرغبة عند الأفراد بالحياة والثقة بالمستقبل.

ويأتي العمل التطوعي استجابة لظروف طارئة، أو لموقف إنساني أو أخلاقي، أو إنقاذ غريق يشرف على الهلاك، أو إسعاف جريح بحالة خطرة، ولا يقوم بهذا العمل إلا قليل من الناس. وهدف هذه الممارسات والتصرفات إنساني صرف أو أخلاقي أو ديني أو اجتماعي، ولا ينتظر المتطوِّع منها أي مردود مادي.

والعمل التطوعي الإنساني نوعان:

١ـ العمل التطوعي الإنساني الفردي: وهو عمل أو سلوك اجتماعي يمارسه الفرد برغبة منه وإرادة ولا يبتغي من خلاله إلا وجه الله أو خدمة للإنسانية بحيث لا ينتظر من أي أحد مقابلًا ماديًّا، ويقوم هذا على اعتبارات أخلاقية أو اجتماعية أو إنسانية أو دينية. كمن يقوم بتعليم الناسِ، أو يتبرع بالمال لجمعية محو الأمية، أو دار الأيتام، أو دار المسنين، أو يتصدق على جيرانه الفقراء، أو كالتبرع بالدم، أو تطعيم بعض المشرَّدِين في الشوارع، وغير ذلك من الأعمال الخيرية الفردية.

٢ـ العمل التطوعي الإنساني المؤسساتي: وهو أكثر اتساعًا وتأثيرًا في المجتمع، ويوجد في العالم وفي الوطن العربي خاصة مؤسساتٌ متعددةٌ وجمعيات أهلية تساهم في أعمال تطوعية كبيرة لخدمة المجتمع والإنسانية.

وفي المجتمع مؤسسات كثيرة حكومية وغير حكومية يحتل فيها العمل التطوعي أهمية كبيرة، تُبادر للنهضة بالمجتمع. ومن هذه الجمعيات التي تهتم بقضايا التطوعية الاجتماعية: جمعيات مكافحة المخدرات، وحل مشكلات الشباب المضرة بالمجتمع؛ حيث إن العمل المؤسساتي يقوم بجمع الجهود والطاقات الاجتماعية المبعثرة.(١)

النقطة الرابعة : الحاجة إلى تمويل ودعم العمل الاجتماعي الإنساني(٢)

يُعد تمويل العمل الخيري عنصرًا فاعلًا لزيادة النشاطات وتوفير الخِدْمات، كما تُعد معظم المؤسسات العاملة في هذا الميدان هي مؤسسات أهلية تعتمد على التمويل الذاتي والتبرعات والهبات والزكاة والوقف في تمويل مشاريعها الاجتماعية، وهناك من المؤسسات ما تتلقى الدعم الحكومي لتشجعها، أو لكي تنوب عن الحكومة أو بعض الجهات الأخرى، ومن المهم أن يكون نشاط تلك الجمعيات إضافة وليس اعتمادًا، فيقف العمل عند توقف التمويل.

ولهذا لا بد للقائمين على العمل الخيري من الاتجاه والتركيز على القطاع الخاص وتشجيعه على المساهمة في العمل الخيري والإنساني والاجتماعي بصورة أكبر وبأدوار مرافقة للأنشطة الخيرية بدلًا من المساهمات المتفرقة.

---

(١) انظر: فهد سلطان السلطان أستاذ اجتماعيات التربية المشارك كلية التربية/ جامعة الملك سعود، «اتجاهات الشباب الجامعي الذكور نحو العمل التطوعي» دراسة تطبيقية على جامعة الملك سعود، بحث منشور برسالة الخليج العربي – مكتب التربية لدول الخليج العربي ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٤٨ – ٤٩

ومقال لـ: بلال عرابي، دور العمل التطوعي في تنمية المجتمع https://m. annabaa. org/

(٢) انظر: الأستاذ محمد بكّار بن حيدر، مدير عام جمعية بيت الخير – دبي، تمويل العمل الخيري العربي المعاصر ومؤسساته، مؤتمر الخير العربي الثالث، الأمانة العامة لمؤتمر الخير العربي، لبنان، الاتحاد العام للجمعيات الخيرية في المملكة الأردنية الهاشمية، عمان ٢٢ – ٢٤ يونيو/ حزيران ٢٠٠٢. تقدم بمقال بعنوان: «تمويل العمل الخيري عنصر فاعل لتوفير الخِدْمات» صحيفة البيان https://www. albayan. ae

وانظر: شحاتة، شوقي، إسماعيل، ١٩٩٤، استخدام أموال الزكاة في تمويل البنية الأساسية والاقتصادية والاجتماعية الاقتصاد الإسلامي، ص٨٤ – ٨٦. والسمالوطي، ١٩٩٦، نبيل، التنمية بين الاجتهادات الوصفية والدينية، مصر، دار المعرفة الجامعية، ص٢٢١. منذر قحف، ٢٠٠٦، الوقف الإسلامي، تطوره، إدارته، تنميته، دار الفكر، دمشق، ط٢، ص١٦٣. بتصرف.

أولًا: مصادر تمويل العمل الخيري يشكل القطاع الحكومي والعام والقطاع الخاص والقطاع التعاوني والقطاع الأهلي والأفراد بصفتهم الطبيعية، مصادر خصبة للتمويل وتنمية موارد مؤسسات العمل الخيري، وتضطلع أغلب تلك القطاعات بأدوار متفاوتة في دعم العمل الخيري وتمويل مشاريعه. كما تعتبر الزكاة والأوقاف من المصادر الرئيسية لتمويل العمل الخيري. وفيما يلي بعض مساهمات القطاعات في تمويل العمل الخيري.

١. القطاع الحكومي:

بدأت الحكومات العربية في دعم وتشجع المؤسسات غير الحكومية الربحية، سواءً كانت تقوم بعمل اجتماعي أو علمي أو ثقافي... إلخ، غير أنّ الدعم الحكومي قد تراجع في الآونة الأخيرة، فلا يمكن الاعتماد على مصادر التمويل للحكومة في الوقت الحاضر، ولا يمثل دعم الحكومة للعمل التطوعي والخيري إلا القليل بالنسبة لمصادر التمويل الأخرى، فضلًا عن أن بعض الجمعيات الخيرية لا تحصل على أي دعم مالي من الحكومة؛ حيث إنها تكتفي بمصادرها الذاتية ومصادر التمويل الأخرى غير الحكومية.

٢. القطاع الخاص:

يجب التمييز هنا بين الشركات العائلية والشركات المساهمة مثل شركات التأمين والبنوك والشركات المساهمة العامة؛ إذ إن الشركات العائلية أو الفردية لها نصيب الأسد في المساهمات الخيرية، أما الشركات المساهمة فيعتبر دورها ضعيفًا جدًّا في دعم العمل الخيري، مع العلم بأن رأس مال تلك الشركات يعتبر كبيرًا جدًّا بالمقارنة مع الشركات العائلية، والمطلوب عربيًّا على الأقل هو تكثيف الجهود على تلك المؤسسات والشركات المساهمة لإقناعها وإقناع مجلس إدارتها والمساهمين فيها بضرورة القيام بدورهم المجتمعي بشكل أكبر. فبذلك نكون قد ضمنا موارد مالية كبيرة تدعم العمل الخيري بشكل كبير ولأمد طويل.

٣. المصادر الدولية:

تُعتبر المصادر الدولية من مصادر تمويل العمل الخيري في الوطن العربي، ولا شك أن هذا المصدر يقع تحت تأثير المتغيرات الدولية والسياسية، كما يقع تحت نفوذ الدول العظمى والدول الصناعية الكبرى التي تُعتبر من المساهِمين الرئيسيين في تمويل الصناديق الدولية، ولكن لا يُعوَّل عليها كثيرًا لعدم استقرار مواقفها السياسية؛ لذا علينا إعادة ترتيب منهجنا وحسن تقديم أنفسنا للغير.

٤. الزكاة:

تُعتبر الزكاة أهمَّ مصدر من المصادر المالية الداعمة للعمل الخيري لكونها فريضة من الله سبحانه وتعالى خالق الكون ومقدر الأقدار ومصرف الأمور والعالم بخلقه؛ فالزكاة لها دور كبير في إعادة توزيع الثروة في المجتمع العربي والمسلم بشكل عام بالإضافة إلى الدور الاجتماعي وتدوير الأموال وعدم اكتنازها، فهي تُؤخد من أغنيائهم وتُردّ على فقرائهم، ولا ينبغي لنا أن نحقِر النسبة الضئيلة (٢,٥ ٪)، فهي يجب أن تخرج من كل مالك للنصاب وحال عليه الحول. وبالتالي فلو أخرج الناس زكاة أموالهم كما أمر الله سبحانه وتعالى لن يبقَ في المجتمع العربي والمسلم فقيرٌ واحد أو مُحتاج، وهذا هو مقصد العمل الخيري بشكل عام، وهو رفع المعاناة عن الفقراء والمحتاجين في الدرجة الأولى، ومن ثم يأتي دور الزكاة التنموي في بناء المستشفيات والمدارس والطرقات والمصالح العامة كما حصل في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وعلى القائمين على العمل الخيري إيقاظُ الوازع الديني لدى الجمهور لإخراج زكاة أموالهم، وبالتالي مطلوب منّا حث الجمهور كما نحفز الشركات.

٥. الصدقات:

تأتي في المرتبة الثانية بعد الزكاة من حيث الأهمية في تمويل العمل الخيري، فهناك الكثير من الكفارات والنذور والهبات والتبرعات التي يخرجها الناس بشكل اختياري وتقرب إلى الله سبحانه وتعالى ومشاركة للإنسانية في ما تمُرّ به من مِحَن وكوارث طبيعية.

٦. الأوقاف:

أهمل هذه الشعيرة العظيمة كثيرٌ من إدارات الأوقاف هنا وهناك، ولكن دورها في الحفاظ على الوقف وتنميته وتطوير موارده يكاد يكون منخفضًا إن لم يكن مفقودًا؛ فالأوقاف الإسلامية لعبت دورًا كبيرًا في دعم العمل الخيري منذ مئات السنين، وبالتالي فعلينا أن نحيي نظام الوقف في حياتنا، مع اعتماد سياسة وقفية واضحة المعالم من حيث تطوير الوقف المالي وتنميته بإضافة أوقاف جديدة لكل مؤسسة من المؤسسات الخيرية مما يعطيها الاستقرار. وهناك نوعان من الأوقاف من حيث تمويل الوقف:

الأول: هو أن تقوم جهة أو شخص معين ببناء وقف خاص به يعود دخله إلى الفقراء من عائلته والباقي إلى المجتمع وهو الأكثر شيوعًا في عالمنا الإسلامي.

أما الثاني: فهو أن تقوم المؤسسات الخيرية بمشاريع وقفية وبيع أسهمها للجمهور فيكون وقفًا خيريًا مساهمًا، وهذا ما ندعو إلى تطويره في الوقت الحالي.

ثالثًا: حالة مؤسسات الخير المتبرعة والمستقبلة

أخذت ظاهرة تأسيس وانتشار مؤسسات الخير وخاصة في المنطقة العربية تنمو نموًّا ملحوظًا في الآونة الأخيرة، وذلك من خلال ظهور العديد من المؤسسات المتبرعة كالمؤسسات الأسرية والعائلية والفردية، وظهور مؤسسات خيرية أخرى كمؤسسة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية، وهيئة آل مكتوم في الإمارات، ومؤسسة الحريري في لبنان، ومؤسسة عبد الحميد شومان في الأردن، وبرنامج الخليج العربي الإنمائي، ومؤسسات الراجحي والصانع في السعودية، ومؤسسة الهلال الأحمر بالجزائر، وعدد آخر في بلدان عربية أخرى، فضلًا عن المؤسسات الخيرية المتلقية التي تنتشر على نطاق واسع في كل أرجاء الوطن العربي.

ونرى مساهمات كبيرة لتلك المؤسسات في مشاريع التنمية التعليمية والصحية وفي دعم مؤسسات الرعاية الاجتماعية ومكافحة الفقر، كما تشهد مؤسسات الخير العربي محاولات حثيثة لتوجيه منافع الخير العربي إلى القطاعات التنموية التي هي في أمس الحاجة إلى الجهد والإمكانات المالية والبشرية. وعلى الرغم من هذا الدور الملحوظ لمؤسسات الخير العربي، إلا أن هذا الدور لم يحقق بعد الأهداف المرجوة منها؛ لأن ذلك يتطلب تمتين العَلاقة ما بين الجهات المانحة أفرادًا ومؤسسات وشركات، والجهات المتلقية من أفراد ومؤسسات وهيئات وجمعيات خيرية.

وفي ظل تراجع الدولة عن دعم الخِدْمات الاجتماعية، (كخِدْمات التعليم والصحة ومياه الشرب والكهرباء والسكن وتوفير مناصب الشغل، والضمان الاجتماعي ودعم مؤسسات الرعاية الاجتماعية) أصبح يُعوّل اليوم على دعم القطاع الخاص؛ حيث يمكن لهذا القطاع من خلال استثماراته الكبيرة في المجالات الاقتصادية المختلفة ـ المساهمةُ في توفير التمويل اللازم لمشاريع التنمية والخِدْمات الأساسية، فضلًا عن دعم مشاريع الخير وتأصيل دوره الخيري والتنموي.

وقد شهد العمل الخيري تطورًا كبيرًا في هذا العصر، وذلك من الناحية الإدارية؛ حيث انتقل العمل في الهيئات الخيرية من الطرق القديمة، فيمثل الفرد فيها العمود الفقري إلى العمل المؤسسي مستخدمًا أحدث الوسائل التكنولوجية، ومن الناحية المالية التي شهدت بدورها نموًّا كبيرًا من ناحية الكم والكيف المتعلق بطرق الجمع والإضافة إلى الكمّ المصروف على المشاريع الخيرية، وهذا ينطبق على معظم الهيئات الخيرية في الدول العربية مع مراعاة الفرق بين الدول الغنية والفقيرة. كما نشير إلى أن العمل الخيري لا يقتصر نشاطه على الدول العربية بل امتد إلى الدول الصديقة ودول الجوار، بالإضافة إلى الوقوف مع كثير من الدول التي تعرضت وتتعرض إلى كوارث طبيعية أو غيرها... إلخ.

ويعتبر هذا بحق مظهرًا حضاريًّا متميزًا؛ حيث يحكم على الدول والشعوب بمعدل مساهماتها في العمل الخيري والإنساني.[١]

أهم الطرق الناجعة لتحقيق الاستثمار في العمل الإنساني:

١ـ إنشاء منصة للتمويل الجماعي للمشروعات والبرامج الإنسانية والإغاثية تحت اسم (المنصة العالمية للإغاثة)، تحت شعار (هدفنا الإنسان).

٢ـ اعتماد الاستثمار الإنساني كهدف استراتيجي عاجل.

٣ـ زيادة الاهتمام برأس المال الفكري، وتعزيز أركانه الإبداعية والابتكارية، والثقافية، والفكرية، والعلمية، والمهارية.

٤ـ تشجيع التعاون الإقليمي والدولي بما يعود بالنفع على الفرد والمجتمع.[٢]

التحديات التي تواجه التمويل في المنظمات الإنسانية

يعتبر التمويل هو العمود الفقري للمنظمات الإنسانية، فكلما تمكنت من التغلب على قلة الموارد المالية، وتوفير مصادرها ـ تمكنت من تحقيق دورها بنجاح؛ إذ عليه يتوقف حجم النشاط وبرامج التنمية والإغاثة، والخِدْمات، والمساعدات المقدمة للمحتاجين والمتأثرين جراء الكوارث والأزمات. ولكنّ هذه الجهود تواجه العديد من التحديات التي تتعلق بالبنية التنظيمية والإدارية، والموارد البشرية، ومن أهم هذه التحديات المالية:

١ـ محدودية الموارد / المصادر المالية.

٢ـ ضعف استثمار الفائض عن الحاجة التشغيلية.

٣ـ اعتماد الموارد المالية على التبرعات والهبات.

٤ـ عدم السعي لتكوين أوقاف تدر بالدخل.[٣]

---

(١) انظر: محمد بكار بن حيدر: مقال بعنوان: «تمويل العمل الخيري عنصر فاعل لتوفير الخِدْمات»، صحيفة البيان https://www. albayan. ae/

(٢) انظر: مقال لـ: د. إبراهيم أحمد الدوي، «الاستثمار في العمل الإنساني» https://medadcenter. com/

(٣) انظر: عثمان، صالح محمد، وآخرون، «المرأة المسلمة ودورها الدعوي والخيري»، ملف العدد، الشقائق، مجلة شهرية شاملة، ع ٥٤، ذو الحجة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م. ص٢٠. ومقال لـ: إبراهيم أحمد الدوي، «الاستثمار في العمل الإنساني».

وهناك من منظمات الأعمال ما تواجه عددًا كبيرًا من التحديات، من أهمها:[١]

١ـ رفع مستوى الجودة للسلع والخِدْمات المقدمة.

٢ـ زيادة الإنتاجية.

٣ـ تقلب الأسواق العالمية والبورصات وما أشبه ذلك (ظروف خارجية).

٤ـ التغير في الأسعار والظروف الخارجية المحيطة.

٥ـ التنافسية في السوق.

٦ـ التحديات التسويقية.

٧ـ التحديات الناجمة عن الاشتراطات البيئية.

٨ـ حرية انتقال البضائع ورأس المال، بالإضافة إلى تحديات داخلية.

ومن أهم الحلول التي يمكن الإسراع توفيرها لمواجهة تلك التحديات:[٢]

١ـ زيادة الإنتاج في ظل الازدياد السكاني الذي يشهده العالم اليوم، والرغبات المتجددة للعملاء.

٢ـ تحسين جودة السلع، وهو الأساس والمطلب الأساسي لنجاح عمل المؤسسات.

٣ـ إشباع رغبات العملاء من خلال فتح أسواق جديدة.

٤ـ مواكبة التطوّر التكنولوجي واتباع أساليب جديدة في الإنتاج.

٥ـ القيام بإنتاج منتجات جديدة في السوق، وذلك في إطار عملية التنويع التي تنتهجها المؤسسات.

النقطة الخامسة : أهمية إبراز القيم الاجتماعية والإنسانية في العمل الاجتماعي بين أفراد المجتمع

تُعدّ القيم الاجتماعية والإنسانية من أهم الركائز التي تُبنى عليها المجتمعات، وتقام عليها الأمم، وتتعلق القيم بالأخلاق والمبادئ، وهي معايير عامّة وضابطة للسلوك البشري الصحيح، والقيم الاجتماعيّة هي الصفات المرغوب فيها لدى أفراد المجتمع، والتي تحددها ثقافته مثل التسامح والعفو، وللقيم الاجتماعيّة أمثلة وأنواع، ولها أسباب تؤدي إلى غيابها عن واقع الحياة، كما أنّ لها وسائل لتعزيزها. والأمثلة عن القيم الاجتماعيّة كثيرة منها:

---

(١) انظر: مقال لـ: أحمد الحلو، «ما هي أهم التحديات التي تواجه منظمات الأعمال؟ https://ujeeb. com/

(٢) انظر: مقال لـ: أحمد الحلو، «ما هي أهم التحديات التي تواجه منظمات الأعمال؟».

١ـ الصدق: يُعد أهم قيمة في التعامل اليومي مع الناس، ابتداء من الأسرة، وانتهاء بالمجتمع. الحديث، فالصدق من الأخلاق الأساسية التي يتفرع عنها غيرُها، يقول بعض العلماء: «واعلم رحمك الله أن الصدق والإخلاص أصلُ كل حال، فمن الصدق يتشعب الصبر، والقناعة، والزهد، والرضا، والأنس. وعن الإخلاص يتشعب اليقين، والخوف، والمحبة، والإجلال، والحياء، والتعظيم... فالصدق في ثلاثة أشياء لا تتم إلا به، صدق القلب بالإيمان تحقيقًا، وصدق النية في الأعمال، وصدق اللفظ في الكلام»(١).

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما عمل الجنة؟ قال: «الصدق، إذا صدق العبد بَرَّ، وإذا بَرَّ آمَنَ، وإذا آمَنَ دخَل الجنة»، قال: يا رسول الله، وما عمل النار؟ قال: «الكذب، إذا كذَب العبد فجَر، وإذا فجَر كفَر، وإذا كفَر دخل النار»(٢).

٢ـ الإيثار: قيمة عظيمة في مجال السلوك، وهو يعبِّر عن تخلّي الإنسان عما يحبّه لصالح غيره، يزرع في النفوس المودة، والمحبة، والرأفة والرحمة، وينزع من القلوب الكراهية والبغضاء؛ إذ إن القلوب مجبولة على تعظيم صاحب الإيثار ومحبته، كما أنها مجبولة على بُغض البخيل المستأثر ومقته.

وقد روى البخاري في صحيحه عن أبِي هُريرة رضِي اللهُ عنه، أنّ رجُلًا أتى النّبيّ ﷺ، فبعث إِلى نِسائِه فقُلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسُولُ اللهِ ﷺ: «من يضُمُّ أو يُضِيفُ هذا؟»، فقال رجُلٌ مِن الأنصار: أنا، فانطلق بِه إلى امرأتِه، فقال: أكرِمي ضيف رسُولِ اللهِ ﷺ، فقالت: ما عِندنا إلا قُوتُ صِبياني، فقال: هيِّئي طعامك، وأصبِحي سِراجك، ونوِّمي صِبيانك إِذا أرادُوا عشاءً، فهيّأت طعامها، وأصبحت سِراجها، ونوّمت صِبيانها، ثُمّ قامت كأنّها تُصلِحُ سِراجها فأطفأته، فجعلا يُرِيانِه أنّهما يأكُلان، فباتا طاوِيَين، فلمّا أصبح غدا إِلى رسُولِ اللهِ ﷺ، فقال: «ضحِك اللهُ اللّيلة، أو عجِب مِن فعالِكُما»، فأنزل الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

٣ـ الكرم والسخاء: فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «السخيُّ قريب من الله، قريب من الجنة، قريب من الناس، بعيد من النار. والبخيل بعيد من الله، بعيد من الجنة، بعيد من الناس، قريب من النار»(٣).

---

(١) انظر: رسالة المسترشدين، المحاسبي، ص١٧١.

(٢) رواه أحمد في مسنده: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسانيد أهل البيت، مسند عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما، ج٤، ص٣٨٣.

(٣) سنن الترمذي: (٤: ٣٤٢)، رقم: (١٩٦١)، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث يحيى بن سعيد عن الأعرج عن أبي هريرة إلا من حديث سعيد بن محمد، وقد خولف سعيد بن محمد في رواية هذا الحديث عن يحيى بن سعيد إنما يُروي عن يحيى بن سعيد عن عائشة شيء مرسل، والمعجم الأوسط: (٣: ٢٧)، رقم: (٢٣٦٣)، قال المناوي: بأسانيد ضعيفة يقوى بعضها بعض؛ يُنظر: التيسير بشرح الجامع الصغير: (٢: ١٣٧).

٤ـ الحياء: وهو من الضوابط المهمة للسلوك البشري في المجتمع، وله فضل عظيم في الإسلام؛ فهو شعبة من شعب الإيمان، وخلق من أخلاق الإسلام، فمن تمسّك به حسُن إسلامه، وجمُلت أخلاقه وخصاله، ومن تخلّق به ترك المعاصي استحياء من ربّه، والتزم بوازع الحبّ والتّعظيم في طاعته، فالحياء يبعد صاحبه عن قبيح المنكرات، وفضائح السّيئات، وإنّه يكسي صاحبه احترامًا ووَقارًا، فهو صفة من صفات الرّسل والأنبياء والأولياء، وإنّه صفة جميلة في معشر الرّجال، كما أنّه في النّساء أجمل! فالتزام الحياء يجمّل القبيح، وتركه يُقبّح الجميل. وهو قمّة الأخلاق، وإشارة على بقيّة الأخلاق، فمن تزيّن به استطاع أن يتزيّن ببقيّة الأخلاق الفاضلة، ومن حُرِمه حُرِم بقيّة الأخلاق الفاضلة، وانغمس في المعاصي والمنكرات.

فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير»[(١)].

٥ـ البذل والتضحيّة: وذلك بجعل اهتمامات الفرد الخاصة لصالح المجتمع ككل.

فعن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال: «إن الله كريم يحب الكُرماء، جَوَاد يُحِب الجَوَدة، يُحبُّ معالي الأخلاق، ويكرهُ سَفْسافَها»[(٢)].

والمراد بالتضحية: التبرع بالشيء دون مقابل، كالتضحية بالنفس أو المال أو العمل أو الوقت أو الجاه أو العلم أو المنصب، أو غير ذلك، حتى يظن الإنسان أن لا حقَّ له فيما زاد على حاجته الضرورية، فيبذل جهده في تقويم ذلك دون مقابل مادي يناله مكافأة على تبرعه، وإنما يرجو بذلك كله وجه الله تعالى، ونُصرة دِينه.

وهذا المعنى نفسه هو المقصود مـن الجُود والبذل، وإن كان غلَب إطلاق الجود على إنفاق المال الكثير، بسهولة من النفس، في الأمور الجليلة القدر الكثيرة النفع كما ينبغي، وهو لا شك من أعظم أبوابه، والمال عماد لكثير من أعمال الخير المتعدية التي لا تقوم إلا به[(٣)].

٦ـ التعاون والتعاضد: يعدّ التعاون من أهم مقوِّمات وركائز التواصل البشري، ولا غنًى عنه لفرد من الأفراد أو مجتمع من المجتمعات، فهو ركيزة التكافل الاجتماعي، وفيه يكمل أبناء المجتمع بعضهم في شتى جوانب الحياة، ممّا يقلل ويقلص من منابع الفقر والعَوَز في المجتمع[(٤)].

---

(١) رواه البخاري في «كتاب الأدب»، باب الحياء، حديث (٦١١٧).

(٢) رواه ابن عساكر، وقال الشيخ الألباني: حديث صحيح، انظر: صحيح الجامع، رقم١٨٠٠.

(٣) انظر المدارج، ٢/ ٢٧٩، ٢٨٢.

(٤) انظر: مقال لـ: إبراهيم العبيدي: «مفهوم القيم الاجتماعية» https://mawdoo3. com/.

فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم، وتراحُمِهم، وتعاطُفِهِم، مثلُ الجسدِ إذا اشتكى منهُ عضوٌ تداعى لهُ سائِرُ الجسدِ بالسّهرِ والحُمّى»[١].

أهميّة القيم الاجتماعيّة

تُعدُّ القيم الاجتماعيّة والأخلاق من أقوى ما تُبنى به المجتمعات، ومن أهم الروابط التي تربط بين أفراد المجتمع، فبها تنتشر المحبة بين أفراد المجتمع، وتعم الأخوّة بينهم، ويقوى التماسك والترابط بينهم بهذه القيم، وهي الضمانة لاستقرار المجتمعات وازدهارها. ونجد أنّ الأمم التي تنهار إنما كانت بداية انهيارها بانهيار القيم والأخلاق؛ فلا يمكن فصل القيم عن الأخلاق، فهي تشترك معًا في تحديد وضبط السلوك البشري في وجهته العامّة والخاصّة، قال الشاعر في حديثه عن الأخلاق:

وإنّما الأمـمُ الأخـلاق مـا بقِيَـتْ فـإن هُمُـو ذهبَـت أخلاقهم ذهَبـوا[٢]

١ـ أهمية العمل الإنساني التطوعي للفرد وللمجتمع

للعمل التطوعي أهمية كبيرة للفرد وللمجتمع وينعكس ذلك في سلوكيات الفرد وأيضًا في التعاملات داخل المجتمع.

أولًا: للفرد

ينعكس العمل الإنساني على الفرد بشعوره بالراحة والسلام النفسي عندما يسترجع إنجازه فيما قدمه من مساعدة للآخرين، وفي تكوين شبكة عَلاقات جديدة؛ حيث يتعرف الشخص على العديد من الأفراد المتطوعين الذين يُؤثِّر كلٌّ منهم في الآخر، ويساعدهم ذلك في عملهم الإنساني، فإن العمل الإنساني يساعد الفرد نفسه في ترتيب أولوياته والقدرة على اتخاذ القرارات وتنظيم الوقت.

ثانيًا: للمجتمع:

حيث يعمل على زيادة الإخاء وتقوية العَلاقات بين أفراد المجتمع ويؤدي ذلك إلى التنوير الفكري الذي يساعد في تقدم المجتمعات العمل التطوعي، فيحاول أن يقضي قدر المستطاع على الاحتياج والفقر داخل المجتمع، سواء مساعدات مادية لفقراء أو طلبة جامعات أو القضاء على أمراض كالتبرع لمستشفيات السرطان وغيرها.[٣]

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) انظر: مقال لـ: إبراهيم العبيدي: «مفهوم القيم الاجتماعية»، نفس المرجع.

(٣) انظر: مقال لـ: راندا عبد الحميد، العمل الخيري من خلال مواقع التواصل الاجتماعي عن طريق نشر الوعي بين الشباب بأهمية هذا العمل وفوائده التي سوف تعود على الفرد والمجتمع: https://mqaall. com

٢ـ مبادئ العمل التطوعي الاجتماعي الإنساني

أولًا: الاستقلالية

أن يقوم الإنسان بهذا العمل التطوعي الإنساني بعيدًا عن أي ضغط سياسي أو مالي، ويكون الدافع الوحيد له هو مساعدة الإنسان وإغاثته.

ثانيًا: عدم التحيز

وهذا المبدأ يحدد أن جميع البشر متساوون، ولا يصح حرمان شخص من المساعدة التي يحتاجها لأي سبب، سواء كان لونًا أو دينًا.

ثالثًا: مبدأ الحياد

وهذا يعني عدم التحيز إلى شخص بشكل مباشر أو غير مباشر، ويتمثل الحياد الإنساني في القدرة على عدم منع أطراف النزاع من المشاركة في العمل الإنساني لأنه متاح للجميع.

رابعا: الإنسانية

وتكمن في معاملة جميع الأفراد بشكل إنساني مع اختلاف المواقف والظروف ويعتبر هذا المبدأ من أهم مبادئ العمل الإنساني.

٣ـ الدوافع والأسباب وراء العمل التطوعي الاجتماعي الإنساني[١]

الشعور بالضمان الاجتماعي.

الصدقة والرحمة للآخرين والشعور بالمسؤولية تجاه من يساعدهم.

الشعور بقيمة الذات في الحياة، وكونك عضوًا نشطًا في المجتمع، يساهم ويتغير.

تحسين حياة الآخرين ومستوى معيشتهم، وجلب السعادة لقلوبهم.

الحصول على مكافأة من الله، وتشجيع التفاني لله.

تعلم واكتساب خبرات ومهارات جديدة.

تقديم المساعدة للمناطق المحرومة والفقيرة.

أداء حق الله وزكاة الجسد مع الجهد والإحسان.

---

(١) انظر: مقال لـ: نايف محمد المرواني، بواسطة أحمد السيد كردي، أهمية العمل التطوعي ودوافعه ونظرياته، http://kenanaonline. com/ وانظر: مقال للدكتور سامي الكيلاني، القيم والدوافع والحوافز في العمل التطوعي /https://sawaed19. net

نشر فكرة المشاركة والتعاون في حل الأزمات وإنجاز المهام.

تفعيل الأدوار الوظيفية والخِدْمية للمواقع والمدارس والأندية للمشاركة في خدمة المجتمع المحلي.

التخلص من وقت الفراغ الذي يتسبب في فساد أخلاقي؛ حيث يتم محاربة الأشرار.

التطبيق العملي للتنمية الشاملة.

الأسباب الاجتماعية في العمل التطوعي:

١ـ يتعرف الفرد على كثير من الناس.

٢ـ تدريب وتأهيل الشباب من كلا النوعين على الخِدْمات الوطنية وإنجاز أي مهام متعلقة بها.

٣ـ الإيثار: فالمتطوع هو شخص لديه حب الإيثار لمساعدة الناس.

٤ـ تعميق وتوطيد الانتماء الوطني بين الشباب والمتطوعين من المراهقين أو كبار السن والبالغين.

٥ـ تربية الشباب المتفاني في التضحية بالنفس والتضحية بالنفس هو محور الذات، ومصمم على مواجهة التحديات.

٦ـ العمق الديني؛ حيث تحث الأديان على التطوع ومساعدة الناس.

دعم الحكومات فيما لا تستطيع مواجهته بسبب الظروف الاقتصادية أو محدودية الموارد والقدرات.

جلب خبرة متخصصة في العمل التطوعي والدعم المالي الخارجي وتطبيق أفضل للأداء من الموظفين بأجر.

القيادة والتغيير وحرية تطبيق الأساليب الجديدة دون التزامات رسمية أو تعقيدات إدارية وحكومية.

القيام بالعمل التطوعي من أهم ما تسعى له الكثير من المؤسسات الآن والأفراد أيضًا.[١]

ومن بين مجالات العمل التطوعي ما يلي:

ومجالات العمل التطوعي مفتوحة أمام الجميع، مثل:

١ـ خدمة ذوي الاحتياجات الخاصة.

حيث يقدم الشخص الكثير من المساعدات إلى المحتاجين لها من ذوي الاحتياجات الخاصة على اختلاف المشاكل التي يواجهونها، على أن يقوم الشخص بتقديم تلك الخِدْمات بهدف مساعدتهم وبدون أي مقابل مادي.

---

(١) انظر: مقال لـ: نصر عربي، «العمل التطوعي» https://t3bir. com/

٢ـ التعاون في الأماكن العامة.

وهنا يقدم الشخص الخِدْمات التي يستطيع إتمامها في الشارع أو الأماكن العامة في المدينة أو البلد التي يتواجد بها من خِدْمات نظافة عامة أو مساعدة كبار السن أو نشاطات تفيد الأخرين.

٣ـ المساعدات للفقراء والمساكين.

وهو المجال الذي يهتم به الكثير من الأشخاص، وله صور كثيرة، منها جمع التبرعات لهم من خلال الجمعيات الخيرية أو شراء ما يكفيهم من الطعام والشراب أو معاونتهم على تحديث جزء من المكان الذي يعيشون به، وغيرها من الأشياء التي من الممكن تقديمها لهم.

٤ـ الأماكن العامة التي يستفيد منها المواطنون.

والتي تتمثل في إنارة الشوارع، والكثير من الخِدْمات الأخرى، أو تنظيف الشارع والنوادي أو الأماكن المفتوحة للتنزه، وأماكن التجمعات العامة.

٥ـ الاهتمام بدور العبادة.

والتي من بينها الكنائس والمساجد، ومن الممكن القيام بالبحث عمّا تحتاج إليه تلك الدور، والقيام بشرائها من خلال جمع الأموال، أو العمل التطوعي بتنظيف المساجد أو الكنائس مرة بالأسبوع مع مجموعة من الشباب.

٦ـ مساعدة القرى البعيدة عن الخِدْمات.

وهنا يتم استصلاحها ومدها ببعض الخِدْمات التي تعين أهلها على العيش، من مرافق ومياه وصرف وغيرها من الخِدْمات.

٧ـ القيام بخِدْمات في الشارع.

من خلال تقديم المزيد من خِدْمات المرور، وتنظيم حركتها؛ منعًا لحدوث تكدس في الشوارع وسير حركة المرور بسهولة.

٨ـ خِدْمات الإحصاء.

كأن يقدم الشخص على المشاركة في الإحصاءات التي تتم داخل البلاد والتي تساعد المؤسسات الحكومية في حصر عدد السكان في منطقة ما بعينها.[١]

---

(١) انظر: الزهراني، علي بن إبراهيم، مجالات العمل التطوعي في الميدان التربوي، سلسلة مركز الدراسات والبحوث٣، ط١، مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية، ١٤٢٦هـ. ص٧٣ - ٦٩.

وهناك مجالات أخرى للعمل التطوعي

١ـ من الممكن أن تتم المشاركة في تنظيم الكثير من الحفلات في الشوارع والميادين العامة داخل البلاد بهدف الترفيه عن الشباب والأشخاص.

٢ـ من خلال المشاركة في مجموعات الإسعاف أو عمليات الإنقاذ، بهدف إنقاذ المرضى، وخاصة عند وقوع الحوادث.

٣ـ من خلال البحث العلمي، وهو أن يقوم بتخليص أو مساعدة شخص في الأبحاث العلمية الخاصة به، وأن يُفيد الآخرين بالمجالات المتعددة.

٤ـ في حالة وجود لاجئين في البلاد أو ضحايا الكوارث الطبيعية داخل البلاد، فمن الأفضل تقديم المزيد من الخِدْمات لهم من خلال تقديم خِدْمات التدريس والخِدْمات الأخرى التي تساهم في النهوض بهم والتخلص من المشاكل التي يعانون منها.[١]

فوائد العمل التطوعي الإنساني للشباب[٢]

تحظى الأعمال الخيرية بإقبال شديد من قبل الشباب في جميع أنحاء العالم، فالشباب هم حجر الأساس في مثل هذه الأعمال الإنسانية خاصة التي تتعلق بالمنظمات الدولية الحكومية منها وغير الحكومية، ولولا جهودهم ما استمرت هذا النوعية من الأعمال. وفوائد هذا العمل كثيرة، لا تُعد ولا تُحصى، وتعود بفائدة على المجتمع وعلى الفرد.

---

(١) انظر: الزهراني، علي بن إبراهيم، مجالات العمل التطوعي في الميدان التربوي.
وانظر: العمري، علي أحمد، دخيل الله حمد الصريري، مفهوم الخدمة التطوعية ومجالاتها، أبحاث وأوراق عمل المؤتمر العلمي الأول للخِدْمات التطوعية بالمملكة العربية السعودية، المنعقد بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ ص١٩٧.
ومقال لـ: ميرفت عبد المنعم، «أهم مجالات العمل التطوعي» https://www. almrsal. com

(٢) انظر: اللحياني، مساعد بن منشط، «التطوع: مفهومه وأهميته وآثاره الفردية والاجتماعية وعوامل نجاحه ومعوقاته»، أبحاث وأوراق عمل المؤتمر العلمي الأول للخِدْمات التطوعية بالمملكة العربية السعودية، المنعقد بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ، ص. ١٨٩ – ١٨٨.
د. فهد سلطان السلطان، أستاذ اجتماعيات التربية المشارك كلية التربية/ جامعة الملك سعود، «اتجاهات الشباب الجامعي الذكور نحو العمل التطوعي «دراسة تطبيقية على جامعة الملك سعود، بحث منشور برسالة الخليج العربي – مكتب التربية لدول الخليج العربي ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٤٨ – ٤٩. ومقال لـ: راندا عبد الحميد، العمل الخيري من خلال مواقع التواصل الاجتماعي عن طريق نشر الوعي بين الشباب.

وتكمُنُ أهمية العمل التطوعي الاجتماعي الإنساني أيضًا في تعزيز شعور الانتماء للمجتمع والجماعة، والشعور بأهمية مشاركتهم ومساعدتهم ضمن الإمكانيات المتاحة والمتوافرة للشخص، فصلاح المجتمع ينعكس بالتأكيد على صلاح حياة الأفراد وتقدمهم اجتماعيًّا وتعليميًّا وصحيًّا، وبالتالي النهوض بالمجتمع ككل، وتحسين البيئة الحياتية الحاضنة للأفراد.

ثمار العمل التطوعي الاجتماعي الإنساني على الفرد والمجتمع

ثمار العمل التطوعي الاجتماعي الإنساني على الفرد[١]

هناك العديد من آثار العمل التطوعي الاجتماعي الإنساني على الفرد، ومن جملتها:

١ـ اكتساب خبرات جديدة: عندما يبدأ الشخص بالعمل التطوعي فإنه يبدأ ببذل المجهود بشكلٍ تلقائي لإنجاح وإتقان المشروع الذي يعمل به، وبالتالي يكتسب خبرات مختلفة ومتعددة في عدة مجالات، وتكون هذه الخبرات عملية ومهمة للشخص في حياته اليومية، لذلك فهي تعتبر أهم من تلك التي يدرسها في المدارس والجامعات.

٢ـ تعلم مهارات جديدة: إن طموح الأشخاص الناجحين هو اكتساب مهارات جديدة تخوّلهم وتؤهلهم للدخول إلى الحياة العملية لإنجاز الأعمال التطوعية، والتي تتطلب منهم تنظيم الوقت، والتخطيط الجيد، ومعرفة كيفية إدارة الأعمال، وتحديد الأهداف، ومعرفة كيفية التصرف بالميزانية.

٣ـ التعرف على اهتمامات جديدة: إنّ التطوع بحد ذاته يساعد على استغلال أوقات الفراغ المتاحة لدى الشخص، والتخلص من الروتين الممل في حياته، وملء الفراغ العاطفي أو النفسي الذي لديه، وبالتالي يبدأ بالقراءة والاطلاع على أمور ومجالات جديدة لم يَتطرق لها من قبل.

٤ـ تعلم العمل ضمن فريق: إنّ الأعمال التطوعية تنفذ في أغلب الأوقات في خطة جماعية تتضمن مجموعة من الأشخاص المختلفين، ومن كلا الجنسين، ومن جميع الأعمار؛ لذلك فهي تتيح الفرصة للشخص العمل ضمن فريق متكامل، وتجعله قادرًا على التعامل مع مجموعة من الأشخاص المختلفين لإنجاح وإنجاز العمل.

---

(١) انظر: اللحياني، مساعد بن منشط، «التطوع: مفهومه وأهميته وآثاره الفردية والاجتماعية وعوامل نجاحه ومعوقاته»، ص١٨٨ – ١٨٩. وانظر: جوي نوبل، لويز روجرز، آندي فرير، الدليل الأساسي لإدارة برامج العمل التطوعي، السعودية: مركز بناء الطاقات، صفحة ٢٤ – ٣٢. بتصرّف. ومقال لـ: راندا عبد الحميد، العمل الخيري من خلال مواقع التواصل الاجتماعي عن طريق نشر الوعي بين الشباب.

ثمار العمل التطوعي الاجتماعي الإنساني على المجتمع[١]

من فوائد العمل التطوعي على المجتمع:

١ـ سد احتياجات أساسية من حاجات المجتمع: هناك احتياجات للمجتمع لا تستطيع الدولة تلبيتها أو إنجازها؛ إما لعدم توفر المال، وإما لعدم استطاعتها تلبية جميع حاجاتها؛ لذلك يعتبر العمل التطوعي من أفضل الأمور التي تساعد على تلبية هذه الحاجات من المجتمع نفسه.

٢ـ تقوية الترابط والتكاتف بين أفراد المجتمع: وذلك لأنّ فئة من أفراد المجتمع نفسه هم من يقومون بهذه الأعمال، وبالتالي يزداد الترابط فيما بينهم، وتصبح عَلاقاتهم أقوى من السابق.

٣ـ زيادة أماكن تقديم الخِدْمات وتوافرها في كل مدينة: الدولة لا تستطيع توفير أماكن الخِدْمات بشكلٍ موسع وكبير، لذلك تُعد الأماكن المجانية ذات فائدة على الجميع.

٤ـ زيادة جودة الخِدْمات في المجتمع: وذلك بسبب تنمية روح التنافس بين الجماعات التطوعية.

٥ـ توفير المبالغ المالية التي تصرفها الدولة على القوى البشرية: وبالتالي إمكانية صرفها على أمور أخرى تفيد المجتمع.

صور العمل الاجتماعي في مجال الخِدْمات الاجتماعية الإنسانية من منظور الإسلام

تظهر صور العمل التطوعي الاجتماعي الإنساني من خلال النقاط التالية:

الأولى: رعاية اليتيم.

الثانية: رعاية المسنين.

الثالثة: رعاية المعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة.

الرابعة: رعاية الأرامل.

الخامسة: آثار التطوع الاجتماعي الإنساني في مجال الخِدْمات الاجتماعية والإنسانية.

---

(١) انظر: اللحياني، مساعد بن منشط، التطوع «مفهومه وأهميته وآثاره الفردية والاجتماعية وعوامل نجاحه ومعوقاته»، أبحاث وأوراق عمل المؤتمر العلمي الأول للخِدْمات التطوعية بالمملكة العربية السعودية، المنعقد بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ، ص. ١٨٩ – ١٨٨. وانظر: عيسى القدومي (٢٠١٢ – ٩ – ١٧)، «العمل التطوعي... أسسه ومهاراته (٣/ ١٠) أثر العمل التطوعي على المتطوعين»، al - forqan. net، اطّلع عليه بتاريخ ٢٠١٨ – ٩ – ١٣. بتصرّف. ومقال لـ: راندا عبد الحميد، العمل الخيري من خلال مواقع التواصل الاجتماعي عن طريق نشر الوعي بين الشباب.

أولًا: رعاية اليتيم:

اهتم الإسلام باليتيم اهتمامًا كبيرًا، وحض على الأخذ بيده ورعايته، والمحافظة على أحواله، وحذّر من التعدي على حقوقه.

ويُعرف اليتيم شرعًا بأنه: «من فقد أباه قبل بلوغ الحِنْثِ (الإدراك) ذكرًا كان أو أنثى».(١)

ويقول عليه الصلاة والسلام: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئًا».(٢)

يُبين هذا الحديث المكانة الخاصة والمرتبة العالية التي ينالها المتطوعون الذين يعملون في مجال رعاية الأيتام؛ فقد بُشروا بالمنزلة القريبة من الرسول ﷺ في الجنة، فيالها من منزلة! ويا لها من مكانة عظيمة!

وترجع أهمية كفالة اليتيم في الإسلام مراعاة لنفسيته؛ لأنه حين فقد أباه شعر بالحاجة إلى من يحميه، ويقوّي عزيمته، فكان لا بدّ من التعويض عليه؛ لئلا ينشأ منعزلًا، حاملًا الحقد للناس، ولكيلا يلجأ إلى طريق الإجرام والانحراف.(٣)

ومن واجب المجتمع الإسلامي وأفراده تجاه اليتيم ما يأتي:

١ـ رعايته وتربيته تربية سليمة وصحيحة: ويكون ذلك بتنشئته تنشئةً إسلامية على هدي القرآن والسنة النبوية؛ وذلك لأنه جُزء من الأمة الإسلامية، فإذا فسدت أخلاقه ساءت أحواله، وانتشر الفساد في أوساط الأمة.

٢ـ إصلاح حاله: حث القرآن الكريم على إصلاح حال اليتيم، والاعتناء بصحته، والإحسان إليه، لقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

٣ـ صيانة أمواله ومراعاة مصالحه: جاءت آيات عديدة في القرآن الكريم كلها تدعو إلى رعاية الأيتام والحفاظ على أموالهم، والسهر على مصالحهم، وتشدد النكير على كل من تسوِّل له نفسُه أن يتعدى على أموالهم أو يأكل شيئًا من حقوقهم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

---

(١) انظر: عمدة الحفاظ في تفسير شرح الألفاظ، أحمد يوسف الحلبي، عالم الكتب، بيروت، ط/ ١، ١٤١٤هـ، ٤/ ٤٠٣.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب اللعان، حديث رقم ٥٣٠٤.

(٣) انظر: المجتمع المتكافل في الإسلام، عبد العزيز الخياط، ص٢٤١.

ومن هنا وجب على المتطوعين في الأمة الإسلامية أن يسعَوْا جاهدين إلى توفير المؤونة لهذه الفئة، والمساهمة في بناء دُور الأيتام، وإنشاء الجمعيات الخيرية التي تعمل على إصلاحهم والعناية بهم، كما يجب التحفيز والتشجيع على كفالة الأيتام عن طريق وسائل الإعلام المختلفة، وتُبين عظيم الأجر والثواب لمن يتولى هذه المهمة السامية.

وبذلك نستطيع حمايتهم من التشرد والضياع، وصيانتهم من الحقد والخروج على المجتمع وأفراده.(١)

ثانيًا: رعاية المسنين:

حث الإسلام في تعاليمه السمحة على أن تتوافر للشيوخ الرعاية الكاملة التي تحفظ لهم كرامتهم، فهم أحوج الأفراد إلى هذه الرعاية؛ لما يتميزون به في هذه المرحلة مِن ضعف والأصل في ذلك قوله جل وعلا: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقد استعمل العرب كلمة (المُسِنّ) للدلالة على الرجل الكبير، فنقول: «أسنّ الرجل: كبُر، ويُسنُّ إسنانًا، فهو مُسن».(٢)

وقد تقول: (هَرِمٌ)، وهو (أقصى الكبر)، وتقول كذلك: (كَهْلٌ)، وجميع هذه الألفاظ تدل على كبر السن.(٣)

وشاخ الإنسان شَيخًا وشيخوخة: أسن، والشِّياخة: منصب الشيخ، والشيخ: من أدرك الشيخوخة، وهي غالبًا عند الخمسين من العمر وما فوق(٤)، وهو الذي تعوذ منه الرسول ﷺ في قوله عليه الصلاة والسلام: (اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهِرَم...(٥).

وفي الاصطلاح: المُسِنّ هو: «من دخل طور الكِبَر»، ويُحدَّد الكِبَر بأنه «حقيقة بيولوجية تميز التطور الختامي في دورة حياة البشر»(٦).

---

(١) انظر: العمل التطوعي من منظور التربية الإسلامية، إحسان محمد لافي، ص٥١.

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور، الجزء ١٣، دار صادر، بيروت، لبنان، ص٢٢٢.

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور،، الجزء ١٣، دار صادر، بيروت، لبنان، ص٦٠٧.

(٤) انظر: دراسات في سيكولوجية المسنين، عبد اللطيف محمد خليفة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١م، ص١٠.

(٥) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يُتعوذ من الجبن، برقم ٢٨٢٣، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره، برقم ٢٧٠٦.

(٦) انظر: مشكلات التقدم في السن: دراسة اجتماعية نفسية، كمال أغا، تحرير: عزت إسماعيل، دار القلم، الكويت، ١٤٠٤هـ، ص١٥٧.

تقوم رعاية المسنين في الإسلام على مرتكزات عدة تنطلق منها أوجه الرعاية التي تُقدم لهذه الفئة من المجتمع، وأبرز هذه المرتكزات ما يلي:

١ـ أن الإنسان مخلوق مكرم، ومكانته محترمة في الإسلام:

فلقد أسجد الله له ملائكته حين خلقه، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: ٧١، ٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

٢ـ أن المجتمع المسلم مجتمع متراحم متماسك ومتعاطف:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧]، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي كان من المؤمنين العاملين صالحًا، المتواصِين بالصبر على أذى الناس وعلى الرحمة بهم.

ويصف الرسول ﷺ المؤمنين بأنهم كالجسد الواحد، وذلك فيما رواه النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مثل المؤمنين في توادّهم وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»[(١)]، وفي رواية عنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينَه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله».[(٢)]

٣ـ أن جزاء الإحسان في الإسلام الإحسان:

قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، أي: هل جزاء من أحسن في عبادة الخالق، ونفع عبيده، إلا أن يحسن خالقه إليه بالثواب الجزيل، والفوز الكبير والنعيم والعيش السليم.[(٣)]

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما أكرم شابٌّ شيخًا لسِنِّه إلا قيّض الله له من يُكرِمه عند سِنِّه»[(٤)]، فهذا الحديث بيّن أن إحسان الشاب للشيخ إكرامًا له، يكون سببًا لأنْ يقيض الله من يكرمه عند كِبَره.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ج٤ ص١٩٩٩، برقم: (٢٥٨٦)، والبخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ج٨ص ١٠ برقم: (٦٠١١)، بلفظ: ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى.

(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ج ٤ ص٢٠٠٠.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، عبد الرحمن سعدي، مركز بن صالح الثقافي، جزء٧، ص٢٠٥٧.

(٤) انظر: عارضة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي، ابن عربي المالكي، دار الكتاب العربي، بيروت، جزء ٩، ص١٧٩.

٤ـ أن المسن المؤمن له مكانته عند الله ولا يزاد في عمره إلا كان له خيرًا:

فقد دلت الأحاديث الواردة عن الرسول ﷺ على أن المؤمن لا يُزاد في عمره إلا كان خيرًا له، إضافة إلى أن المسنَّ المؤمن له مكانة خاصة تتمثل في تجاوز سيئاته وشفاعته لأهل بيته، فلقد روى النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يتمنَّ أحدكم الموت ولا يدعُ به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وأنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرًا».(١)

٥ـ أن توقير الكبير وإكرامه والتشبه به سمة من سمات المجتمع المسلم:

فالمجتمع المسلم يتصف بصفات كريمة، منها: توقير الكبير في السن، وقد تواتر حثُّ رسول الله ﷺ على إكرام الكبير وتوقيره، ومن ذلك ما أخرجه البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم...»(٢).

والاهتمام بالكبير كما سبق الذكر في فضله ما جاء في كتاب الأدب المفرد للبخاري رحمه الله أنه عقد ثلاثة أبواب، وهي: (باب فضل الكبير)، و(باب إجلال الكبير)، و(باب يبدأ الأكبر بالكلام والسؤال.)

ثالثا: رعاية المعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة:

تُعرَّف الإعاقة بأنها «عدم قدرة الإنسان على المنافسة بكفاءة مع الأشخاص الأسوياء، بسبب علة مزمنة أثرت على قدرته سواء الجسمية أو النفسية».(٣)

وتُعرَّف أيضًا بأنها «الإصابة البدنية أو العقلية أو النفسية التي تسبب ضررًا لنمو الفرد البدني أو العقلي أو كلاهما، وقد تؤثر على حالته النفسية».(٤)

---

(١) رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الجنائز، باب النهي عن تمني الموت، حديث: «لا يتمنّ أحدكم الموت»، ج ٣ ص٢٥٢.

(٢) انظر: سنن أبي داود، الحافظ أبو داود، دار الجنان، بيروت، ج٢، ص٦٧٧.
وقال الشيخ الألباني، حديث حسن، انظر: صحيح أبي داود، برقم: ٤٨٤٣، ورواه ابن مفلح في كتابه: الآداب الشرعية، ج٢ ص٣١٥، عن أبي موسى الأشعري بإسناد جيد.

(٣) انظر: رعاية وتأهيل المعوقين، فهد حمد المغلوث، الرياض، ١٤١٩، ص١٩.

(٤) انظر: عبد الرحيم، عبد المجيد، تنمية الأطفال المعاقين، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٩٧، ص٩، وانظر: «التحليل السوسيو الأنثروبولوجي للإعاقة ورعاية المعوقين دراسة لواقع أسر الأطفال المختلين عقليًا بمنطقة البيض ـ الجزائر ـ للطالبة: مهداوي الدين، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، تخصص أنثروبولوجيا الصحة مذكرة لنيل شهادة ماجستير. ومقال لـ: حسني الخطيب: «مفهوم الإعاقة والمعاق (المعوق)» https://www. almayadeen. net/

فالإعاقة تعني الإصابة بقصور كلي أو جزئي بشكل دائم أو لفترة طويلة من العمر في إحدى القدرات الجسمية أو الحسية أو العقلية أو التواصلية أو التعليمية أو النفسية، وتتسبب في عدم إمكانية تلبية متطلبات الحياة العادية من قبل الشخص المعاق واعتماده على غيره في تلبيتها، أو احتياجه لأداة خاصة تتطلب تدريبًا أو تأهيلًا خاصًّا لحسن استخدامها[١]. وأهمها الإعاقة العقلية والمقصود بها: «نقص في درجة ذكاء الفرد، ويعرفها البعض على أنها عدم اكتمال نمو الجهاز العصبي؛ مما يؤدي إلى عدم قدرة الفرد على التكيف مع نفسه، ومع البيئة مِن حوله».[٢]

وبناءً على ما تقدم من تعريفات، فإن الإعاقة هي حالة من القصور في القدرات الحسية أو العقلية أو البدنية، تحول بين الفرد وبين الاستفادة من الخِدْمات المتاحة للأفراد العاديين، التي تحتاج إلى أن يطرأ عليها تعديلات لتتناسب مع طبيعة الأفراد غير العاديين.

والدين الإسلامي احترم الإعاقة واعتبرها قدرًا وواقعًا يجب التعامل معه بنفسٍ طيبة وراضية بقضاء الله وقدره.

فالإعاقة لا تعيب الإنسان ولا تنقص من قدره؛ لقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

ولقد اعتنى الإسلام بالمعوَّق انطلاقًا من اهتمامه بالإنسان الذي خلقه الله فأحسن خلقه، وصوّره فأحسن تصويره؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ * ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٦، ٧].

فالرِّباط الذي يجمع المعوَّق بأخيه الإنسان السوي في المجتمع الإسلامي رابط الدين والإنسانية تحت باب الاحترام والأخوة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

فذوو الاحتياجات الخاصة جزءٌ لا يتجزأ من المجتمع، ولا فرق بينهم وبين غيرهم إلا بالتقوى، لهم كل الحقوق التي تُعطى للفرد العادي، بل لهم حقوق أخرى نظرًا لعجزهم، ومرضهم، تُميزهم عن غيرهم.

وقد دعا الإسلام إلى رعاية المعوَّقين، وحثّ على تكافؤ الفرص بينهم في الحقوق والواجبات مع أفراد المجتمع، فالكل سواسية كأسنان المُشْط، والكل مطالب بالإسهام في صنع المستقبل للإسلام حسب ما تسمح به قدراته وطاقاته وإمكاناته واستعداداته.

---

(١) انظر: وزارة الصحة ـ المملكة العربية السعودية © 2021 https://www. moh. gov. sa/

(٢) انظر: تعليم الأطفال المتخلفين عقليًّا، نادر فهمي الزيود، عمّان الأردن، دار الفكر، ص١٩.

ومن هنا جاء تكريم الإنسان المسلم؛ لأنه شخصية منتجة في كل زمان ومكان، وفي حالة الصحة أو المرض، ولا يجوز لأحد أن يسخر منه أو يحتقره أو يستهزئ به، بل على أفراد المجتمع تقديم كل التسهيلات والخِدْمات اللازمة حتى ننسيه عجزه، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

وعليه، يُصبح المعوَّق قريبًا من الشخص السوي، بل قد تعلو منزلته عند الله في الدنيا والآخرة، بناءً على تقواه وحسن صلته بربه عز وجل؛ حيث إن ميدان العمل الصالح أو باب الخير يسع الجميع، المعوَّق والمريض والمعافى.

ثم إن الله عز وجل رفع عنهم الحَرَج في كثير من مسائل التكليف، وكتب لهم الأجر بقوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ٩١].

ومن الأساليب المتبعة في رعاية المعوَّق: تعليمه وتدريبه مهنيًّا، وتوجيهه إلى ما ينفعه من الدراسات أو الأعمال اليدوية، ومساعدته على تحقيق التوافق مع نفسه ومع إعاقته، ورفع معنوياته، وبعث الثقة لديه في نفسه، في حدود قدراته، وتكليفه ببعض المسؤوليات والأعمال التي تتماشى مع إمكاناته، ويستطيع فيها الاعتماد على نفسه، وتأكيد ذاته، وتجنيبه المواقف التي تثير فيه مشاعر الفشل والنقص، وعدم تكليفه بما لا يستطيع القيام به لقصوره الطبيعي.(١)

وتظهر العناية بالمعوَّق واضحة في عهد الحكام المسلمين، فقد بلغ من اهتمام الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه حثّ على إحصاء المعوَّقين، وخصّص مُرافِقًا لكل كفيف، وخادمًا لكل مُقعَد لا يقوى على القيام.(٢)

رابعًا: رعاية الأرامل:

إن أفراد المجتمع اليوم في غالبيته ينظرون إلى الأرملة نظرة عطف وحنان ورحمة باعتبارها محتاجة إلى من يساندها، وعليه فينبغي أن يرعاها المجتمع المسلم، وأن يكفلها كفالة تليق بكرامتها.

والمساعدات الاجتماعية نحو هذه الأرملة أمر مندوب شرعًا، فقد قال ﷺ: «الساعي على الأرملة أو المسكين كالمجاهد في سبيل الله»، وفي رواية: «أو كالقائم أو الصائم لا يفطر»(٣)، لذلك وجبت المشاركة

(١) انظر: العمل التطوعي من منظور التربية الإسلامية، ص٥٢.

(٢) انظر: العمل التطوعي من منظور التربية الإسلامية، ص٥٣.

(٣) انظر: صحيح البخاري، محمد إسماعيل البخاري، كتاب النفقات، حديث رقم ٥٣٥٣.

من طرف مؤسساتِ المجتمع المدني، أو المؤسسات الاجتماعية الرسمية، والتضامن مع الأرملة، وتقديم كل المساعدات اللازمة لرعايتها وأبنائها إن وجدوا.

ولنا في التاريخ الإسلامي نماذج من النساء اللائي أوقفن حياتهنّ على تربية أبنائهنّ بعد وفاة أزواجهن؛ فهذه أم الإمام أحمد بن حنبل تُوفي زوجها بعد ولادةِ ابنها بقليل فعرَفت ضِيق العيش، ولكن الأرملة الشابة رفضَت أن تتزوج بالرغم من كونها شابةً، ووقفت حياتها على تربيةِ ابنها، فأحسنت تربيته، ودفعت به إلى مُقرئ ليعلمه القرآن، فختمه وهو صبي. وهذه أم سفيان الثوري تقول كلمتها الحاسمة في توجه ابنها إلى العلم: «اذهب فاطلب العلم، وأنا أعولك بمغزلي»[١].

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعهد الأرامل، يسقي لهن الماء ليلًا، وكان أبو وائل رحمه الله يطوف على نساء الحي وعجائزهن كل يوم، فيشتري لهن حوائجهن وما يصلحهن.[٢]

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لأن أعول أهل بيت من المسلمين شهرًا، أو جمعة، أو ما شاء الله، أحب إليّ من حجة، ولطبق بدرهم أهديه إلى أخ في الله أحب إليّ من دينار أُنفقه في سبيل الله»[٣].

والخدمة التطوّعية في مجال رعاية الأرامل تكون بفرض نفقة لهنّ، أو إيجاد ملاجئ يلجأن إليها، ويُفضّل أن يُعلّمن في الملاجئ حرفةً أو يقمن بعمل يكتسبنَ منه[٤]، كالحِياكة والنسيج وغيرها، خاصة أن الكثير منهنّ يتعفّفْنَ عن سؤال الناس وأخذ الصدقات منهم. هذا بالإضافة إلى توفير المأكل والمشرب والرعاية الصحية والتعليم.

وقد اهتم المسلمون الأوائل برعاية الأرامل، حتى أوقفوا الأوقاف المتعددة لإيجاد بيوت لهنّ يعِشْن فيها إلى أن يُكتب لهنّ الزواج أو الوفاة.[٥]

خامسًا: آثار التطوع الاجتماعي الإنساني في مجال الخِدْمات الاجتماعية والإنسانية

إن للتطوع في مجال الخِدْمات الاجتماعية والإنسانية آثارًا تعود على الفرد والمجتمع.

---

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٢٣٧ وما قبلها.

(٢) انظر: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ج٢ ص١٠١٥.

(٣) انظر: أبو نعين أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥، ج ١ ص٣٢٨.

(٤) انظر: المجتمع المتكافل في الإسلام، عبد العزيز الخياط، ص٢٧٣.

(٥) انظر: التكافل الاجتماعي في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، ص٦٨.

أولًا: على الفرد:

إن انخراط الفرد في العمل الاجتماعي بشكل عام، وخدمته للمجال الاجتماعي والإنساني على وجه الخصوص يؤدي به إلى نيل الأجر العظيم والثواب الجزيل من الله عز وجل؛ مما يجعله قريبًا منه، وتعود عليه بالشعور بالسعادة والرضا، فحينما يقدم لإخوانه المحتاجين في الضراء، ويعمل على تخفيف آلامهم ومعاناتهم، فإنه يشعر بالسعادة وبالراحة النفسية نتيجة لما قدّم، كما تعمل على تنمية ثقة الفرد بنفسه.

وتعمل الخدمة التطوعية في مجال الخِدْمات الاجتماعية والإنسانية أيضًا على إشغال أوقات الفراغ فيما يعود بالنفع على المجتمع؛ إذ إن الإنسان محاسب على وقته فيما قضاه وماذا عمل به؛ حيث يقول الرسول ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره: فيمَ أفناه؟ وعن علمه: فيمَ فعل؟ وعن ماله: من أين اكتسبه؟ وفيمَ أنفقه؟ وعن جسمه: فيمَ أبلاه؟»[١]، لذلك على المسلم أن يُشغل وقته فيما يرضي الله تبارك وتعالى.

كما أن التربية الحديثة تؤكد ضرورة التعامل مع الوقت، وأن يكون هذا التعامل محقِّقًا لنمو الفرد ومصلحة المجتمع؛ وذلك لأن الفراغ قد يؤدي إلى ضياع وضرر في نمو الأفراد، وبخاصة المراهق الذي لم يكتمل نموه، فالفراغ يُتيح له الفرص للأفكار الشاذة، ومن ثم تؤدي إلى هلاكه وهلاك مجتمعه.[٢]

لذلك يجب على الفرد أن يستغل وقت فراغه بالأعمال والأنشطة التطوعية التي تُنمِّي شخصيته، وتحقق الخدمة الاجتماعية لمجتمعه.

ثانيًا: الآثار التي تعود على المجتمع:

يعمل التطوع في مجال الخِدْمات الاجتماعية الإنسانية على إشاعة الأُلفة والمحبة بين الناس؛ حيث إنّ الأعمال التطوعية إنْ وُجدت بين المسلمين، فإنها تعمَل على إشاعة الأُلفة والمحبة بينهم، وبذلك ينشأ المجتمع متآلفًا متكاملًا تنتشر بين أفراده المحبةُ والإخاء والتعاون، فإذا وُجد مثل هذا في المجتمع المتوادِّ المتراحم، فإنه سيكون قادرًا على مواجهة الأعداء.[٣]

كما يعمل على تنمية العَلاقات الأخوية التي تساعد على تقوية دعائم المجتمع الإسلامي وتماسكه؛ مما يجعله وَحدة إنسانية واحدة، يشُدّ بعضه بعضًا كالبنيان المرصوص، هذا بالإضافة إلى تحقيق التكافل الاجتماعي بين المسلمين.[٤]

---

(١) انظر: صحيح الجامع، محمد ناصر الألباني، حديث رقم ٧٣٠٠.

(٢) انظر: العمل التطوعي من منظور التربية الإسلامية، لـ: إحسان محمد لافي، ص٦٠.

(٣) انظر: العمل التطوعي من منظور التربية الإسلامية، لـ: إحسان محمد لافي، ص٥٩.

(٤) انظر: مقال لـ: رشيد طوحة: «الخِدْمات الإنسانية والاجتماعية في الإسلام» https://www. alukah. net/ بتصرف.

أهداف التطوع الاجتماعي والإنساني:[١]

١ـ بيان الوجه الصحيح للدين الإسلامي وقيمه الحضارية من ناحية العمل الاجتماعي الإنساني. وخاصة في الدول الغربية التي رأت نظرة مغلوطة من أولئك الذين زيّفوا نظرة الإسلام عندهم بانحرافاتهم السلوكية والأفكار الخاطئة المشوهة للإسلام.

٢ـ إحياء القيم الأخلاقية والإنسانية التي من خلالها تأسس نظام التكافل والعدالة والخِدْمات الاجتماعية في الإسلام.

٣ـ تفعيل آليات العمل الاجتماعي والإنساني في الإسلام وتطويرها بما يتماشى مع الحضارة الإنسانية المعاصرة، وبذل جهود أكثر من آليات ووجوه جديدة في الخِدْمات الاجتماعية.

٤ـ تكوين إطارات لها الرغبة في العمل في ميادين العمل الاجتماعي والإنساني.

٥ـ تقديم مبادرات في تزويد مشروع الحكومة للتنمية البشرية بآليات وميادين العمل الاجتماعي والإنساني، استجابة للظروف الحالية التي تستدعي إشراك المؤسسات التعليمية وجعلها عضوًا فعّالًا في التنمية البشرية.

٦ـ إحياء العمل الاجتماعي والإنساني بالتصور الإسلامي الصحيح مع إدخال العناصر الجديدة الفعالة التي يعرفها هذا القطاع.

النقطة السادسة: بيان دور المنظمات والهيئات الناشطة في مجال العمل الإنساني وتعزيزها ماديًّا ومعنويًّا

يُعرّف البنك الدولي تعريفًا رسميًّا للمنظمات غير الحكومية عمومًا ما مضمونه: «منظمات خاصة مستقلة جزئيًّا أو كليًّا عن الحكومات، وتتسم بصورة رئيسية بأن لها أهدافًا إنسانية أو تعاونية أكثر من كونها أهدافًا تجارية، وتسعى بصورة عامة إلى تخفيف المعاناة، أو تعزيز مصالح الفقراء، أو حماية البيئة، أو توفير الخِدْمات الاجتماعية الأساسية، أو الاضطلاع بتنمية المجتمعات».

وفي ضوء ما تقدم يُمكن تقديمُ تعريف مختصَر لهذه المنظمات من خلال سماتها، فهي: «منظمات تطوّعية إرادية مُعلَنة، لها شكل مؤسَّس دائم، تنشأ باتفاق غير حكومي فيما بين الأفراد أو جماعات الأفراد الخاصة، وهؤلاء الأعضاء ينتمون إلى جنسيات مختلفة، وهي مستقلة عن الحكومات ولا تعمل بالسياسة،

(١) انظر: مقال لـ: الأستاذ عبد العزيز فارح، أستاذ التعليم العالي (شعبة الدراسات الإسلامية): «العمل الاجتماعي في الإسلام وتطبيقاته المعاصرة» https://sites. google. com/

وتقوم بقصد تحقيق أهداف إنسانية لها سمة عالمية دون استهداف تحقيق الربح، وتمارس نشاطها عبر حدود الدول، أي في أكثر من دولة، أو على الأقل في ثلاث دول».[١]

وتُعرَّف المنظمات غير الحكومية أيضًا بأنها عبارة عن: «مجموعات أو مؤسسات تعمل بشكل مستقلٍّ عن الحكومة سواء أكان بشكل كامل أو شبه كامل، وتتسم أعمالها بالأساس بالإنسانية والتعاونية أكثر من تميزها بالسيادة القيم التجارية».[٢]

كما يعرف البنك الدولي المنظمات غير الحكومية أيضا بأنها: «منظمات خاصة تقوم بأنشطة لدفع المعاناة والدفاع عن مصالح الفقراء وحماية البيئة وتحقيق تنمية المجتمع».[٣]

التطوع في المنظمات الدولية

توجد العديد من المنظمات الدولية الكبرى التي تحتاج إلى أشخاص ممن يحبون القيام بالعمل التطوعي والقيام بأنشطة خيرية. ومن هذه المنظمات على سبيل المثال لا الحصر:

١ـ المنظمات الحكومية:

أ ـ منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، العنوان، ٨ شارع عبد الرحمن فهمي، جاردن سيتي، رقم التليفون، **٢٧٩٤٥٥٩٩ - ٢٧٩٤٣٠٣٦**

ب ـ البنك الدولي، العنوان، **١١٩١** كورنيش النيل.

ج ـ مركز التجارة العالمي ـ القاهرة، رقم التليفون

د ـ منظمة الأغذية والزراعة، العنوان، مبنى الإصلاح الزراعي ـ ١١ شارع الإصلاح الزراعي ـ الدقي، رقم التليفون، **٣٣٣٥٤٩٣٨ ـ ٣٣٣٥٤٩٦١ ـ ٣٣٣١٦٠٠٠**.

هـ ـ منظمة العمل الدولية، العنوان، **٩** شارع طه حسين، الزمالك، رقم التليفون، **٢٧٣٥٠١٢٣ ـ ٢٧٣٦٩٢٩٠**.

و ـ صندوق النقد الدولي، العنوان، **٣١** ش قصر النيل ـ وسط البلد، رقم التليفون، **٢٩٣٣٧١٢٨ ـ ٢٣٨١٠٠٥٨**.[٤]

---

(١) انظر: ماجدة أحمد محمود، المنظمات غير الحكومية الدولية: دراسة نظرية. رسالة دكتوراه. (كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧م. (ص ٢١).

(٢) انظر: الدكتور قاسمية جمال: «ملخص محاضرات في المنظمات الدولية غير الحكومية لطلبة الدكتوراة».

(٣) انظر: نفس المرجع.

(٤) انظر: مقال لـ: راندا عبد الحميد، العمل الخيري من خلال مواقع التواصل الاجتماعي.

٢ـ المنظمات غير الحكومية: عنصر فعال في التنمية

إن المنظمات غير الحكومية هي جمعيات ومؤسسات، لا تستهدف تحقيق الربح المادي من نشاطاتها. وتتألف هذه المنظمات من أفراد أو جهات ذات اهتمامات مشتركة، وتُؤسَّس لأغراض إنسانية واجتماعية. يُطلق على المنظمات غير الحكومية العديد من الأسماء الأخرى، مثل المنظمات الأهلية، ومنظمات العمل الخيري، والمنظمات غير الربحية، والمنظمات التطوعية، ومؤسسات العمل التطوعي، ومنظمات القطاع الثالث.(١)

تتراوح مجالات عمل هذه المنظمات بين حقوق الإنسان والتنمية، والأعمال الخيرية، والإغاثة، وتقديم المساعدات للمرضى والمعوَّقين، والمحرومين من التعليم ومحو الأمية وتوفير الخيام للاجئين وأصحاب الكوارث الطبيعية وغير ذلك.

يكتسب العمل الاجتماعي أهمية متزايدة؛ حيث برز دور العمل التطوعي لسَدِّ حاجات المحتاجين؛ إذ لم تعُد الحكومات قادرة على توفير احتياجات مواطنيها. فمع ارتفاع تكاليف الحياة، وتزايد احتياجات المجتمع، أصبح من الضروري وجود هيئات وطنية وإنسانية تساعد الجهات الحكومية للتكفل ولتلبية الاحتياجات الاجتماعية للمواطنين، وفي هذا الباب تظهر وتبرز جهود ودور المنظمات غير الحكومية.(٢)

تساهم المنظمات غير الحكومية في دفع عجلة التنمية الاقتصادية عبر(٣):

ـ الحد من ظاهرة الفقر، سواء عبر الدعم المالي المباشر، أو عن طريق تقديم الخِدْمات للفقراء والمُعوزين، أو من خلال مساعدتهم على وُلوج سوق العمل، عن طريق التعليم والتأهيل والتدريب.

ـ بحكم قرب منظمات المجتمع المدني من الفئات الاجتماعية الهشة فإنها أكثر دراية باحتياجاتهم، مقارنة بالحكومات والدول، والتي تبني خططها من فوق، ودون معرفة دقيقة بالاحتياجات المجتمعية لكل فئات المجتمع، وهو أمر طبيعي؛ إذ إنّ الحكومات تعمل على نطاق واسع، وتحاول تدبير معايش ملايين، أو عشرات ملايين الناس، بخلاف المنظمات غير الحكومية التي تعمل على نطاق أضيق بكثير؛ حيث تخدم غالبًا فئات محددة، وفي مناطق معينة.

ـ المنظمات غير الحكومية عمومًا أكثر كفاءة في تقديم الخِدْمات الاجتماعية بجودة عالية، وبتكلفة قليلة مقارنة بالأجهزة الحكومية، التي تعاني من البيروقراطية والتصلب الإداري وارتفاع تكاليف تنفيذ البرامج والمشاريع، وأيضا البطء في التحرك.

---

(١) انظر: برنامج رنين، http://raneen. org/

(٢) انظر: برنامج رنين، بتصرف.

(٣) انظر: مقال في موقع: http://raneen. org/

ـ على خلاف أجهزة الدولة، فإنّ المنظمات غير الحكومية تعمل في بيئة تنافسية؛ إذ تتنافس فيما بينها للحصول على الدعم والتمويل، ومن ثَم فهي تعمل بشكل دؤوب على إثبات قدرتها على تقديم الخِدْمات بأقل التكاليف، وفي أسرع وقت.

ـ تساعد المنظمات الخيرية على إعادة توزيع الثروة بين فئات المجتمع، عبر برامجها ومشاريعها التنموية التي يستفيد منها ذوو الدخل المحدود. وهذا بدوره يقلل الفجوة بين الطبقات الاجتماعية.

تلعب المنظمات الخيرية أيضًا دورًا بالغ الأهمية في التنمية الاجتماعية عبر:

ـ تنفيذ برامج متكاملة في مجالات الرعاية والتنمية الاجتماعية، مثل التعليم والتدريب والتأهيل ومحو الأمية، وبرامج مساعدات المرضى، ومساعدة أسر السجناء والمعوَّقين، وإقامة المراكز الاجتماعية للشباب، وإطعام المحتاجين.

ـ تساعد المنظمات غير الحكومية على التوعية الاجتماعية، ومعالجة الأمراض الاجتماعية مثل: الإدمان، والتشرد، والعزوف عن العمل وغيرها، عبر البرامج التوعوية (الأساليب السمعية، البصرية، والمكتوبة وغيرها)، وعبر التواصل الاجتماعي.

ـ يُعطي العمل التطوعي الاجتماعي الراحة النفسية والطمأنينة، وينمّي الثقة بالنفس عند المتطوع، فهو من أنواع الإحسان الذي يُجازي عليها الله تعالى، وتَحظى بتقدير كل من الحكومات والمجتمع. ويُعد الانخراط في العمل التطوعي الاجتماعي بمنزلة استثمارٍ لوقت الفراغ لجميع المتطوعين بشكل عام، ولفئة الشباب خاصة، والعاطلين عن العمل، أو المتقاعدين بشكل خاص.

لا يعتمد دور منظمات المجتمع المدني على التنمية الاقتصادية والاجتماعية فقط، بل يشمل مجالات تنموية أخرى:

التركيز الكثير من المنظمات غير الحكومية على المحافظة على البيئة، وتوعية المواطنين بأهميتها، وكيفية المحافظة عليها، كما تشرف على برامج ومشاريع بيئية، من قبيل برامج النظافة العامة، والتشجير وتدوير النفايات.

ـ تدعيم الخِدْمات الصحية من خلال البرامج الصحية الخيرية، خصوصًا في المناطق الريفية التي تعاني عادة من نقص حادٍّ في الخِدْمات الصحية، كما تعمل على توعية أفراد المجتمع بأساسيات الحياة الصحية والوقاية من الأمراض، وخاصة فيروس (كورونا) في عصرنا الحاضر، وتعزيز السلوكيات الصحيحة، مثل وضع الكمامة والتباعد بين الأفراد والنظافة وغسل اليدين قبل الأكل وتعقيم مياه الشرب.

وهناك ملايين المنظمات الخيرية الناشطة على مستوى العالم، والتي تشرف على برامج ومشاريع تنموية يستفيد منها مئات الملايين من الناس حول العالم. هذا الدور الكبير الذي تلعبه المنظمات غير الحكومية، عبر ازدياد نشاطها وحضورها على الصعيد العالمي، جعلها تنال اعتراف منظمة الأمم المتحدة والحكومات الوطنية كشريك أساس وفعّال في التنمية. ولذلك حاولت الكثير من الدول سنّ تشريعات وقوانين تشجع عمل هذه المنظمات، لأهمية مكانتها وتأثيرها الاجتماعي.

النقطة السابعة : بعض الاقتراحات لترسيخ ثقافة العمل التطوعي الاجتماعي الإنساني

١ـ أهمية تنشئة الأبناء تنشئة اجتماعية سليمة، وذلك من خلال قيام وسائط التنشئة المختلفة كالأسرة والمدرسة والإعلام بدور منسق ومتكامل الجوانب في غرس قيم التضحية والإيثار وروح العمل الجماعي في نفوس الناشئة منذ مراحل الطفولة المبكرة.

٢ـ أن تضم البرامج الدراسية للمؤسسات التعليمية المختلفة بعض المقررات الدراسية التي تركز على مفاهيم العمل الاجتماعي التطوعي الإنساني وأهميته ودوره التنموي ويقترن ذلك ببعض البرامج التطبيقية؛ مما يثبت هذه القيمة في نفوس الشباب مثل حملات تنظيف محيط المدرسة أو العناية بأشجار المدرسة أو خدمة البيئة.

٣ـ دعم المؤسسات والهيئات التي تعمل في مجال العمل التطوعي الاجتماعي الإنساني ماديًّا ومعنويًّا بما يمكنها من تأدية رسالتها وزيادة خِدْماتها.

٤ـ إقامة دورات تدريبية للعاملين في هذه الهيئات والمؤسسات التطوعية مما يؤدي إلى اكتساب الخبرات والمهارات المناسبة، ويساعد على زيادة كفاءتهم وتأهيلهم في هذا النوع من العمل الخيري المبارك، وكذلك الاستفادة من تجارب وخبرات الآخرين في هذا المجال التطوعي الاجتماعي الإنساني.

٥ـ التركيز في الأنشطة التطوعية الاجتماعية الإنسانية على البرامج والمشروعات التي تلبي الحاجيات الأساسية للمواطنين؛ الأمر الذي يساهم ويشارك في زيادة الإقبال على المشاركة في هذه البرامج الخيرية.

٦ـ على وسائل الإعلام المختلفة أن يلعبوا الدور الأكثر تأثيرًا في توعية أفراد المجتمع، لتحقيق العمل التطوعي الاجتماعي الإنساني ومدى حاجة المجتمع إليه، وتبصيرهم بأهميته ودوره في عملية التنمية، وكذلك بيان الدور الأساسي للعاملين في هذا المجال بطريقة تجلب لهم الاحترام.

٧ـ دعم جهود الباحثين في المزيد من البحوث العلمية حول العمل الاجتماعي التطوعي الإنساني؛ مما يساعد في تحسين العمل الاجتماعي الخيري بشكل عام، والعمل التطوعي بشكل خاص.

٨ـ الاشتغال بالعمل التطوعي الاجتماعي الإنساني سبب في معالجة الأمراض النفسية والصحية والسلوكية لبعض المتناولين للمخدرات والمدمنين لها أو لخمر أو العاطلين عن العمل أو المنحرفين اجتماعيًّا.

٩ـ استغلال التكنولوجيا الحديثة لتسهيل العمل التطوعي الاجتماعي الإنساني بين الجهات الحكومية والأهلية لتقديم الخِدْمات الاجتماعية، وتقديم بيانات دقيقة عن حاجات العمل التطوعي أو الخيري الذي يعود بالنفع للمجتمع.

وفي الأخير نسأل الله العلي القدير أن ينفعنا بما علّمنا، وأن يرزقنا الإخلاص فيما علّمنا، وأن يوفِّقنا في الأمور كلها، ونسأله العافية في الدين والدنيا والآخرة، وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك على خير البرِيّة أجمعين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بحث فضيلة الدكتورة ميادة بنت رشدي عكاوي

أستاذة التفسير بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة

دولة الإمارات العربية المتحدة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فقد تميزت المجتمعات الإسلامية بقيم أصيلة، وأخلاق نبيلة، تدعو إلى الرحمة والتآلف، والتكافل الاجتماعي، وإغاثة الملهوف. وانفردت بتمويل اجتماعي إسلامي له طابَع إنساني وعقَدي، يجعل مسؤولية الإنفاق في المجتمع تعبدية وتطوعية، وله أبعاد رائدة في التنمية والاستدامة.

أهمية البحث :

ارتفعت في العصر الحالي أعداد الضحايا والمنكوبين في العالم جرّاءَ النزاعات والأوبئة والبطالة، وانتشر الفقر بين أفراد المجتمع لتعدد المُعْوِزين من الأيتام والأرامل والمسنين والمرضى، ناهيك عن الشباب الذين قهرهم عدم التمكين، وهو ما يستدعي من الباحثين والمفكرين الوقوف الجاد بأبحاث ودراسات تُدعِّم العمل الإنساني، وتقدم حلولًا مقترحة، وتوصياتٍ للنهوض بالمجتمعات، انطلاقًا من فلسفة الإسلام النبيلة في التمويل الاجتماعي والتمكين والتنمية والاستدامة.

إشكالات البحث :

هذه الدراسة تجيب عن الأسئلة الآتية:

ـ ما المراد بالتمويل الاجتماعي الإسلامي وآلياته؟

ـ ما المراد بالعمل الاجتماعي الإنساني ومكانته في الإسلام؟

ـ ما الحاجة إلى دعم العمل الاجتماعي الإنساني، خاصة في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث والأوبئة في العالم دون النظر إلى دين أو مذهب؟

ـ ما دور المنظمات والهيئات العاملة في مجال العمل الإنساني، وكيفية تقوية جهودها، ودعمها ماديًّا ومعنويًّا؟

ـ كيف تُوظَّف آليات التمويل الاجتماعي من زكاة وصدقات وهبات ووصايا وأوقاف وغيرها في دعم العمل الإنساني، وبخاصة مساعدة الأرامل والأيتام في مناطق الصراعات والنزاعات؟

ـ ما أهمية الأعمال التطوعية ودورها الفعال في استقرار المجتمعات وتضامنها؟

ـ كيف يمكن تعزيز العمل التطوعي للقيم الاجتماعية وللتكافل الاجتماعي والتلاحم والتآزر بين أفراد المجتمع، وحل كثير من المشكلات والأزمات المجتمعية والاقتصادية وغيرها؟

ـ كيف يمكن تعزيز وترسيخ ثقافة العمل التطوعي في نفوس الناشئة والشباب من خلال المناهج الدراسية ووسائل الإعلام المختلفة؟

أهداف البحث :

ـ تحديد المراد بالتمويل الاجتماعي الإسلامي وآلياته.

ـ تحديد المراد بالعمل الاجتماعي الإنساني ومكانته في الإسلام.

ـ بيان الحاجة إلى دعم العمل الاجتماعي الإنساني، خاصة في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث والأوبئة في العالم دون النظر إلى دين أو مذهب.

ـ إبراز دور المنظمات والهيئات العاملة في مجال العمل الإنساني، وتقوية جهودها، ودعمها ماديًّا ومعنويًّا.

ـ توظيف آليات التمويل الاجتماعي من زكاة وصدقات وهبات ووصايا وأوقاف وغيرها في دعم العمل الإنساني، وبخاصة مساعدة الأرامل والأيتام في مناطق الصراعات والنزاعات.

ـ بيان أهمية الأعمال التطوعية ودورها الفعال في استقرار المجتمعات، وتضامنها.

ـ تعزيز العمل التطوعي للقيم الاجتماعية وللتكافل الاجتماعي والتلاحم والتآزر بين أفراد المجتمع، وحلّه لكثير من المشكلات والأزمات المجتمعية والاقتصادية وغيرها.

ـ تعزيز وترسيخ ثقافة العمل التطوعي في نفوس الناشئة والشباب من خلال المناهج الدراسية ووسائل الإعلام المختلفة.

منهج البحث :

استقرائي تحليلي.

هيكلة البحث :

المقدمة: تشتمل على بيان أهمية الموضوع.

المبحث الأول: دور التمويل الاجتماعي الإسلامي وآلياته في دعم العمل الإنساني.

المطلب الأول: المراد بالتمويل الاجتماعي الإسلامي وآلياته.

المطلب الثاني: تحديد المراد بالعمل الاجتماعي الإنساني ومكانته في الإسلام.

المطلب الثالث: بيان الحاجة إلى دعم العمل الاجتماعي الإنساني، خاصة في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث والأوبئة في العالم دون النظر إلى دين أو مذهب.

المطلب الرابع: إبراز دور المنظمات والهيئات العاملة في مجال العمل الإنساني، وتقوية جهودها، ودعمها ماديًّا ومعنويًّا.

المطلب الخامس: توظيف آليات التمويل الاجتماعي من زكاة وصدقات وهبات ووصايا وأوقاف وغيرها في دعم العمل الإنساني، وبخاصة مساعدة الأرامل والأيتام في مناطق الصراعات والنزاعات.

المبحث الثاني: دور النهوض بثقافة التطوع بوصفه آلية لتعزيز العمل الإسلامي المشترك.

المطلب الأول: بيان أهمية الأعمال التطوعية ودورها الفعال في استقرار المجتمعات وتضامنها.

المطلب الثاني: تعزيز العمل التطوعي للقيم الاجتماعية وللتكافل الاجتماعي والتلاحم والتآزر بين أفراد المجتمع، وحله لكثير من المشكلات والأزمات المجتمعية والاقتصادية وغيرها.

المطلب الثالث: اقتراحات لتعزيز وترسيخ ثقافة العمل التطوعي في نفوس الناشئة والشباب من خلال المناهج المدرسية ووسائل الإعلام المختلفة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

مشروع قرار وتوصيات.

المصادر والمراجع.

المبحث الأول
دور التمويل الاجتماعي الإسلامي وآلياته في دعم العمل الإنساني

تتجلى أهمية التمويل الاجتماعي الإسلامي من خلال كونه عبادة من العبادات التي يتقرب بها المُموِّل إلى الله تعالى إذا نوَى بها تلبية حاجات العباد المشروعة وإعمار الكون؛ فقد يكون فرضَ عين من خلال التمويل بالزكاة، أو فرضَ كفاية من النوعية الأخرى من التمويلات، توفيرًا للحاجات التمويلية للعباد، ومن ثَم إعانتهم على طاعة رب العباد، وتمكينهم اقتصاديًّا، فضلًا عن تقوية بنيان الدولة الاقتصادي، وإعانتها على تحقيق دورها في سياسة الدنيا وحراسة الدين.[١]

المطلب الأول : المراد بالتمويل الاجتماعي الإسلامي وآلياته

أولًا: تعريفه

يستند التمويل في اللغة إلى المال، قال ابن فارس: «تموَّل الرجل: اتخذ مالًا»[٢]، «والمال في الأصل ما يُملك من الذهب والفضة، ثم أطلق على كل ما يُقتنى ويُملك من الأعيان»[٣]، فالتمويل إعطاء المال.

ويستند تعريف التمويل الإسلامي إلى المعاملات المالية، التي تُعرَّف بأنها:

«المعرفة العميقة للأحكام المتعلِّقة بتبادل الأموال التي تكشف عن مقاصد تلك الأحكام، وعللها ومآخذها، وتربِطها بالمقاصد العامة للشريعة الإسلامية، وذلك للتمكُّن من إنزال تلك الأحكام على الوقائع الجديدة»[٤].

أما الاجتماعي في اللغة العربية فهو من (جمع)، والجمع: اسم لجماعة الناس، والاجتماعي أي مرتبط بالحياة الاجتماعية، ورجل اجتماعي، أي مزاول للحياة الاجتماعية.[٥]

وبذلك يكون معنى التمويل الاجتماعي لغويًّا هو إعطاء المال لأبعاد اجتماعية وَفق أحكام الشريعة الإسلامية.

---

(١) ينظر: أشرف دوابة، التمويل الاجتماعي الإسلامي والتمكين الاقتصادي، ص٣٥.

(٢) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٥، ص٢٨٥.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٦٣٦.

(٤) محمد عثمان شبير، المدخل إلى فقه المعاملات المالية، ص١٣.

(٥) ينظر: المعجم الوسيط ج١، ص١٣٥.

«أما التمويل الاجتماعي الإسلامي في الاصطلاح الاقتصادي فلا يختلف عن التعريف اللغوي فهو يعني: تقديم المال لأغراض اجتماعية، وَفق أحكام الشريعة الإسلامية ومقاصدها، بما يساهم في التمكين الاقتصادي وتنمية المجتمع وعمارة الكون، أو بمعنى آخر: هو تقديم المال بهدف التمكين الاقتصادي».[١]

ثانيًا: آلياته

التمويل الاجتماعي الإسلامي قد يكون تمويلًا اجتماعيًّا بحتًا دون رِبح من خلال التمويل بالقرض الحسن والزكاة والصدقات والوقف، أو تمويلًا اجتماعيًّا مع الرِّبح، ولكنه رِبح متواضِع لضمان استدامة التمويل، من خلال التمويل بالمعاوضات والتمويل بالمشاركات، بما يحقِّق المسؤولية الاجتماعية أو بالأحرى المسؤولية الاستخلافية.[٢]

سأتناول في هذا البحث التمويلَ الاجتماعي الإسلامي غير الرِّبحي، المستنِد إلى القرض الحسن والزكاة والصدقات والوقف وغيرها من كفارات ونذور وهِبات ووصايا؛ لما له من أثر راسخ في عقيدة المسلم، ويعكس آثاره على المجتمع سَعةً وتعاونًا وتكافلًا ورحمة، وهو:

أسلوب التمويل التعاوني والتكافلي:

هذا النوع من التمويل من أهم ما يميز مصادر التمويل في الإسلام عن مصادر التمويل في النظم الاقتصادية الوضعية؛ لما يترتب عليه من تشجيع على التكافل والتراحم بين أفراد المجتمع، فضلًا عن تحقيق العدالة الاجتماعية وتوزيع الثروة، وهو يشمل:

التمويل بالقرض الحسن: القرض في الإسلام هو دفع مال أو تمليك شيء له قيمة بمَحْض التفضل إلى المقترِض للانتفاع به على أن يُردَّ بمثله.

التمويل بالوقف: هو تحويل لجزء من المداخيل والثروات الخاصة إلى موارد تكافلية دائمة، تُخصّص منافعها من سلع وخِدْمات وعوائد لتلبية احتياجات الفئات المتعددة المستفيدة.

التمويل بالزكاة: هو تعبئة الأموال الزكوية، وتحويلها من الأغنياء إلى الفقراء وَفق ضوابط شرعية محددة بشكل يضمن تأمين السلع والخِدْمات الأساسية، والرعاية الاجتماعية للفقراء ومحدودي الدخل، وتنشيط الحركة الاستثمارية.[٣]

---

(١) أشرف دوابة، التمويل الاجتماعي الإسلامي والتمكين الاقتصادي، ص٣٣.

(٢) ينظر: أشرف دوابة، التمويل الاجتماعي الإسلامي والتمكين الاقتصادي، ص٣٣.

(٣) ينظر: نوال عبد المنعم بيومي، التمويل الإسلامي للمشروعات الصغيرة والمتناهية الصغر: تجارب دولية ومحلية، ص٦٧ - ٦٨، وعبد الحليم، أحمد السيد: دور المصارف الإسلامية في تمويل المشروعات الصغيرة، ص١٤٢، ١٤٣، وصالح صالحي وعبد الحليم غربي، كفاءة التمويل الإسلامي في ضوء التقلبات الاقتصادية الدورية، ص٣.

وتجدُرُ الإشارة إلى أن هذا التمويل نابع من عقيدة المسلم وطاعته لربه، وتأديته لفرضه، وتقربه بالأعمال الصالحة التي صرّحت بها نصوص الكتاب والسنة كالآتي:

حث الله سبحانه وتعالى عباده على القرض الحسن بقوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ [الحديد: ١١]، «والمراد الإنفاق أضعافًا مضاعَفة من فضله»[١]؛ فينفق ما تيسر من أمواله في طرق الخيرات، قال السعدي: «يأمر تعالى عباده بالإيمان به وبرسوله وبما جاء به، وبالنفقة في سبيله، من الأموال التي جعلها الله في أيديهم واستخلفهم عليها، لينظر كيف يعملون، ثم لما أمرهم بذلك، رغبهم وحثهم عليه بذكر ما رتب عليه من الثواب»[٢].

أما الوقف فهو «حبس العَيْن على حكم مِلْك الواقف، والتصدُّق بالمنفعة على جهة الخير»[٣]، ومحله هو «المال الموجود المتقوِّم وقد يكون عقارًا أو منقولًا»[٤]، فيعود إلى قيمة الإحسان العام، وله أصوله في القرآن والسنة، منها قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران: ٩٢]، ومنها ما جاء في حديث رسول الله ﷺ في قوله: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[٥]، وقد حمل العلماء الصدقة الجارية على الوقف؛ لأن منافع الموقوف تبقى دائمة، ويذكر الناس صاحبها بالخير والرحمة[٦]، والصدقة من الإحسان، والله يحب المحسنين؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]»[٧].

وأما الزكاة فهي أحد الأركان الخمسة لهذا الدين، وقد حث عليها القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، ورغَّبا في إخراجها وأدائها، ورهَّبا من منعها عن مستحقيها وذويها، فيقول الحق تبارك وتعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].[٨]

---

(١) عبد الله بن أحمد النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج٣، ص٤٣٥.

(٢) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٨٣٨.

(٣) وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج١٠، ص٧٥٩٩.

(٤) محمد كمال الدين إمام، الوصايا والأوقاف في الفقه الإسلامي، ص١٩٠.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ج٣، ص١٢٥٥.

(٦) محمد كمال الدين إمام، الوصايا والأوقاف في الفقه الإسلامي، ص١٩٠، بتصرف.

(٧) سعيد بن وهف القحطاني، صدقة التطوع في الإسلام، ص١٣.

(٨) ينظر: منذر قحف، الإطار المؤسسي للزكاة أبعاده ومضامينه، البنك الإسلامي للتنمية المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، ص١٣ - ١٤.

المطلب الثاني : تحديد المراد بالعمل الاجتماعي الإنساني ومكانته في الإسلام

أولًا: تعريفه

«العمل الاجتماعي نظام قانوني تكافلي يعمل على مساعدة الأفراد والجماعات والمجتمعات الإنسانية من أجل تجاوز مشكلاتهم وتأهيلهم لحياة أفضل».[١]

وعُرِّف العمل الإنساني بالعمل التطوعي في سبيل مساعدة كل محتاج، وهو عبارة عن جهد مادي وفني ومعنوي بالإضافة للشؤون التعليمية والاقتصادية.

وتبدأ هذه المبادرة من فرد من أفراد المجتمع لتتوسع إلى مجموعة من الأفراد الذين يساهمون في نهوض القضايا الإنسانية ورفع سويتها، للنهوض بالمجتمعات وإغاثتها، والوقوف بجانبها في مآسيها ومعاناتها.

وصُنِّف العمل الإنساني من العادات والتقاليد الراقية التي تتسم بها المجتمعات، وتشجع كافة الأديان الأعمال الإنسانية، وتبارك بها بصفتها قمة في الأخلاق ورقيًّا بالمعاني[٢].

والجدير بالذكر أن الجمعية العامة اعتمدت قرارًا بإعلان يوم **١٩** آب/ أغسطس يومًا عالميًّا للعمل الإنساني، واليوم العالمي للعمل الإنساني هو حملة ينظمها مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية في كل عام، ويركز اليوم العالمي للعمل الإنساني على موضوع ما، يتم من خلاله جمعُ الشركاء على نطاق النظام الإنساني للدفاع عن بقاء المتضررين من الأزمات ورفاهيتهم وكرامتهم، وللحفاظ على سلامة عمال الإغاثة وأمنهم.[٣]

ثانيًا: مكانة العمل الاجتماعي الإنساني في الإسلام

قيمة العمل الاجتماعي الإنساني أصيلة في الإسلام، قائمة على منظومة قيم دعَت إليها نصوص الكتاب والسنة، وحثّت المسلم عليها، وجعلتها عبادة يتقرب بها إلى الله تعالى، وينال بها أعلى الدرجات، فلا مجال فيها للتقصير؛ لأنها إما أن تكون إحسانًا وكرم أخلاق، وإما أن تكون واجبة كالزكاة والنذور والكفارات، وهي سبيل للتعاون والتآلف والتكافل بين أفراد المجتمع قائمة على منظومة من القيم الإسلامية تُجمل في الآتي:

---

(١) إدريس أحمد، أين العمل الاجتماعي بطابع إسلامي، موقع إسلام أونلاين، https://islamonline. net.

(٢) ينظر: محمد سليمان، تعريف العمل الإنساني، مقال إلكتروني، https://wikiwic. com

(٣) ينظر: موقع الأمم المتحدة على الإنترنت:. https://www. un. org/ar/observances/humanitarian - day

ـ الإحسان: وإلى حقيقته ترجع أصول وفروع آداب المعاشرة، ومنه تفرّعت شعب نظام المعاملات الاجتماعية[١]، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، وقال ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء»[٢]، وقال المباركفوري: «أمركم بالإحسان في كل شيء»[٣]، والذي يتميز به الإسلام عن غيره في مجال العمل الإنساني أنّه يبيِّن لأبنائه أنّ الإحسان للآخرين عبادةٌ ترفَع درجاتِهم عند ربهم، وإذا قصّر غيرُ المسلم، أو أساء فلا يجوز للمسلم التقصير؛ لأنه إن لم يحصل على الأجر في الدنيا فهناك ثواب عظيم ينتظره في الآخرة، فمن الصدقات التي يتصدق بها المسلم على نفسه مساعدة المكروبين والمظلومين؛ وقال النبي ﷺ: «على كل مسلم صدقة، قالوا: فإن لم يجد؟... قال: فيُعِين ذا الحاجة الملهوف»[٤].

ـ التكافل الاجتماعي: يعزز العمل الإنساني قيمة التكافل في الإسلام، لضرورة أنّ «التكافل الاجتماعي أساس قوي من أسس بقاء الأمة كريمة عزيزة، وهو قانون مهم يدل على رُقِيّ التجمع الإنساني وسمو غاياته، ورفعة أهدافه، ونبل مقاصده»[٥].

ـ الرحمة: قال ﷺ «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمْكم من في السماء»[٦]، فكانت مكارم الأخلاق وعقيدة المؤمن الراسخة هي الباعثَ على العمل الاجتماعي الإنساني، فالتزم العمل الديني بالعمل الاجتماعي؛ «لأن العمل الديني يتضمن أهداف الحياة ومقاصدها، بينما يتضمن العمل الاجتماعي والعمل الكوني الوسائلَ المناسبة لتحقيق هذه الأهداف والمقاصد».[٧]

المطلب الثالث : بيان الحاجة إلى دعم العمل الاجتماعي الإنساني، خاصة في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث والأوبئة في العالم دون النظر إلى دين أو مذهب

«إن ارتفاع عدد الاضطرابات السياسية في السنوات الأخيرة خاصة في المنطقة العربية، رفع عدد المنكوبين واللاجئين والمشرَّدين إلى أرقام قياسية لم تعرفها الإنسانية منذ الحرب العالمية الثانية، وهو ما

(١) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٤، ص٢٥٥.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الصيد، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، حديث١٩٥٥، ج٣، ص١٥٤٨.
(٣) محمد عبد الرحمن المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٤، ص٥٥٣.
(٤) صحيح البخاري، ط٥، كتاب الأدب، باب كل معروف صدقة، حديث٥٦٧٦، ج٥، ص٢٢٤١.
(٥) نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، ص٣٤١.
(٦) محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر وآخرين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، باب ما جاء في رحمة المسلمين، حديث١٩٢٤، ج٤، ص٣٢٣.
(٧) ماجد عرسان الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية، ص٤٧.

يستدعي مزيدًا من التوعية والتعاون والتنسيق، وتوحيد الجهود على المستوى الوطني والإقليمي والدولي؛ لمواجهة هذه التحديات، ورسم آفاق تساعد على التخفيف والحدِّ من هذه المأساة الإنسانية».[١]

وانطلاقًا من القيم الإسلامية الأصيلة في تعزيز العمل الاجتماعي الإنساني، وتعزيزًا للتكافل والرحمة والإحسان، وإغاثة الملهوف ومبدأ الوحدة الإنسانية في الإسلام، وتفعيلًا لأبواب الخير، ولإيصال أموال الزكاة والصدقات لمستحقيها، كانت الحاجة ماسة للتعاون بين المؤسسات الإنسانية المحلية والدولية؛ لتأمين الدعم المادي والمعنوي لجميع المحتاجين والمتضررين في العالم بالبحث والتحري دون تمييز بين دين ومذهب وعرق، خاصة في الظروف الطارئة من كوارث وأوبئة ونزاعات وصراعات.

المطلب الرابع: إبراز دور المنظمات والهيئات العاملة في مجال العمل الإنساني، وتقوية جهودها، ودعمها ماديّا ومعنويّا

مثَّلت الكوارث دومًا عاملًا مهمًّا في تطور العمل الإنساني منذ بداياته الأولى إلى يومنا هذا، الذي باتت تحتل فيه النشاطات الإنسانية موقعًا مهمًّا على الساحة الدولية، وتدخل في حسابات الكثير من الفاعلين في النظام الدولي، ولحاجة المجتمعات والدول التي لا تستطيع بنفسها مواجهة الكوارث الطبيعية أو نتائج الحروب المدمرة ـ لزِم جعلُ العمل الإنساني مُحوكمًا؛ إذ لم تعد المشاعر النبيلة كافية، ما تطلَّبَ إضفاء المِهَنية على العمل الإنساني، ما انعكس أيضًا على تغير اختصاص العاملين الإنسانيين، وأدى إلى تحول عملهم من مجموعات متفرقة تهدُف إلى تقديم العون للمتضررين من الحروب، كلٌّ بحسب اختصاصه، إلى مؤسسات بيروقراطية ضخمة، وممتدة أحيانًا بعمل الحكومات المحلية والوزارات[٢].

باتت الجهات الفاعلة في العمل الإنساني في شتى بقاع الأرض على نحو غير مسبوق، بدءًا من الحكومات التي تُناط بها المسؤولية الرئيسية عن مد شعوبها بالمساعدة مرورًا بالمنظمات والشبكات الدولية والوطنية وانتهاءً بدوائر الأعمال والمؤسسات الخاصة، التي تُشارك بأعداد متزايدة في مدِّ المحتاجين بالمساعدة والحماية إنقاذًا للأرواح، ومنها على سبيل المثال:

اللجنة الدولية للصليب الأحمر: التي تعمل «في أكثر من ٨٠ بلدًا، ولديها ١٣٠٠٠ موظف في جميع أنحاء العالم، وتمتلك اللجنة الدولية شبكة واسعة من البعثات والوفود بالإضافة إلى متطوعين في الصليب الأحمر والهلال الأحمر، تسمح لها بالعمل على مقرُبة من السكان المتضررين من النزاعات المسلحة،

(١) عبد الحفيظ سعيد مقدم، تقرير عن مؤتمر العمل الإنساني: آفاقه وتحدياته، ص١٥٥.

(٢) ينظر: غسان الكحلوت، العمل الإنساني والواقع والتحديات، ص١٤، ٦٩.

وغيرها من حالات الطوارئ والكوارث الطبيعية، وتسعى دائمًا من أجل توفير استجابة إنسانية قوية»[١]. كما أنّ لها أنشطة دولية إنسانية نبيلة في مجالات الأمن الاقتصادي، ولمِّ شمل العائلات، والتصدي للعنف الجنسي، والصحة وغيرها. «وقد أثّر سلبًا تعدد وانتشار النزاعات المسلحة على مباشرة واستمرار العمل الإنساني، وعلى أفراد المنظمات الدولية الإنسانية القائمين عليه، الذين تواجههم العديد من الأخطار والعراقيل، أثناء تقديم المساعدات الإنسانية للضحايا المتضررين من أجل مساعدتهم، والتخفيف من معاناتهم، وبسبب هذا النشاط الإنساني أصبح أفراد المنظمات الدولية الإنسانية الناشطون في هذا المجال عُرضةً لعدة أخطار تُهدِّد حياتهم وحريتهم، ما يستدعي إيجاد آليات تضمن أمن وسلامة الأفراد والأطقم التي تعمل في حقل العمل الإنساني التطوعي، وتقع هذه المسؤولية على الجهات المعنية بتنفيذ واحترام القانون الدولي الإنساني، من خلال عدة تدابير من شأنها توفير الحماية لأفراد وموظفي المنظمات الدولية غير الحكومية ذات الطابع الإنساني»[٢].

ـ منظمة أطباء بلا حدود: «وهي منظمة إنسانية دولية مستقلة غير ربحية تهدف إلى توفير المعونات الطبية دون أدنى تمييز للسكان الذين تلم بهم الأزمات، وتُعوِّل المنظمة على المتطوعين من العاملين في الميدان الصحي إضافة لغيرهم ممن احترفوا مِهنًا أخرى، وباستقلال تام عن أي دولة أو مؤسسة كانت، وعن أي نفوذ أو تأثير سياسي أو اقتصادي أو ديني»[٣].

والجدير بالذكر أن الأمين العام للأمم المتحدة (بان كي مون) دعا إلى عقد مؤتمر قمة عالمي بشأن العمل الإنساني ليكون أول مؤتمر من نوعه يُعقد على امتداد تاريخ الأمم المتحدة البالغ ٧٠ عامًا، الذي عقد في إسطنبول يومي ٢٣ و٢٤ أيار/ مايو ٢٠١٦م، ودعا الأمين العام في تقريره إلى ضرورة وضع العمل الإنساني ـ أي سلامة البشر وكرامتهم وحقهم في الازدهار ـ نُصْبَ الأعين في عملية صنع القرار على الصعيد العالمي، وطرَحَ خطة للعمل الإنساني يُحدِّد فيها الإجراءات الرئيسية والتحولات الاستراتيجية الضرورية لتحقيق هذه الرؤية. ويهيب بالدول الأعضاء والأمم المتحدة والمنظمات الإنسانية وسائر الجهات المعنية أن تنهض بخمس مسؤوليات أساسية ألا وهي: (١) كفالة توافر القيادة السياسية القادرة على منع نشوب النزاعات وإنهائها. (٢) التمسك بالقواعد التي تكفل صون الإنسانية. (٣) إلحاق الجميع بالرَّكْب. (٤) تغيير حياة الناس من إيصال المعونة إلى إنهاء الحاجة. (٥) الاستثمار في العمل الإنساني.

---

(١) روبير مارديني، العمل الإنساني في النزاعات المسلحة والكوارث الطبيعية، موقع الصليب الأحمر على الإنترنت: https:// www. icrc. org/ar/doc/resources/documents/statement/2012/gis - statement - 2012 - 04 - 03. htm

(٢) محمد قسوم، حماية أفراد المنظمات الدولية الإنسانية: اللجنة الدولية للصليب الأحمر نموذجًا، http://dspace. univ - tebessa. dz: 8080/xmlui/handle/123456789/1816

(٣) فابريس ويسمان، في ظل حروب عادلة العنف والسياسة والعمل الإنساني، ص٣٦١.

والواقع أن المسؤوليات الأساسية الخمس المنصوص عليها في خطة العمل الإنساني يمكن ـ متى أُدِّيت مجتمعة ـ أنْ تغير حياة الناس، وأنْ تحدث تحولًا هائلًا في أسلوب تعامل المجتمع العالمي مع معاناة البشر، وذلك عن طريق التأهب للأزمات والتصدي لها، وطلب القادة بدء تنفيذ الخطة إثر القمة مباشرة، وإحراز تقدم حقيقي في غضون ثلاثة أعوام، وتتيح قمة إسطنبول فرصة لقادة العالم من الحكومات والمنظمات الإنسانية ودوائر الأعمال والمجتمع المدني ليتعهّدوا بالنهوض بالمسؤوليات الأساسية الخمس بما يجعل من خطة العمل الإنساني إطارًا للعمل والتغيير والمساءلة المتبادلة.(١)

هذا على الصعيد الدولي، ضرورة أننا نجد روح الإنسانية حاضرة منذ القدم في قلوب أفراد المجتمعات المحلية؛ حيث أنشئت مؤسسات للعمل الإنساني وجمعيات خيرية كثيرة في كل البلاد، مُهمّتها مَدُّ يد العون للمحتاجين والمتضررين، فكانت رافدًا أساسيًّا لمنظومة العمل الاجتماعي الإنساني على مر التاريخ.

وخلاصة القول في وسائل دعم مؤسسات العمل الإنسانية تتركز في الآتي:

الدعم على الصعيد المحلي من خلال تمويلها بمصارف الزكاة والصدقات والتبرعات، والتنسيق بينها وبين الحكومات المحلية للدعم ماديًّا ومعنويًّا، من خلال توفير البرامج القادرة على رَفْدها بأنواع شتى من التبرعات، كتخصيص جزء من الخيارات في أجهزة السحب الآلي في البنوك، وأجهزة الصرافة، والمواقع الإلكترونية، وسهْم تبرع اختياري في أماكن العمل، وتعزيز ثقافة المسؤولية المجتمعية، وقيم التكافل والعبادة المالية المفروضة إعلاميًّا وأكاديميًّا.

ـ أما على الصعيد الدولي فيتم دعمها بالتعاون التام مع منظمات العمل الإنساني، وجعل مؤتمر القمة العالمي للعمل الإنساني الذي عقد في إسطنبول ٢٠١٦م، نقطة تحول في أسلوب تأهب العالم للأزمات ودرئها والتصدي لها، وتفعيل خطة التنمية المستدامة حتى عام ٢٠٣٠م، التي قدمها الأمين العام للأمم المتحدة (بان كي مون) في تقريره.

وتجدر الإشارة إلى «اسفير» الميثاق الإنساني والمعايير الدنيا في مجال الإنسانية، وهو نتاج تعاون واسع مشترك بين الوكالات، الذي يتجسد فيه تصميم الوكالات على تحسين فعالية ما تقدمه من مساعدة، واستعدادها لتحمل المسؤولية أمام أصحاب المصلحة، بما يسهم في وجود إطار عملي للمساءلة. وبالطبع فإن هذ الميثاق لا يمنع الأزمات إلا أنه يتيح الفرصة لتعزيز المساعدة بهدف إحداث تغيير في حياة الناس

(١) ينظر: إنطوان جيرار، إعداد خطة للعمل الإنساني، الموقع الإلكتروني للأمم المتحدة: https://www. un. org/ar/chronicle/article/20183

المتضررين من الكوارث، وترجع أصولها إلى أواخر التسعينيات من القرن الماضي كمبادرة من مجموعة من المنظمات غير الحكومية الإنسانية وحركة الصليب الأحمر والهلال الأحمر، فإن معايير «اسفير» يجري تطبيقها الآن كمعايير واقعية في مجال الاستجابة الإنسانية في القرن الحادي والعشرين[١].

المطلب الخامس : توظيف آليات التمويل الاجتماعي من زكاة وصدقات وهبات ووصايا وأوقاف وغيرها في دعم العمل الإنساني، وبخاصة مساعدة الأرامل والأيتام في مناطق الصراعات والنزاعات

يُعد التكافل الاجتماعي في الإسلام مقصدًا لتحقيق المطالب والحاجات النفسية لكل إنسان يعيش في كنف المجتمع المسلم[٢]، ويضمن لكل فرد يعيش على أرضه المستوى المعيشي اللائق، وهو ما يطلق عليه الفقهاء حدَّ الكفاية التي يقصد بها: «كفالة المستوى اللائق لمعيشة كل فرد بما يتمشَّى والمستوى العام الذي يعيشه كافة أفراد المجتمع».[٣]

وتُعد المساعدة المباشرة للفقراء، وبخاصة الأرامل والأيتام في مناطق الصراعات والنزاعات ـ بمثابة تجسيد للتضامن والتكافل الإسلامي الإنساني. ولتحقيق هذا المقصد اتُّخذت آليات لتفعيل التمويل الاجتماعي من زكاة وصدقات وهبات ووصايا وأوقاف وغيرها في دعم العمل الإنساني، و«الاهتمام بتحقيق التكافل الاجتماعي بين جميع المسلمين على اختلاف دولهم ومجتمعاتهم، وعلى اعتبار أن الزكاة فريضة إسلامية عامة»[٤].

وهذه المساعدات يمكن تأديتها فرديًّا أو عائليًّا أو من خلال جمعيات خيرية، إلا أن دور الدولة في هذا المجال يبقى حاسمًا، فهذا الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون الهادون المهديون يعطوننا خير مثال على ذلك تجاه هذه الشعيرة؛ فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: «والله! لأقتلنَّ من فرّق بين الصّلاةِ والزّكاةِ، فإنّ الزّكاة حقُّ المال، واللهِ! لو منعُونِي عِقالًا كانُوا يُؤدُّونهُ إِلى رسُولِ اللهِ ﷺ لقاتلتُهُم على منعِهِ»،[٥] وكان يقول: «والله لا أُفرِّق بين شيئين جمعهما الله عز وجل»[٦].

---

(١) ينظر: تون فان زوتفن وجون داميريل، مشروع اسفير، ترجمة مها الخفاجي وطارق رزق، ص٣.

(٢) ينظر: الدسوقي، مصطفى بشير، وعبد الرحمن، خالد. ٢٠١٥، مهددات الأمن الإنساني (الفقر): دراسة حالة منطقة الفتح (١٠١٣م - ٢٠١٤م)، ص١.

(٣) محمد باقر الصدر، اقتصادنا، ص٦٤٠، إبراهيم الطحاوي، الاقتصاد الإسلامي، مذهبا ونظامًا، المجلد الثاني، ص٢٥٨.

(٤) البنك الإسلامي للتنمية المعهد الإسلامي للبحوث، الإطار المؤسسي للزكاة أبعاده ومضامينه، ص٦٦٥.

(٥) صحيح مسلم، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، حديث (٣٢) ٢٠، ج١، ص٥١، وينظر: أحمد بن حجر العسقلاني، المطالب العالية، كتاب الزكاة، باب أخذ عقال البعير في الصدقة، حديث ٩٠٠، ج٥، ص٥٠٦. بلفظ نحوه.

(٦) محمد صديق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، ج٥، ص٢٤٤.

«فكانت الدولة الإسلامية التي أقيمت في المدينة المنورة هي التي تتكفل في ذلك العهد بالنفقات الاجتماعية، وتُشرف على تحويل الموارد والمداخيل لفائدة المُعْوِزين من السكان، ويبقى هذا المبدأ صالحًا في أيامنا هذه، حتى وإن كانت كيفية مساعدة الفقراء قد تتطور بحسب متطلبات العصر»[١]، فظهرت مؤسسات الحِسْبة، لمراقبة النشاط الاقتصادي، ومؤسسة الزكاة للإنفاق على الفقراء والمساكين[٢] الذين بينهم الله سبحانه وتعالى في مصارف الزكاة الثمانية[٣] بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٦٠].[٤]

إنّ الزكاة تمثل الركن المالي الاجتماعي، وتُفصح عن نظرة استخلاف الإنسان على المال في حياته الدنيا، فقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾ [الحديد: ٧]؛ فالزكاة بهذا نظام اجتماعي اقتصادي، تساهم اجتماعيًّا في سدّ حاجات المجتمع، وإحداث التلاحم الذي يجعل المجتمع مثل الجسد الواحد، تصديقًا لقول رسُولُ اللهِ ﷺ: «ترى المُؤمِنين: فِي تراحُمِهِم، وتوادِّهِم، وتعاطُفِهِم، كمثلِ الجسد، إذا اشتكى عُضوًا، تداعى لهُ سائر جسده بالسهر والحمى»[٥]، وتساهم اقتصاديًّا بما تحققه في الغالب من حدّ كفاية المجتمع[٦].

ونخص بالذكر الحاجة الماسة للمُعْوزِين من الأيتام والأرامل في حال السلم وفي حال النزاع والصراعات، التي تُعد من الأولويات التي تتطلب الدعم العاجل الجادَّ، وتوظيف كل الإمكانات الفردية والحكومية والدولية لإيصال التمويل الاجتماعي للمتضررين للحصول على الأمن الاجتماعي والنفسي؛ لتكتمل منظومة التكافل الاجتماعي بأبهى حلله.

(١) عبد الحميد براهيمي، العدالة الاجتماعية والتنمية في الاقتصاد الإسلامي، ص١٦٨.

(٢) ينظر: سعيد سعد مرطان، مدخل الفكر الاقتصادي في الإسلام، ص٥٨، وينظر: رضوان الشافعي مرزوق، دور الاقتصاد الإسلامي في الحد من الجريمة، ص٣١.

(٣) وتجلية لهذه المعاني، وبيان لأحكام الزكاة، وطرق تطبيقها في العالم الإسلامي انعقد المؤتمر الثالث للزكاة بماليزيا. ينظر: البنك الإسلامي للتنمية المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، الإطار المؤسسي للزكاة، أبعاده ومضامينه، ص١٣ - ١٤.

(٤) ينظر: حسام الدين عفانة، فقه التاجر المسلم، ص٧٤.

(٥) صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، حديث ٥٦٦٥، ج٥، ص٢٢٣٨.

(٦) ينظر: منذر قحف، الإطار المؤسسي للزكاة أبعاده ومضامينه، البنك الإسلامي للتنمية المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، ص١٣ - ١٤.

المبحث الثاني
دور النهوض بثقافة التطوع بوصفه آلية لتعزيز العمل الإسلامي المشترك

«يشكل العمل التطوعي البنية الأساسية في تطور المجتمع وارتقائه، ويساعد على الترابط الاجتماعي بين أفراد المجتمع، ويرتكز المبدأ الأساسي لسلوك التطوع على الرغبة الذاتية للأفراد في تقديم المعونة أو المشورة بمختلف أشكالها المعرفية والمهارية والعينية والمادية، إلى من هم بحاجة إليها، سواء طُلبت منهم أم لا، فسلوك التطوع نزعة ذاتية تَنبُع من حبّ الخير، والتعاطف الداخلي بالفرد مع المواقف المختلفة في الحياة، ولا يُشترط فيها مذهب محدَّد أو عِرْق أو حِزْب سياسيي أو طائفة مجتمعية؛ حيث يرتبط بسلوك وقيم (الإنسانية) في المجتمعات»[١].

المطلب الأول : بيان أهمية الأعمال التطوعية ودورها الفعال في استقرار المجتمعات وتضامنها

العمل التطوعي: «ويقصد به كل بذل مالي أو بدني أو فكري يقدمه الفرد لخدمة المجتمع، برغبة واختيار، دون انتظار لمقابل مادي»[٢]، له دور عظيم وفعّال في أمن واستقرار المجتمعات، «وأصبح مطلبًا ضروريًّا في الآونة الأخيرة نتيجة لما شهِدَه العالم من تحولات سريعة وحادة ومتلاحقة، وما صاحبها من تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية أثَّرت على الدول وأدَّت إلى إجراء تغيُّرات عميقة في هيكلها وأدوارها المنوطة، وبصفة خاصة دورها في تحقيق مختلف ألوان الرعاية الاجتماعية للأفراد، ومن ثَم فقد شهدت السنوات الأخيرة وعيًا عالميًّا ومحليًّا بالتأكيد على الدور المرتقب للقطاع الأهلي في تلبية احتياجات المجتمع، الأمر الذي يؤدّي بدوره إلى تحقيق الأمن الاجتماعي للفرد وللمجتمع على حد سواء»[٣].

والجدير بالذكر أن للمؤسسات الخيرية دورًا استراتيجيًّا في التنمية الاجتماعية، يتجلى دورها من مجرد تقديم الخير إلى تعظيم أثر الخير، والتحول من الدور الإغاثي إلى الدور التنموي المبني على التمكين من خلال مجموعة من التدابير الوقائية والعلاجية تتلخص في الدور الاستراتيجي لهذه المؤسسات في

(١) منى جواد سليمان، تحليل سياسة التطوع والعمل الإنساني في دولة الإمارات العربية المتحدة ودوره في تعزيز التنمية المستدامة، المجلة العربية للإدارة، مجلد ٤٣، عدد ٤ (تحت النشر)، ديسمبر ٢٠٢٣، ص٨٦.

(٢) عبد الغني عبد الله محمد الحربي، دور الأسرة في تنشئة الأبناء على العمل التطوعي، ندوة العمل التطوعي وآفاق المستقبل، ص١٢٦٩.

(٣) حنان عوض مختار، دور مؤسسات العمل الإسلامي في تحقيق الأمن الاجتماعي، تقديم نبيل السمالوطي، ص٧٥.

المسؤولية الاجتماعية[١]، و«مساعدة الأفراد أو الجماعات على مواجهة احتياجاتهم حتى يشاركوا في عملية التنمية»[٢].

وأصبح واقعًا: «أنّ منظمات القطاع التطوعي باتت شريكًا تنمويًّا للدولة على وجه الخصوص، وأنّ العمل التطوعي يعكس وعي المواطن وإدراكه لدوره في المجتمع، وبالتالي انتماءه لهذا المجتمع»[٣].

المطلب الثاني: تعزيز العمل التطوعي للقيم الاجتماعية وللتكافل الاجتماعي والتلاحم والتآزر بين أفراد المجتمع، وحله لكثير من المشكلات والأزمات المجتمعية والاقتصادية وغيرها

«يُعد العمل التطوعي بابًا واسعًا من أبواب الخير، وهو مطلبٌ حضاريٌّ وواجبٌ إسلامي يحُثّنا عليه ديننا الحنيف؛ وذلك من خلال الإسهام بما نملِك من إمكانات مادية، أو قدرات بدنية، أو بها جميعًا؛ لتحقيق أهداف خير تسعى لتقديم أشرف وأنبل الخِدْمات لمجتمعاتنا الإسلامية»[٤].

وقد حثت عليه نصوص الكتاب والسنة، فقال تعالى: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وقال: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]، وقال النبي ﷺ: «في كل ذات كَبِد رَطْبة صدقة»[٥].

و«للتطوع في تنظيم المجتمع أهمية خاصة، ضرورة أن هناك أنواعًا كثيرة من الأعمال بالهيئات والأجهزة والمنظمات الحكومية يعززها المتطوعون تصنف كنوعين رئيسيين:

النوع الأول: المساعدة المباشرة للعملاء، ومن ذلك التطوع لزيارة المرضى في المستشفيات، أو المسنين في دور الرعاية الخاصة بهم، أو الأطفال في الملاجئ أو القيام بالتدريس في فصول محو الأمية، أو فصول الحياكة، أو التطريز للفتيات، أو تطوع طبيب للعمل بعض الساعات في عيادة عامة، أو الإسهام في تنظيم المرور، أو تشجير بعض المناطق، أو إرشاد الحجيج... إلخ.

النوع الثاني: المساعدة غير المباشرة، وهي تقديم معونات إلى هيئات وما في حكمها، حتى تتمكن من تقديم خِدْماتها المباشرة للعملاء، ومن ذلك التطوع للاشتراك في حملات جمع المال والتخطيط لها، أو الاشتراك في أعمال اللجان المختلفة بالمؤسسات والأجهزة والمنظمات المختلفة»[٦].

---

(١) ينظر: الرمضي بن قاعد الصقري، دور المؤسسات الخيرية في المسؤولية الاجتماعية، ص١٠، ص٢١٨.

(٢) عبد الله البستنجي، التنمية الاجتماعية، ص٨٨.

(٣) حنان عوض مختار، دور مؤسسات العمل الإسلامي في تحقيق الأمن الاجتماعي، ص٥١ - ٥٢.

(٤) خالد بن حميدان الحميدان، دور الأسرة في نشر ثقافة العمل التطوعي، ندوة العمل التطوعي وآفاق المستقبل، ص١١١٠.

(٥) محمد بن إسماعيل البخاري، الأدب المفرد، تحقيق: محمد فواد عبد الباقي، باب رحمة البهائم، حديث ٣٧٨، ص١٣٧.

(٦) خالد بن حميدان الحميدان، دور الأسرة في نشر ثقافة العمل التطوعي، ص١١٢١.

إن فكرة التلاحُم بين أفراد المجتمع نابعة من قيمهم الإسلامية العريقة، وعقيدتهم الراسخة ونُبْل أخلاقهم التي تمثّلت في تلاحُم الأشعريين الذين أثنى عليهم الرسول ﷺ بقوله: «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قلّ طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم»[١].

وهذا التلاحم الأشعري يسمى في العصر الحديث بالتأمين التعاوني: «وهو أن يشترك مجموعة من الأشخاص بدفع مبلغ معين، ثم يُؤدّى من الاشتراكات تعويضٌ لمن يصيبه ضرر».[٢]

«ويقوم هذا النوع على فكرة التعاون بين مجموعة من الأفراد يكوِّنون جمعية ما؛ حيث يتحملون جميعًا مخاطر الكوارث والتعويض عنها، عن طريق توزيع ذلك التعويض بينهم بما يخفف من آثاره وعبئه على الفرد»[٣].

وهو فكرة رائعة للتعاون والتكافل بين أفراد المجتمع والسعي على منَعَته وتعزيزه وتنميته، ويُمكن تفعيلُها في شتى المجالات المهنية والمجتمعية، كالنقابات المهنية، والجمعيات الأسرية.

المطلب الثالث : اقتراحات لتعزيز وترسيخ ثقافة العمل التطوعي في نفوس الناشئة والشباب من خلال المناهج المدرسية ووسائل الإعلام المختلفة

«ترتبط دوافع العمل التطوعي بعمر المتطوع ورغبته في العمل التطوعي»[٤]، ونظرًا لما يمثله الشباب من أهمية خاصة، لكونهم في مرحلة العطاء، ويمتلكون القدرة الذهنية والبدنية العالية؛ فقد سعَتِ الكثير من الدول إلى غرس ثقافة التطوع، وتشجيعِها بينهم، وتنبُع أهمية مشاركة الشباب في العمل التطوعي من تعزيز انتماء الشباب لأوطانهم، ومن تنمية مهارات الشباب الفكرية والفنية والعلمية والعملية، ومن إتاحة الفرص أمامهم للتعبير عن آرائهم في القضايا التي تهم مجتمعاتهم.[٥]

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض، حديث ٢٣٥٤، ج٢، ص٨٨٠، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأشعريين، حديث ٢٥٠٠، ج٤، ص١٩٤٤.

(٢) وهبة الزحيلي، مجلة مجمع الفقه الإسلامي الدولي، مجلد ٢، ص٥٤٨.

(٣) علاء الدين زعتري، فقه المعاملات المالية المقارن، ص٢١٦.

(٤) سمر محمد المالكي، استراتيجية التسويق للعمل التطوعي في خِدْمات الحج والعمرة بجامعة أم القرى، ندوة العمل التطوعي وآفاق المستقبل، ص١٢٤٧.

(٥) ينظر: ياسر عبد الفتاح القصاص، تصور تخطيطي لمواجهة معوقات مشاركة الشباب الجامعي السعودي في العمل التطوعي، ندوة العمل التطوعي وآفاق المستقبل، ص١٣٦٩.

لذا فإن مؤسسات المجتمع المدني على اختلاف أنواعها وأدوارها ومسؤولياتها ـ تسعى لتحقيق مفهوم العمل التطوعي الشامل، وزيادة الوعي به، وتنمية ونشر ثقافته باعتباره من الأهداف الرئيسية لخدمة المجتمع الحديث في العصر الحالي، وهذا يجعل تلك المؤسسات تسعى قُدُمًا إلى العناية بهذا النوع من الأعمال وتنميته لدى الأفراد، عبر جمعيات ومؤسسات ومنظمات تقوم بنشر ثقافته وتنميته لدى أفراد المجتمع بشكل عام وفئة الشباب بشكل خاص، وطلاب المرحلة الجامعية بأكثر خصوصية.(١)

ويمكن تفعيل دور الشباب الجامعي في العمل التطوعي بالنقاط الآتية:

ـ استخدام التكنولوجيا الحديثة لتنسيق العمل التطوعي بين الجهات الإدارية والطلاب لتقديم الخِدْمات الاجتماعية، وتقديم بيانات دقيقة عن حجم واتجاهات وحاجات العمل التطوعي الأهم للمجتمع.

ـ التنسيق بين الجامعات والجهات المعنية الأخرى بالعمل التطوعي لتنظيم دورات تدريبية للطلاب على الأنشطة التطوعية.

ـ استصدار نظام للعمل التطوعي يحدد نطاق التطوع، وأهدافه، وأنشطته، وقواعد ممارسته، وتنظيم العَلاقات بين الجهات ذات الصلة.

ـ أنْ تضُم البرامج الدراسية للمؤسسات التعليمية المختلفة والجامعات بعضَ المقررات الدراسية التي تركز على مفاهيم العمل الاجتماعي التطوعي وأهميته ودوره التنموي.

ـ مطالبة وسائل الإعلام المختلفة بدور أكثر تأثيرًا في تعريف أفراد المجتمع بماهية العمل التطوعي، ومدى حاجة المجتمع إليه، وتبصيرهم بأهميته ودوره في عملية التنمية، وكذلك إبراز دور العاملين في هذا المجال بطريقة تكسبهم الاحترام الذاتي واحترام الآخرين، «فوسائل الإعلام تؤثر في كل جانب من جوانب سلوك الأفراد وسلوك المجتمع»(٢).

ـ تدعيم جهود الباحثين لإجراء المزيد من الدراسات والبحوث العلمية حول العمل الاجتماعي التطوعي؛ مما يسهم في تحسين واقع العمل الاجتماعي بشكل عام والعمل التطوعي بشكل خاص.

ـ أهمية تنشئة الأبناء تنشئة اجتماعية سليمة، وذلك من خلال قيام وسائط التنشئة المختلفة كالأسرة والمدرسة الإعلام بدور منسق ومتكامل الجوانب في غرس قيم التضحية، والإيثار، وروح العمل الجماعي في نفوس الناشئة منذ مراحل الطفولة المبكرة.

---

(١) ينظر: إبراهيم بن عبد الله العبيد، أساليب تنمية العمل التطوعي لدى طلاب المرحلة الجامعية بالمملكة العربية السعودية «صيغة مقترحة»، ندوة العمل التطوعي وآفاق المستقبل، ص٩٦٥.

(٢) سناء الجبور، الإعلام الاجتماعي، ص١٢٧.

ـ تسهيل الإجراءات واللوائح المرتبطة بتسيير الأنشطة التطوعية، وسرعة إنجاز معاملاتها في الجهات ذات العَلاقة.

ـ الاستفادة من الجامعات الأوروبية الأمريكية التي وضعت برامج تحفيزية وتعريفية بالبرامج التطوعية المتاحة أمام الطلاب الجامعيين؛ وذلك لتحقيق عدة أهداف منها:

ـ زيادة وعي الطلاب بالفرص المتاحة أمامهم للتطوع في مجالات خدمة المجتمع.

ـ التعريف بالجمعيات التطوعية العاملة بالمجتمع بإقامة مهرجانات وعروض ومعارض ذات صلة بالتطوع.

ـ استخدام محطات الإذاعة والتلفزيون داخل الحرم الجامعي للتعريف ببرامج التطوع.

ـ دعوة المنظمات غير الرسمية والمنظمات التطوعية لزيارة حرم الكلية والالتقاء بالطلاب.

ـ تفعيل استمارة التطوع للطالب الجامعي وربطها بأعمال التقييم للأعمال الفصلية.[1]

(١) ينظر: ياسر عبد الفتاح القصاص، تصور تخطيطي لمواجهة معوقات مشاركة الشباب الجامعي السعودي في العمل التطوعي، ص١٤٥٧ - ١٤٦٠.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

تناولت في بحثي أبعاد التمويل الاجتماعي ودوره في تعزيز العمل الإنساني والتطوعي خاصة في ظل النزاعات والصراعات والظروف الطارئة، وخلصت إلى أهم النتائج الآتية:

التمويل الاجتماعي الإسلامي هو تقديم المال لأغراض اجتماعية وَفق أحكام الشريعة الإسلامية ومقاصدها، بما يساهم في التمكين الاقتصادي وتنمية المجتمع وعمارة الكون.

يُعد التمويل الاجتماعي الإسلامي من أهم مصادر التمويل، لما يترتب عليه من تشجيع على التكافل والتراحم بين أفراد المجتمع، ويُعد عبادة يتقرب بها إلى الله عز وجل.

التمويل الاجتماعي الإسلامي قد يكون تمويلًا اجتماعيًّا بحتًا دون رِبح من خلال التمويل بالقرض الحسن، والزكاة، والصدقات، والوقف، أو تمويلًا اجتماعيًّا مع الرِّبح، ولكنه رِبح متواضع لضمان استدامة التمويل، من خلال التمويل بالمعاوضات، والتمويل بالمشاركات، بما يحقق المسؤولية الاجتماعية.

العمل الاجتماعي نظام قانوني تكافلي، يعمل على مساعدة الأفراد والجماعات والمجتمعات الإنسانية، من أجل تجاوز مشكلاتهم، وتأهيلهم لحياة أفضل.

قيمة العمل الاجتماعي الإنساني أصيلة في الإسلام، قائمة على منظومة قيم دعَت إليها نصوص الكتاب والسنة، وحثّت المسلم عليها، وجعلتها عبادة يتقرب بها إلى الله تعالى، من أهمها التكافل الاجتماعي، والإحسان، والرحمة.

انطلاقًا من القيم الإسلامية الأصيلة في تعزيز العمل الاجتماعي الإنساني، وتعزيزًا للتكافل والرحمة والإحسان، وإغاثة الملهوف ومبدأ الوحدة الإنسانية في الإسلام ـ يتمُّ دعمُ العمل الاجتماعي الإنساني، خاصة في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث والأوبئة في العالم دون النظر إلى دين أو مذهب.

باتت الجهات الفاعلة في العمل الإنساني في شتى بقاع الأرض على نحو غير مسبوق بدءًا من الحكومات التي تناط بها المسؤولية الرئيسية في مد شعوبها بالمساعدة مرورًا بالمنظمات والشبكات الدولية والوطنية وانتهاءً بدوائر الأعمال والمؤسسات الخاصة ـ تشارك بأعداد متزايدة في مدِّ المحتاجين بالمساعدة والحماية؛ إنقاذًا للأرواح.

اللجنة الدولية للصليب الأحمر: التي تعمل في أكثر من ٨٠ بلدًا، ولديها ١٣٠٠٠ موظف في جميع أنحاء العالم، وتمتلك شبكة واسعة من البعثات والوفود بالإضافة إلى متطوعين في الصليب الأحمر والهلال الأحمر ـ تُعد من أهم المنظمات الدولية الرائدة في العمل الإنساني، ولها أنشطة دولية إنسانية نبيلة في مجالات: الأمن الاقتصادي، ولمِّ شمل العائلات، والتصدي للعنف الجنسي، والصحة وغيرها.

نجد روح الإنسانية حاضرة منذ القدم في قلوب أفراد المجتمعات المحلية؛ حيث أُنشئت مؤسسات للعمل الإنساني، وجمعيات خيرية كثيرة في كل البلاد.

يتم دعم مؤسسات العمل الإنساني على الصعيد المحلي، من خلال تمويلها بمصارف الزكاة، والصدقات، والتبرعات، والتنسيق بينها وبين الحكومات المحلية للدعم ماديًّا ومعنويًّا، من خلال توفير البرامج القادرة على رَفْدِها بأنواع شتى من التبرعات.

كما يتم دعمها على الصعيد الدولي بالتعاون التام مع منظمات العمل الإنساني، وتفعيل خطة التنمية المستدامة حتى عام ٢٠٣٠م، التي قدمها الأمين العام للأمم المتحدة (بان كي مون) في تقريره المقدم لمؤتمر القمة العالمي للعمل الإنساني الذي عقد في إسطنبول ٢٠١٦م.

توظيف آليات التمويل الاجتماعي من زكاة، وصدقات، وهبات، ووصايا، وأوقاف وغيرها في دعم العمل الإنساني، وبخاصة مساعدة الأرامل والأيتام في مناطق الصراعات والنزاعات.

تُعد المساعدة المباشرة للفقراء هي بمثابة تجسيد للتضامن والتكافل الإسلامي الإنساني، وهذه المساعدات يمكن تأديتها فرديًّا أو عائليًّا، أو من خلال جمعيات خيرية، إلا أن دور الدولة في هذا المجال يبقى حاسمًا.

العمل التطوعي هو كل بذل مالي أو بدني أو فكري يقدمه الفرد لخدمة المجتمع، برغبة واختيار، دون انتظار لمقابل مادي.

العمل التطوعي يعكس وعي المواطن وإدراكه لدوره الفعال في استقرار المجتمع وتضامنه.

يعزز العمل التطوعي القيم الاجتماعية والتكافل الاجتماعي والتلاحم والتآزر بين أفراد المجتمع، ويحل الكثير من المشكلات والأزمات المجتمعية والاقتصادية وغيرها.

يعزز التأمين التعاوني قيم التكافل والتلاحم والتعاون بين أفراد المجتمع في مواجهة الأزمات.

أهمية تعزيز ثقافة التطوع لدى الشباب أكاديميًّا من خلال المناهج الدراسية، وإعلاميًّا؛ لما لوسائل الإعلام من تأثير في كل جانب من جوانب سلوك الأفراد وسلوك المجتمع.

مشروع قرار وتوصيات

التعريف بأهمية التمويل الاجتماعي الإسلامي على المستوى المحلي والعالمي وتبادل الخبرات بين مؤسساته.

التعريف بأدوات التمويل الاجتماعي وواجبها العقدي والاجتماعي كفريضة الزكاة والكفارات، وثواب الصدقات والهبة والوقف، ودورها في دعم العمل الإنساني من خلال المناهج الدراسية والبرامج الإعلامية.

دعوة الحكومات الإسلامية لنيل نصاب الزكاة من دخل الفرد المستحق تعويضًا عن الضرائب، وتنظيم تفعيلها مع المنظمات الإسلامية الدولية؛ لأنها تُعد الأداة الملزمة للفرد والممول الاجتماعي الإسلامي الرئيس.

دعوة صندوق الزكاة لتفعيل فلسفة الإسلام في جعل الزكاة تقتلع الفقر من جذوره باحتساب سهم كبير لكل متضرر، للتمكين من العمل، والمسكن، وقضاء الدين، وتعميمها على الجمعيات الخيرية.

إعداد العاملين المؤهلين فقهيًّا وإداريًّا للنهوض بمستوى الأداء في منظمات العمل الإنساني، من خلال الدورات التدريبية والميدانية، وتبادل الخبرات بين المؤسسات ذات الصلة على المستوى المحلي والعالمي.

تبني نظام معلومات إلكتروني يعتني بدراسات إحصائية عن مؤسسات العمل الإنساني في كل دولة وجمعها في برنامج واحد، للاستفادة من توزيع المهام بينها والتعاون لمسح جميع الفئات المستحقة.

الدعوة لتفعيل التأمين التعاوني التبادلي بين أفراد المجتمع والمؤسسات الحكومية.

تخصيص برامج إعلامية تعزز ثقافة التطوع في المجتمع وتبين أهميته وفضيلته في الإسلام.

تشجيع الشباب على التطوع وتدريبهم في ورش عمل لصقل مهاراتهم العلمية والمادية.

مناشدة وزارة التربية والتعليم لاعتماد مادة التطوع ضمن المناهج الدراسية.

تخصيص حصص دراسية للتطوع تحتسب من النشاط المدرسي ودرجات السلوك.

اعتماد التطوع كمساق اختياري في الجامعة يحتسب من الساعات الجامعية المعتمدة لجميع التخصصات.

فهرس المصادر والمراجع

ـ https: //www. un. org/ar/observances/humanitarian-day .

ـ **إبراهيم بن عبد الله العبيد،** أساليب تنمية العمل التطوعي لدى طلاب المرحلة الجامعية بالمملكة العربية السعودية (صيغة مقترحة)، ندوة العمل التطوعي وآفاق المستقبل، جامعة أم القرى، مكة، **١٤٣٣**هـ/ **٢٠١٢**م.

ـ **إبراهيم مصطفى وآخرون،** المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق، **٢٠٠٤**م.

ـ **أحمد بن حجر العسقلاني،** المطالب العالية، تحقيق مجموعة من الباحثين، تنسيق سعد بن ناصر الشثري، دار العاصمة للنشر والتوزيع، **١٤١٩**هـ**١٩٩٨**م، ط١.

ـ **أحمد بن فارس،** معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، **١٣٩٩**هـ/ **١٩٧٩**م.

ـ **إدريس أحمد،** أين العمل الاجتماعي بطابع إسلامي، موقع إسلام أونلاين، https: //islamonline. net.

ـ **أشرف دوابة،** التمويل الاجتماعي الإسلامي والتمكين الاقتصادي، مجلة إسراء الدولية للمالية الإسلامية، المجلد الثاني عشر، العدد الأول، يونيو **٢٠٢١**م.

ـ **إنطوان جيرار،** إعداد خطة للعمل الإنساني، الموقع الإلكتروني للأمم المتحدة: https: //www. un. org/ar/chronicle/ article/20183

ـ **البنك الإسلامي للتنمية المعهد الإسلامي للبحوث،** الإطار المؤسسي للزكاة أبعاده ومضامينه، وقائع ندوة رقم **٢٢**، جدة، **١٤١٦**هـ.

ـ **تون فان زوتفن وجون داميريل،** مشروع اسفير، ترجمة مها الخفاجي وطارق رزق، بلومنت للطباعة: المملكة المتحدة، **٢٠١١**.

ـ **حسام الدين عفانة،** فقه التاجر المسلم، المكتبة العلمية ودار الطيب للنشر: بيت المقدس، **١٤٢٦**هـ/ **٢٠٠٥**م، ط١.

ـ **حنان عوض مختار،** دور مؤسسات العمل الإسلامي في تحقيق الأمن الاجتماعي، تقديم نبيل السمالوطي، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، **٢٠١٦**م.

ـ **خالد بن حميدان الحميدان،** دور الأسرة في نشر ثقافة العمل التطوعي، ندوة العمل التطوعي وآفاق المستقبل، جامعة أم القرى، مكة، **١٤٣٣**هـ/ **٢٠١٢**م.

ـ **الدسوقي،** مصطفى بشير، وعبد الرحمن، خالد. **٢٠١٥**م. مهددات الأمن الإنساني (الفقر): دراسة حالة منطقة الفتح (**١٠١٣**م ـ **٢٠١٤**م) رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم.

ـ **رضوان الشافعي مرزوق،** دور الاقتصاد الإسلامي في الحد من الجريمة، مكتبة الوفاء القانونية: الإسكندرية، **٢٠١٤**م، ط١.

ـ **الرمضي بن قاعد الصقري،** دور المؤسسات الخيرية في المسؤولية الاجتماعية، مكتبة الملك فهد الوطنية: الرياض، **١٤٤٠**هـ/ **٢٠١٩**م، ط١.

ـ **روبير ماردیني،** العمل الإنساني في النزاعات المسلحة والكوارث الطبيعية، موقع الصليب الأحمر على الإنترنت: https: // www. icrc. org/ar/doc/resources/documents/statement/2012/gis-statement-2012-04-03. htm

ـ **سعيد بن وهف القحطاني،** صدقة التطوع في الإسلام، مطبعة سفير، الرياض.

ـ **سعيد سعد مرطان،** مدخل الفكر الاقتصادي في الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، **١٩٨٦**هـ**١٩٨٦**م، ط١.

ـ **سمر محمد المالكي**، استراتيجية التسويق للعمل التطوعي في خِدْمات الحج والعمرة بجامعة أم القرى، ندوة العمل التطوعي وآفاق المستقبل، جامعة أم القرى، مكة، **١٤٣٣**هـ/ **٢٠١٢**م.

ـ **سناء الجبور**، الإعلام الاجتماعي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، **٢٠١٠**م، ط١.

ـ **عبد الحفيظ سعيد مقدم**، تقرير عن مؤتمر العمل الإنساني: آفاقه وتحدياته، المجلة العربية للدراسات الأمنية، مجلد **٣٢**، عدد ٦٦.

ـ **عبد الحليم**، أحمد السيد: دور المصارف الإسلامية في تمويل المشروعات الصغيرة، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والإدارة، قسم الاقتصاد الإسلامي، الجامعة الأمريكية بأمريكا اللاتينية، **٢٠٠٩**م.

ـ **عبد الحميد براهيمي**، العدالة الاجتماعية والتنمية في الاقتصاد الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، **١٩٩٧**م، ط١.

ـ **عبد الرحمن بن ناصر السعدي**، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، **١٤٢٠**هـ/ **٢٠٠٠**م، ط١.

ـ **عبد الغني عبد الله محمد الحربي**، دور الأسرة في تنشئة الأبناء على العمل التطوعي، ندوة العمل التطوعي وآفاق المستقبل، جامعة أم القرى، مكة، **١٤٣٣**هـ/ **٢٠١٢**م.

ـ **عبد الله البستنجي**، التنمية الاجتماعية، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، الأردن، **١٤٣٨**هـ**٢٠١٧**م، ط١.

ـ **عبد الله بن أحمد النسفي**، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له محي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، **١٤١٩**هـ**١٩٩٨**م.

ـ **علاء الدين زعتري**، فقه المعاملات المالية المقارن، دار العصماء، دمشق، **١٤٢٧**هـ/ **٢٠٠٧**م.

ـ **غسان الكحلوت**، العمل الإنساني والواقع والتحديات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، **٢٠٢٠**م، ط١.

ـ **فابريس ويسمان**، في ظل حروب عادلة العنف والسياسة والعمل الإنساني، دراسة مترجمة **٢٤**، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، **٢٠٠٦**م، ط١.

ـ **ماجد عرسان الكيلاني**، أهداف التربية الإسلامية، دار القلم، ط١.

ـ **محمد الطاهر بن عاشور**، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، **١٩٨٤**م.

ـ **محمد باقر الصدر**، اقتصادنا، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط**١٣**، ص٦٤٠، إبراهيم الطحاوي، الاقتصاد الإسلامي، مذهبًا ونظامًا، مجمع البحوث الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، المجلد الثاني.

ـ **محمد بن إسماعيل البخاري**، الأدب المفرد، تحقيق محمد فواد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، **١٣٧٩**هـ، ط**٢**.

ـ **محمد بن عيسى**، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر وآخرين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، **١٣٩٥**هـ**١٩٧٥**م.

ـ **محمد بن كرم ابن منظور**، لسان العرب، دار صادر، بيروت، **١٤١٤**هـ، ط**٣**.

ـ **محمد سليمان**، تعريف العمل الإنساني، مقال إلكتروني، https: //wikiwic. com

ـ **محمد صديق خان**، فتح البيان في مقاصد القرآن، تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، **١٤١٢**هـ**١٩٩٢**م.

ـ **محمد عبد الرحمن المباركفوري**، تحفة الأحوذي، دار الكتب العلمية، بيروت.

ـ **محمد عثمان شبير**، المدخل إلى فقه المعاملات المالية، دار النفائس، الأردن، **١٤٢٣**هـ**٢٠٠٤**م، ط١.

ـ **محمد قسوم**، حماية أفراد المنظمات الدولية الإنسانية: اللجنة الدولية للصليب الأحمر نموذجًا، جامعة العربي التبسي، http: //dspace. Univ-tebessa. dz: 8080/xmlui/handle/123456789/1816

ـ **محمد كمال الدين إمام**، الوصايا والأوقاف في الفقه الإسلامي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

ـ **مسلم بن حجاج القشيري**، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

ـ **منذر قحف**، الإطار المؤسسي للزكاة أبعاده ومضامينه، البنك الإسلامي للتنمية المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، جدة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، وقائع ندوة ٢٢.

ـ **منى جواد سليمان**، تحليل سياسة التطوع والعمل الإنساني في دولة الإمارات العربية المتحدة ودوره في تعزيز التنمية المستدامة، المجلة العربية للإدارة، مجلد ٤٣، عدد ٤ (تحت النشر)، ديسمبر٢٠٢٣.

ـ **نادية شريف العمري**، أضواء على الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ط٩.

ـ **نوال عبد المنعم بيومي**، التمويل الإسلامي للمشروعات الصغيرة والمتناهية الصغر تجارب دولية ومحلية، دار السلام، مصر، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م، ط١.

ـ **وصالح صالحي وعبد الحليم غربي**، كفاءة التمويل الإسلامي في ضوء التقلبات الاقتصادية الدورية، الملتقى الدولي حول أزمة النظام المالي والمصرفي الدولي وبديل البنوك الإسلامية: الجزائر، ٢٠٠٩م.

ـ **وهبة الزحيلي**، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر: دمشق، ط٤.

ـ **وهبة الزحيلي**، مجلة مجمع الفقه الإسلامي الدولي، مجلد ٢.

ـ **ياسر عبد الفتاح القصاص**، تصور تخطيطي لمواجهة معوقات مشاركة الشباب الجامعي السعودي في العمل التطوعي، ندوة العمل التطوعي وآفاق المستقبل، جامعة أم القرى، مكة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

بحث فضيلة الدكتور محمد خليفة صديق

رئيس دائرة الثقافة والإعلام مجمع الفقه الإسلامي

الخرطوم، جمهورية السودان

مقدمة

هذا البحث، دور آليّات التمويل الاجتماعيّ الإسلامي في دعم العمل الإنساني في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث، ودور النهوض بثقافة التطوع لتعزيز العمل الإسلامي المشترك، يتناول بالدراسة والتحليل موضوعه مستخدما المنهج الوصفي، والمنهج الاستنباطي، وذلك من خلال مبحثين، وثمانية مطالب:

المبحث الأول: يتناول بالشرح والتحليل دور التمويل الاجتماعيِّ الإسلاميِّ وآليّاتِه في دعم العمل الإنساني، حيث سيناقش من خلال المطلب الأول المراد بالتمويل الاجتماعي الإسلامي، وآلياته، والمطلب الثاني تحديد المراد بالعمل الاجتماعي الإنساني، ومكانته في الإسلام، بجانب المطلب الثالث الذي يبين آليات دعم العمل الاجتماعي الإنساني، وخاصة في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث والأوبئة في العالم دون النظر إلى دين أو مذهب، كما سيبرز البحث في المطلب الرابع دور المنظمات والهيئات العاملة مجال العمل الإنساني، وكيفية تقوية جهودها، ودعمها ماديا ومعنويا، أما المطلب الخامس فسيناقش طرق توظيف آليات التمويل الاجتماعي من زكاة وصدقات وهبات ووصايا وأوقاف وغيرها في دعم العمل الإنساني، وبخاصة مساعدة الأرامل والأيتام في مناطق الصراعات والنزاعات.

أما المبحث الثاني فيتناول دور النهوض بثقافة التطوع بوصفه آلية لتعزيز العمل الإسلامي المشترك، من خلال ثلاثة مباحث، يتناول الأول بيان أهمية الأعمال التطوعيّة ودورها الفعال في استقرار المجتمعات، وتضامنها، بينما يناقش الثاني تعزيز العمل التطوعي للقيم الاجتماعيّة وللتكافل الاجتماعي والتلاحم والتآزر بين أفراد المجتمع، وحله لكثير من المشكلات والأزمات المجتمعية والاقتصادية وغيرها، ويضع المبحث الثالث اقتراحات لتعزيز وترسيخ ثقافة العمل التطوعي في نفوس الناشئة والشباب من خلال المناهج المدرسية ووسائل الإعلام المختلفة، كما يحتوي البحث على خاتمة ومجموعة من النتائج والتوصيات، بجانب قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول
دور التمويل الاجتماعيِّ الإسلاميِّ وآليّاته في دعم العمل الإنسانيِّ

المطلب الأول : التمويل الاجتماعي الإسلامي، وآلياته

مدخل تعريفي

التمويل الإسلامي عمومًا هو «تمويل نقدي أو عيني يتم تقديمه للأفراد أو للمنشآت المختلفة بصيغ وضوابط تتفق مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية»[١]، وهناك من يُعرِّفه بأنه «تقديم المال إلى المستثمرين بصوره تتفق مع صيغ التمويل الإسلامية، بقصد استثماره بهدف الربح من خلال مشروع يديره الحاصل على التمويل»[٢].

ذهب آخرون إلى أن التمويل الإسلامي هو: «أن يقوم الشخص بتقديم شيء ذي قيمة مالية لشخص آخر إما على سبيل التبرع أو على سبل التعاون بين الطرفين من أجل استثماره، بقصد الحصول على أرباح تقسم بينهما على نسبة يتم الاتفاق عليها مسبقًا، وَفق طبيعة عمل كل منهما ومدى مساهمته في رأس المال واتخاذ القرار الإداري والاستثماري»[٣]. وهذا التعريف حصر التمويل فقط على أن يكون بين شخصين دون أن يشمل التمويل الذي قد يكون من الدولة أو من المؤسسات المالية والمصرفية. وذهب جانب آخر إلى تعريفه بأنه: «تقديم ثروة عينية أو نقدية بقصد الاسترباح من مالكها إلى شخص آخر يديرها ويتصرف فيها لقاء عائد تبيحه الأحكام الشرعية[٤]، وهذا التعريف اقتصر على التمويل الاستثماري، دون أن يشمل على التمويل التطوعي كالهبة والتبرع كوسائل وعقود تمويل في الإسلام، كما أنه لم يشتمل كذلك على صيغة القرض الحسن.

من التعريفات التي تحظى بقبول واسع تعريف التمويل الإسلامي بأنه: «تقديم ثروة عينية أو نقدية إما على سبيل اللزوم أو التبرع أو التعاون أو الاسترباح من مالكها إلى شخص آخر يديرها ويتصرف

(١) محمد مصطفى غانم، واقع التمويل الأصغر الإسلامي وآفاق تطويره في فلسطين: دراسة تطبيقية على قطاع غزة، ص٢٨.
(٢) محمد ابراهيم مقداد، وخالد محمد الأشقر، التمويل الإسلامي كبديل لتمويل المشاريع الصناعية في قطاع غزة، ص٢.
(٣) فؤاد السرطاوي، التمويل الإسلامي ودور القطاع الخاص، ص٩٧.
(٤) منذر قحف، مفهوم التمويل في الاقتصاد الإسلامي.. تحليل فقهي واقتصادي، ص١٢.

فيها لقاء عائد معنوي أو مادي تحث عليه أو تبيحه الأحكام الشرعية»[١]؛ فهذا التعريف يشمل كافة أنواع التمويل سواء كان بين شخصين، أو بين شخص ومؤسسة مالية، أو بينه وبين الدولة، كما يشمل التمويل الاستثماري والتمويل التطوعي.

يمكن تعريف التمويل الاجتماعي الإسلامي بأنه أحد أفضل وأنجع وأهم الأساليب للقضاء على المشاكل الاجتماعية والاقتصادية، في ظل تفشّي البطالة والفقر والجهل وغيرها من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية وسط الشعوب والدول العربية والإسلامية، عبر توظيف الزكاة والوقف والصدقات والتبرعات، وكافة أشكال التمويل الشرعية كآلية لإدارة الأموال التي تقدم عوائد مالية ذات طابع اقتصادي ومجتمعي[٢].

ذهب تقرير التمويل الاجتماعي الإسلامي للمعهد الإسلامي للبحوث والتدريب بجدة إلى أن التمويل الاجتماعي الإسلامي يضم الزكاة والأوقاف ومؤسسات التمويل الأصغر لخلق فرص عمل للفقراء، وذلك من خلال ثلاثة أنماط من المؤسسات التي تقدم التمويل الإسلامي الأصغر، وهي[٣]:

الأولى: مؤسسات تمويل أصغر تستخدم عقودًا تمويلية ربحية، وتسعى إلى تحقيق أرباح متواضعة لضمان استدامة التمويل.

الثانية: مؤسسات إسلامية غير ربحية وتعاونيات قائمة على الأعضاء تقدم خِدْمات التمويل الأصغر، وتستند كذلك إلى عقود تمويلية ربحية.

الثالثة: مؤسسات إسلامية غير ربحية وتعاونيات قائمة على الأعضاء تقدم خِدْمات التمويل الأصغر، وتستند إلى عقود تمويلية غير ربحية، مثل القرض والوكالة والكفالة.

خلاصة الأمر أن التمويل الاجتماعي الإسلامي هو تمويل يعتمد على الأحكام الشرعية، ويركز على الأخلاق والقيم، ويقدم برنامجًا بديلًا يعتمد على المجتمع من أجل ترقية وتطوير نشاطات اقتصادية حقيقية؛ حيث يستخدم التمويل الاجتماعي الإسلامي أدوات تمويل تقليدية مثل الزكاة ـ تبلغ المساهمات

---

(١) محمد عبد الحميد محمد فرحان، التمويل الإسلامي للمشروعات الصغيرة.. دراسة لأهم مصادر التمويل، ص٣١.

(٢) حبيب الله زكريا، دور التمويل الاجتماعي الإسلامي في تحقيق أهداف التنمية المستدامة: صندوق الزكاة نموذجًا، ماليزيا، ص٢٣٨.

(٣) أشرف دوابة، التمويل الاجتماعي الإسلامي، ١٠/ ٨/ ٢٠٢٠م، موقع منتدى العلماء، الرابط: www. Msf-online.com /%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%85%D9%88%D9%8A%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A/.

السنوية في إطارها حوالي ٣٠٠ مليار دولار ـ والصدقة، والوقف بمختلف أشكاله، كذلك أدوات التمويل الأصغر كالقرض الحسن، بجانب الأنشطة الصيرفية، والتأجير، وأسواق الصكوك، والأسهم، وصناديق الاستثمار، والتأمين التكافلي، وغيرها.

إذن فنشاط التمويل الاجتماعي الإسلامي أحد أهم الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والتنموية المؤثرة بشكل كبير في العالم كله، والعالم الإسلامي على وجه الخصوص، خاصة في إفريقيا والمنطقة العربية وآسيا ذات الأغلبية المسلمة، وقد جذبت خِدْمات التمويل الإسلامي بأشكاله المختلفة فيما بعد معظم بلدن العالم الإسلامي، بجانب الهند والصين وبريطانيا وفرنسا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية، وغيرها من الدول.

المطلب الثاني : العمل الاجتماعي الإنساني ومكانته في الإسلام

العمل الاجتماعي في الإسلام له مكانة سامية لا تُدانيها منزلة، وهو لا يقتصر على مجال العبادات والمعاملات فحسب، بل يتعداها ليشمل مجال الخِدْمات الاجتماعية والإنسانية في عمومها؛ حيث إن روح الإسلام السمحة حثّت عليها ورغَّبت فيها، لما لها من الأثر الكبير على حياة الأفراد بشكل خاص، وعلى الأمة الإسلامية بشكل عام، بل إن مفهوم العمل الاجتماعي الإنساني يتعدّى دائرة الإسلام إلى دائرة الإنسانية، ويتعدّى دائرة الإنسانية ليشمل دائرة الحيوان والجماد والنبات؛ لأن فلسفة الإسلام في هذا المجال قائمة على «الكون الخيري»[١].

تتعدد صور العمل الاجتماعي الإنساني من منظور الإسلام، لتشمل باقة واسعة من الأنشطة الخيّرة ذات النفع العام والخاص، منها على سبيل المثال: رعاية اليتيم، ورعاية المسنين، ورعاية المعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة، ورعاية الأرامل وغيرها، وتتضح المكانة المرموقة للعمل الاجتماعي الإنساني في الإسلام من خلال مجموعة معالم مهمة لهذا العمل الاجتماعي الإسلامي، وهي[٢]:

---

(١) مسعود صبري، الرؤية الحضارية للعمل الإنساني في الإسلام، موقع مهارات الدعوة، الرابط:
https://dawahskillsar.tumblr. com/post/187104163685/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A4%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B6%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D9%84%D9%84%D8%B9%D9%85%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85.

(٢) المرجع السابق.

١ـ العناية بالإنسان:

فبنو آدم هم الخلفاء في الأرض، والله تعالى أوجد آدم وذريته، وأسكنهم في الأرض، وذلَّل لهم سبل الحياة فيها، حتى يعيش حياة هنيئة، وتكفل الله تعالى لهم بالرزق كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [هود: ٦]، غير أن رزق الله لعباده له أسباب، من تلك الأسباب العمل الخيري والإحسان إلى عباد الله، اعترافًا بنعمة الله وفضله، وتأدية لشكر نعمة الجليل الواهب لعباده الرزق.

٢ـ مقصد الخير:

كما أن عمل الخير مقصد من مقاصد الشريعة مقصود لذاته، فعمل الخير في حد ذاته مما يحبه الله تعالى، ويقصده، ويأمر الناس بفعله، ويحث عليه، حتى يكون منتشرًا بين الناس جميعًا، كما قال تعالى: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، فالمسلم مرتبط بالخير ارتباط الروح بالجسد، فهو دائمًا يسعى إلى عمل الخير ونشره بين الناس، حتى تتم خيرية هذه الأمة، ليتحقق فيها قول ربها سبحانه: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

٣ـ عالمية الإسلام:

حين يحث الإسلام أتباعه على عمل الخير في جميع الميادين ولجميع الأجناس والشعوب فهو يقرر عالمية هذا الدين، وأنه ليس دينًا محليًّا، يعتني بالعرب وحدهم، وإنما يعتني بالإنسان في الكون كله، محققًا بذلك رحمة الإسلام الواسعة، والتي وسعت الإنسان والحيوان والنبات والجماد، تلك الرحمة العامة التي قررها القرآن بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وحين يرى فقراء العالم أن المسلمين يمدون إليهم يد العون فهم يتعرفون على الإسلام وتعاليمه بلسان الفعل لا بلسان القول، ويفهمون عظمة هذا الدين الذي يجعل أتباعه يمشون في الناس بسيرة السلام، ونشر الخير بينهم وبين الناس جميعًا بلا فوارق، دون انتظار مكافأة أو مقابل لما يفعلون.

٤ ـ أُخوة الإنسانية:

من عظمة الإسلام أنه لم يجعل الأخوة درجة واحدة ولا نوعًا واحدًا، فهناك أخوة النَّسَب والقرابة، وهناك أخوة الدين، وهناك أخوة الوطن والإنسانية، وقد أشارت آيات كثيرة في القرآن الكريم إلى هذا النوع من الأخوة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقوله: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقوله: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ﴾ [الأعراف: ٨٥]، ولما كان لوط عليه السلام ليس من القرية التي أرسل إليها عبّر القرآن بقوله: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ﴾ [العنكبوت: ٢٨]، ومن لوازم تلك الأخوة

أن كل نوع منها يُحتِّم على المسلم حقوقًا لأخيه عليه، وجب عليه أداؤها؛ تحقيقًا لمعنى الأخوة. وقد قرَّر النبي ﷺ مبدأ الأخوة الإنسانية في قوله: «كلكم لآدم وآدم من تراب»(١). غير أن هذه الأخوة مجالها الدنيا، وليس مجالها الدين والآخرة؛ ذلك أن أمر الآخرة لله، وأمر الدنيا مبني على مصالح الناس، فلم يمنعنا الله من تحقيق مصالحنا في الدنيا، على أن نبتغي بها وجه الله أيضًا.

٥ـ الشراكة الإنسانية:

العمل الاجتماعي الإنساني يجعل المسلمين في شراكة في الخير مع غيرهم، فإن حل ببلاد المسلمين بعض المصائب سيسارع بعض غير المسلمين إلى الوقوف مع المسلمين في مصابهم، وكذلك المسلمون يقفون مع غيرهم في مصائبهم وحوائجهم، وهذا من معاني التعاون على البر والتقوى الذي جاء القرآن ليؤسسه، كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٢]، فالله تعالى الذي خلق الكون لبني آدم أباح لنا أن نتعاون فيما بيننا على العيش الكريم، والحياة الهانئة، كي نحقق مقاصدنا في هذه الحياة بالوصف القرآني لها: ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾ [النحل: ٩٧].

خلاصة الأمر أن العمل الاجتماعي الإنساني له مكانة عظيمة في دين الإسلام، بل له بركات وآثار متعددة على الفرد والمجتمع، منها أنه يعود بالنفع على الإنسان في الدنيا مع ما ينتظره من أجر في الآخرة؛ فهو يعود بالنفع على الإنسان في صحته، «فقد شكَتِ امرأة وجعًا، وكانت في الحرم، فخشيت إن ذهبت للطبيبة أن يضيع الوقت عليها في حرم الله، فجالت في خاطرها أن تتصدق بنية تسكين الألم، فتصدقت على فتاة بمبلغ، فسكن الألم ولم يعد مطلقًا»(٢).

ومن بركات العمل الخيري أنه يزيد رزق الفرد والمجتمع، ويبارك في المال العام والخاص، بل إن العمل الخيري والإنساني لَيَحفظ الإنسان من المصائب والمحن والابتلاءات، ففي حديث أنس رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «إنّ الصدقة تُطفِئُ غضب الرّب، وتدفعُ مِيتة السُّوءِ»(٣).

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند، بالرقم (٢٤٢٠٤)، وهو حديث صحيح.

(٢) مسعود صبري، الرؤية الحضارية للعمل الإنساني في الإسلام، موقع مهارات الدعوة، الرابط: https://dawahskillsar.tumblr.com/post/187104163685/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A4%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B6%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D9%84%D9%84%D8%B9%D9%85%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85.

(٣) أخرجه الترمذي.

المطلب الثالث: العمل الاجتماعي الإنساني والحاجة إلى دعمه خاصة في مناطق النكبات في العالم دون تمييز

من أبرز مميزات العمل الاجتماعي الإنساني في بلاد الإسلام وبين المسلمين في كل أنحاء العالم أنه يظهر وجهًا مشرقًا للحضارة الإسلامية، ويوضح أنّ الإسلام دين لم يقف عند حدود التعبد لله بالمعنى الخاص، بل هو دين عالمي، يعتني بالبشرية جمعاء بلا تفرقة على أساس الدين أو العرق أو الجهة، بل بكل ما في الكون من البيئة والحيوان والجماد والنبات والطير، فضلًا عن الإنسان بوصف الإنسانية التي تجمع بني آدم جميعًا، مما يحتّم عليهم أن يساعد بعضهم بعضًا، وأن يؤازر بعضهم بعضًا، وأن يعطي الغني الفقير، وألا يعيش الإنسان لنفسه فقط، بل لنفسه وأهله ووطنه وأمته والعالم أجمع.

وضع الإسلام مجموعة من الأسس والمنطلقات كدعائم للعمل الاجتماعي الإنساني في الإسلام، وهي كفيلة بالتأسيس لعمل إنساني مشترك، ومنها ما يلي[١]:

١. عمارة الأرض: فالمقصد العام لشريعة دين الإسلام هو «عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش فيها، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كُلِّفوا به من عدل واستقامة...»[٢]، وحتى يتحقق هذا المقصد فلا بد أن يتعاون المسلمون مع بقية أهل الأرض وشعوب الإنسانية، ولا شك بأن العمل الإنساني هو من صور التعاون المهمة لتحقيق ذلك.

٢. الكرامة الإنسانية: النفس الإنسانية في الإسلام مُكرّمة ومُحترمة، وهذا التكريم ليس خاصًّا بنفس دون نفس، فلا يوجد في هذه الكرامة استثناءٌ بسبب دين، أو لون، أو جنس، أو عرق؛ بل هو تكريم عام: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

٣. الأُخوّة الإنسانية: أصلُ البشر واحد، وكلُّهم أبناء آدم وحواء، ويرفض الإسلام كل الآراء التي تزعم التفاضل بين البشر في أصل خِلقتهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]؛ لذلك فليس من اللائق تفاخر الناس، وتكبرهم بعضهم على بعض.

٤. حب الإسلام للسلام: ما من شيء يهدد أمن البشر أكثر من الحروب؛ لذلك كانت سياسة الإسلام قائمة على كراهية الحرب، والتعامل معها على أنها ضرورة يلجأ إليها المسلم، وتُعدُّ وسيلةً،

---

(١) نور رياض عبد الفتاح، مُنطلقات إسلامية لعمل إنساني مشترك أوقات الطوارئ، ٧ أكتوبر ٢٠١٩م، مجلة الإنسان، جنيف: الصليب الأحمر الدولي، الرابط: https://blogs. icrc. org/alinsani/2019/10/07/3397.

(٢) علاّل الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، ص٤٥، ٤٦.

وليس غاية، هدفها إعادة السلام بين الناس بعد تأديب الطغاة المعتدين، وقد قال رسول الله ﷺ: «أيُّها النّاس، لا تتمنّوا لِقاء العدُو، وسلُوا الله العافِية، فإذا لقِيتُمُوهُم فاصبِرُوا»[١]، وقد جاء الشرع ليضيِّق من دائرة الحرب، ويقلل من ويلاتها، فوضع العديد من الضوابط، ومن ذلك: منع قتل المدنيين من النساء، والأطفال، والمرضى، والمتفرغين للعبادة، ورفض التصرفات الهمجية في حق المعادين، وأمر بالإحسان إلى الأسير والجريح، وغير ذلك من الأخلاقيات التي تمثل القمة السامية في المعاملة الإنسانية.

٥. خدمة الإنسان عبادة: يتميز الإسلام عن غيره في مجال العمل الإنساني، أنه يبيّن لأبنائه أنّ الإحسان للآخرين عبادةٌ ترفع درجاتِهم عند ربهم، وإذا قصّر غيرُ المسلم، أو أساء فلا يجوز للمسلم التقصير؛ لأنه إن لم يحصُل على الأجر في الدنيا فهناك ثواب عظيم ينتظره في الآخرة، فمن الصدقات التي يتصدق بها المسلم على نفسه مساعدة المكروبين والمظلومين، كما في الحديث النبوي: «لِيُعِن ذا الحاجةِ الملهُوف»[٢].

للعمل الاجتماعي الإنساني في الإسلام صور وأشكال متعددة يصعب حصرها؛ فهو باب واسع وعظيم الأجر في توطيد العَلاقات وجلب المودة ونشر الخير بين الناس وله عدة صور، فقد تكون مواساة الناس بالمال أو النصيحة أو بالتألم والتوجع لما أصاب الناس، أو بإدخال السرور على العباد، والضابط الإجمالي هو: أن يكون المرء في حاجة أخيه، مصداقًا للحديث النبوي: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»[٣].

ومن أبرز صور العمل الاجتماعي الإنساني في الإسلام، ما يلي[٤]:

١ـ تقديم العون بالمال، ومن أجل هذا المقصد شُرعت الزكاة لكي تصرف على الأصناف الثمانية ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ﴾ [التوبة: ٦٠]، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الليل: ٥، ٦]، ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة: ١١٠]، ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩].

---

(١) صحيح البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) صحيح مسلم، باب تحريم الظلم.

(٤) عبد العلي معكول، العمل الاجتماعي في الإسلام، صحيفة المحجة، ١ أكتوبر ٢٠١٠م، العدد ٣٤٤، الرابط:
http://almahajjafes.net/2010/10/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85/.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ما من يوم يُصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيه فيقول أحدهما: اللهم أعطِ منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعطِ ممسكًا تلفًا»(١)، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩].

٢ـ مواساة النزلاء والغرباء وأبناء السبيل، فابن السبيل يكون محتاجًا ولو كان في بلده غنيًّا، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٧٧]؛ فالغرباء يكونون منكسرين لغربتهم وقلة مصارفهم وانعدام أقربائهم، فينبغي أن يُعتنى بهم، خاصة إذا كانوا من طلاب العلم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢].

٣ـ عيادة المرضى في المستشفيات أو غيرها، وهذا الجانب أسمى، وأثره في القلوب أوقع وأطيب، ففي صحيح مسلم أنه ﷺ قال في الحديث القدسي: يقول الله تعالى يوم القيامة: «يا ابن آدم مرِضت فلم تعُدني، قال: يا ربّ، كيف أعودك وأنت ربّ العالمين، قال: «أما علِمت أنّ عبدي فلان مرِض فلم تعُده، أما علِمت أنك لو عُدتّه لوجدتّني عنده»(٢).

٤ـ مواساة من مات له ميت، فلا شك أن الموت مصيبة عظيمة، فأهل الميت أحوج إلى من يواسيهم بقصد التخفيف عنهم، ويحتاجون كذلك لمن ينوب عنهم في إحضار الكفن ومستلزمات الميت من دفن وغير ذلك، وفي حاجة لمن يصنع لهم الطعام، كما قال النبي ﷺ: «اصنعوا لآل جعفر طعامًا» (٣).

٥ـ مواساة الأرامل والأيتام؛ لأنهم في حاجة لمن يعتني بهم، ويقضي حوائجهم، ويفرح لفرحهم، ويسعد لسعادتهم، فالأيتام في حاجة لمن يعولهم ويربيهم، ويدفع عنهم السوء، ويوفر لهم الحماية، ويدافع عنهم، وعن مصالحهم، وهم في حاجة لمن يدخل عليهم بالهدايا؛ لذلك قال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وقال بأصبعيه السبابة والوسطى(٤)، وقال أيضًا: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله»(٥).

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه البخاري.
(٥) متفق عليه.

٦ـ مواساة المطلقات والمهجورات ومن في حكمهن، فالمطلقة التي كُسر خاطِرُها ينبغي أن تُواسى ويُجبَر كسرُها، قال تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١]، وكذلك المهجورات، ومن لا عائل لهم وغيرهم، وكل من في حكمهم من أصحاب المِحَن.

ومن الفهم الجيد والراقي المتوافِق مع رُوح الدين لمثل هذه الأحاديث وأشباهها وهذه الصور والضروب من أشكال العمل الاجتماعي الإسلامي ألا تُحصر مثل هذه الخِدْمات الإنسانية في خدمة المسلمين فقط، بل تشمل البشرية كافة، فالإسلام دين الرحمة للعالمين وللإنسانية جمعاء.

مما يجعل أهل الإسلام يتدافعون لدعم العمل الاجتماعي الإسلامي التعرف على صور مشرقة للمسلمين في مواساة الناس، ومن ذلك حديث أبي رواع، قال سمعت عثمان رضي الله عنه يخطب فقال: «إنا والله قد صحِبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضَر، وكان يعود مرضانا ويتبَع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير»(١). كما أن رسول الله ﷺ لما نزل عليه الوحي أول مرة، وذهب إلى خديجة، وفرائصه ترتعد من الخوف، فقال لها: «والله لقد خشِيت على نفسي يا خديجة»، فما كان منها إلا أن قالت: «كلا والله ما يُخزيك الله أبدًا، إنك لتصِل الرَّحِم، وتحمِل الكَلَّ، وتَقْرِي الضيف، وتكسب المعدوم، وتُعين على نوائب الحق»(٢). وكان هذا فعل الرسول ﷺ حتى قبل البعثة، فما ظنك بحاله بعد البعثة وهو صاحب أرحم قلب في هذا الكون، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ومن ذلك أيضًا موقف الأنصار مع المهاجرين، حينما اقتسموا مع إخوانهم الأموال والمساكن وحتى وصلوا إلى الزوجات: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، ولعل صورة الإخاء بين الأنصار والمهاجرين من صور العمل الإنساني التي لم تحدث في تاريخ البشرية.

لم يترك الإسلام هذه الصورة الزاهية للعمل الاجتماعي الإنساني هَمْلًا، بل وضع لها من صور الدعم والتعضيد والتمويل ما يضمن لها البقاء، ولرسالتها السامية الاستمرار والاستدامة، ولضيق مساحة البحث نقف مع صورة واحدة من صور دعم العمل الاجتماعي الإسلامي وهي:

---

(١) حديث حسن، رواه أحمد.

(٢) متفق عليه.

الوقف:

الوقف هو تحبيس الأصل، وتسبيل المنفعة عند الجمهور، والأصل في ذلك قوله ﷺ لعمر بن الخطاب لما أراد أن يُوقف ما أصابه من خيبر: «إن شئت حبَست أصلَها وتصدّقت بها»[١]. والوقف الإسلامي يأتي في مجال الصدقة الجارية، وهو على العموم حبس المال المُعيّن على سبيل المنفعة العامة مع بقاء العَيْن الموقوفة، وتسبيل الثمرة بغرض الانتفاع منها لجهة محددة، وهو نوعان: وقف أهلي أو ذري يعود نفعه على الذرية والعشيرة والأقارب من الأهل، والثاني: الوقف العام الذي يعود نفعه على أوجه البِرّ دون تخصيص كافة، وقال البعض بنوع ثالث وهو الوقف المشترك الذي يجمع بين الأهلي والذري والأهلي والعام.

وقد حدث تطور كبير للوقف في تاريخ الإسلام، ومن ذلك التطور في إدارة الأوقاف في العصر الأموي، بإنشاء هيئات خاصة للإشراف على الأوقاف، وإحداث ديوان مستقل لتسجيلها، وفي العهد العباسي أصبحت للأوقاف إدارة خاصة مستقلة عن القضاء، يقوم عليها رئيس يسمى (صدر الوقوف)، وتزامن مع هذا التطور الإداري جهد علمي كبير، لضبط أحكام الوقف وطرق التصرف فيه، ولحماية أملاكه من الضياع، وأسفر هذا التطور والتوسع في العناية بالأوقاف عن قيام الوقف بدور كبير في التنمية الاجتماعية على مر التاريخ الإسلامي[٢].

ومن الحكم العظيمة من مشروعية الوقف: إيجاد موارد مالية ثابتة ودائمة لتلبية حاجات المجتمع الدينية، والتربوية، والغذائية، والاقتصادية، والصحية، والأمنية؛ ولتقوية شبكة العَلاقات الاجتماعية، وترسيخ قيم التضامن والتكافل، والإحساس بالأخوة والمحبة بين فئات وطبقات المجتمع بمختلف تنوعهم وتعددهم.

وإذا أمعنا في النظر في صور الوقف التي تمّت في العهدين النبوي والراشدي ـ أمكن أن نتبين جليًّا مقاصد الوقف ومراميه الإنسانية والاجتماعية على النحو الآتي[٣]:

أ) تحقيق الأمن الغذائي للمجتمع المسلم. ويتضح ذلك في تصدق أبي طلحة بنخيله، وجعل ثمارها للفقراء من أهل قرابته، وفي البئر التي وقفها عثمان رضي الله عنه على عامة المسلمين.

---

(١) متفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أحمد أبوزيد، نظام الوقف الإسلامي.. تطوير أساليب العمل وتحليل نتائج بعض الدراسات الحديثة، إصدار المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة والأمانة العامة للأوقاف في الكويت، نسخة من موقع أهل الحديث، ص٥.

(٣) المرجع السابق، ص٦، ٧.

ب) إعداد القوة والوسائل الضرورية لجعل الأمة قادرة على حماية نفسها والدفاع عن دينها وعقيدتها. ويتضح هذا من وقف خالد بن الوليد سلاحه في سبيل الله.

ج) نشر الدعوة إلى الله وإقامة المساجد لتيسير إقامة شعائر الدين وتعليم أبناء المسلمين. ويتضح هذا من تأسيس مسجد قباء والمسجد النبوي وجعلهما مركزين للعبادة والتعليم، وتنظيم العمل الاجتماعي.

د) توفير السكن لأفراد المجتمع. ويتضح ذلك من أوقاف عدد من الصحابة التي تمثلت في الدور والمساكن التي حُبست على الضيف وابن السبيل أو على الذرية.

هـ) نشر روح التعاون والتكافل والتآخي التي تجعل المجتمع كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضًا.

و) إيجاد مصادر قارة على تمويل حاجات المجتمع، وإمداد المصالح العامة والمؤسسات الاجتماعية بما يَلزَمها من الوسائل للاستمرار في أداء رسالتها؛ وذلك لأن الموارد التي قد تأتي من الزكاة أو الهبات ليست قارة، أما الوقف فإن أصوله وأعيانه تبقى أبدًا، إلا في حالات خاصة، ولذلك فمنافعه لا تنقطع.

ولو تتبعنا تاريخ الإسلام الزاهي لوجدنا أنواعًا من الوقف تستجيب لكل حاجات العمل الاجتماعي الإنساني، بل إنّ بعضها يثير الدهشة، خاصة في تلك العهود الغابرة، ومن ذلك وقف الغرباء أي الملاجئ لعابري السبيل والمنقطعين عن ذويهم، والوقف على الأيتام، والوقف لتزويج الفقيرات والمكفوفين، والوقف لسقي الماء المثلوج في الصيف لعابري السبيل، ووقف لختان الأطفال اليتامى، ووقف على المستشفيات، ووقف على الأئمة والمؤذنين، ووقف للعاجزين عن الحج، ووقف على تغسيل الأموات، ووقف على طلبة العلم، ووقف على المساجد، ووقف تعليم الوضوء، ووقف الدعوة إلى الصلاة.

ويُعد الوقف عملًا اجتماعيًّا بامتياز؛ فمعظم دوافعه في أكثر الأحيانِ اجتماعية، وأهدافه دائمًا اجتماعية، فيمكن للأوقاف الإسلامية أنْ تكون أكبر دِعامة للتكافل الاجتماعي، والالتزام الأخلاقيّ؛ فقد شُرعت الأوقافُ ليكون رَيعُها صدقةً جاريةً لا تنقطع، تدرُّ الثواب المتصل على الواقفين، وعملًا صالحًا يدرُّ الخير على المحتاجين، والمستحقين، وهذا له دورٌ في مجال التضامن الاجتماعي في المجتمع الإسلامي[١]، وقد تنوّعت القضايا التي أسهم الوقفُ في التخفيف من سلبياتها، أو معالجتها كُليًّا؛ حيث شكّل على مرّ العصور عنصرًا ثابتًا في معالجة همومٍ اجتماعيةٍ كثيرة يمكن أن نُبيّنها في العناصر التالية[٢]:

---

(١) الجمل، أحمد، «دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة»، ص١٥٩.

(٢) ابن عزة هشام، دور الصكوك الإسلامية في تنمية ودعم قطاع الوقف الإسلامي، ٨ مايو٢٠١٧، موقع الاجتهاد، الرابط:
http://ijtihadnet.net/%D8%AF%D9%88%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%83%D9%88%D9%83-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%AA%D9%86%D9%85%D9%8A%D8%A9%D9%88%D8%AF%D8%B9%D9%85-%D9%82%D8%B7%D8%A7/

أ ـ الوقفُ يُشجِّع التكافل الاجتماعي: لم يقتصر مجالُ التكافلِ الاجتماعيّ على الجانب المادّي فحسب؛ بل تعدّاه إلى الجانب المعنوي، ممّا يقدّمه من يد العون والمساعدة لأفراد المجتمع على اختلافهم؛ المحتاج، والعَجَزة، والأيتام، لما يوفره من تحقيق الأمان الاجتماعي، ويعززه بمحاربته للفقر والقضاء عليه، جاعلًا بذلك العدالة الاجتماعية تسير نحو شكل مستدام، بما يضمن توزيع الثروة نحو كل طبقات المجتمع المحتاجة، في هذا السياق طرحت الأمانة العامة للأوقاف في الكويت عدة مشروعات اجتماعية، مثل مشروع «إصلاح ذات البين» للتوفيق بين المتخاصمين، ومشروع «وقف الوقت» لتشجيع ثقافة التطوع، ومشروع «زادي من يدي» للحد من البطالة مما يرسخ ثقافة التطوع الفردي.

ب ـ تعزيزُ الجانبِ الأخلاقيّ والسلوكيّ في المجتمع: الوقف يساعد في تعزيز الجانب الأخلاقي، والسلوكي في المجتمع، من خلال التضييق على طرق الانحراف، فوجود الوقف لرعاية النساء الأرامل، والمطلقات، يعتبر حصانة لهنّ وللمجتمع من سلوك دروب الانحراف بسبب الحاجة، ويظهر الوقف الحسَّ التراحُميّ الذي يملِكه المسلم، ويترجمه بشكل عملي في تفاعله مع هموم مجتمعه، مما يعمل على تعزيز روح الانتماء المجتمعيّ بين أفراد المجتمع.

ج ـ الوقفُ يُخفِّف من الأعباءِ الاجتماعيةِ للدولة: فالأنشطة التي تعالجها الدولة أصبحت متعددة، بحيث ترهق كاهلها، خاصة من الناحية الاجتماعية؛ فالدولة في هذا العصر أصبحت تحتاج إلى أموال طائلة للرعاية الاجتماعية، لا مناص من العودة إلى المجتمع، وإلى القادرين فيه لتقديم المزيد من العطاءات التطوعية.

د ـ مساهمةُ الوقفِ في توسيعِ الطبقةِ المتوسِّطةِ في المجتمع: تعمل سائر الحكومات في الدول الحديثة إلى توسيع دائرة الطبقة الوسطى، أو على الأقل المحافظة على وجودها وبقائها، وقد ساعد الوقف الإسلامي كثيرًا في توسيع دائرة هذه الطبقة باعتبارها لُحمة أيّ مجتمع بشري، وأوسعها ثقافة وتعلمًا، فيؤدي تآكلها بالمجتمع إلى التخلف والاضمحلال.

هناك آثار اجتماعية ترتبت على نشاط الأوقاف، أو كان للوقف دورٌ في تعزيزها في حياة المجتمع وترسيخها على مدى القرون الماضية، ومن هذه الآثار ما يلي[1]:

ساعد الوقف على تحقيق الاستقرار الاجتماعي، وعدم شيوع روح التذمر في المجتمع، وذلك بتحقيق نوع من المساواة بين أفراده؛ فقد تمكن الفقير من الحصول على حقه في التعليم، والعلاج، والمتطلبات الأساسية في الحياة من خلال نظام الوقف، بل إن بعض الأوقاف كان يخصص رَيعها للفقراء دون الأغنياء، وقد كان الكثير من العلماء المسلمين المُبرِّزين في مختلف التخصصات ـ من فئات اجتماعية واقتصادية رقيقة الحال.

(١) محمد بن عبد الله، الوقف في الفكر الإسلامي، ج ٢، ص ٢٢٠.

تمكن نظام الوقف بما يمتلكه من مرونة ـ من بسط مبدأ التضامن الاجتماعي، وشيوع رُوح التراحم والتوادِّ بين أفراد المجتمع، وحمايته من الأمراض الاجتماعية التي تنشأ عادة في المجتمعات التي تسود فيها روح الأنانية المادية، وينتج عنها الصراعات الطبقية بين المستويات الاجتماعية المختلفة.

تعزيز روح الانتماء المجتمعي بين أفراد المجتمع، وشعورهم بأنهم جزء من جسد واحد؛ تحقيقًا لحديث الرسول ﷺ: «ترى المؤمنين في تراحُمهم وتوادِّهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى» رواه البخاري.

دورُ الوقفِ في الجانبِ التعليميّ والثقافي: فقد شهد التاريخ الإسلامي تجربة فريدة لدور الوقف في دعم المنشآت التعليمية، وكان الاهتمام بالوقف في مجال التعليم ظاهرة اجتماعية؛ إذ لم تكن هناك موازنات مالية للدولة من أجل منافسة نظام الوقف في رعاية خِدْمات التعليم، والتي أثبتت فعالية في استقطاب أفراد المجتمع؛ حيث كان للوقف دور كبير في نشر التعليم في الدول الإسلامية، وذلك بتشييد صروح العلم، والثقافة؛ حيث إن الأوقاف العلمية كانت من أهم ما اعتنى به المسلمون في تاريخهم، فقامت أوقاف المدارس، والجامعات... إلخ، أضف إلى ذلك تخصيص كثير من الأوقاف لفروع علمية محددة، كالطب، الكيمياء، فوجدت الأوقاف المخصصة للأطباء أو كليات الطب مثل وقف البغدادي لكلية الطب بجامعة الخرطوم، والأوقاف لمعلمي الأولاد الصغار وغيرها.

دورُ الوقفِ في الجانبِ الصحي: إن المتتبع لتاريخ الطب والمستشفيات في الإسلام، يجد تلازمًا شبه تام بين تطور الأوقاف، واتساع نطاقها، وانتشارها في العالم الإسلامي من جهة، وبين تقدم الطب، والتوسع في مجال الرعاية الصحية للأفراد من جهة أخرى، بحيث يكاد الوقف أن يكون هو المصدر الأول الوحيد في كثير من الأحيان للإنفاق على المستشفيات، والمدارس الطبية، والمعاهد؛ حيث يذهب عدد من المفكرين إلى أن التقدم العلمي والازدهار في العلوم الطبية، والعلوم المرتبطة بها كالصيدلة، والكيمياء، كان ثمرة من ثمرات الوقف، وكان له الفضل الكبير في مجالات الرعاية الصحية، والخِدْمات الاجتماعية.

دورُ الوقفِ في الجانبِ الديني: وتظهر الأهداف الأساسية للوقف في الجانب الديني من خلال الحفاظ على مكانة الدين الإسلامي، وتوفير السبل المناسبة للدعوة الإسلامية عمومًا، كما يظهر في كثير من الجوانب الجزئية من إنشاء المساجد، وتوفير مستلزماتها؛ حيث كان الوقف ولا يزال المصدر الأول والرئيسي في بناء المساجد، كما تُعد المساجد من أهم الأنماط التي حظيت بعناية الواقفين.

دورُ الوقفِ في التنميةِ الحضرية: أسهمت الأوقاف إسهامًا كبيرًا في مشروعات البنية الأساسية، مثل بناء الطرق، وتعبيدها، وتوفير الخِدْمات اللازمة للمسافرين، وحفر الآبار، وتزويد المجتمع بالماء الصالح للشرب. وعمِل الوقف على إنعاش المناطق التي لم يكن فيها أي نشاط اقتصادي أو اجتماعي، من خلال إقامة منشآت وقفية متعددة، وكذلك توفير أماكن خاصة بدفن الموتى... إلخ.

ومن المهم ونحن نتحدث عن حجم المساحة التي غطاها الوقف في الإسلام التساؤل حول المغزى الحضاري لأصول السلوك التطوعي في مجتمع ما، فقد وصل إلى مرحلة إفراد وقفيات على حليب الأطفال، أو للطيور المهاجرة لتزويدها بما تقتات حين انتقالها من بلد إلى آخر، أو وقفيات على الحيوانات العاجزة وغير القادرة على العمل، لتوفير مراعٍ خاصة بها، أو على الأواني التي يكسرها الأطفال والخدم في الأسواق حين شرائهم لبعض الأغراض وبالتالي تعويضها من خلال رَيع هذه الوقفيات.(١)

مما سبق يظهر جليًّا أن الوقف نشأ ليمد كل المؤسسات الاجتماعية بالموارد المالية التي تُعينها على أداء رسالتها الإنسانية النبيلة، وقد لعِب دورًا مهمًّا ومحوريًّا في اقتصاد ومجتمع الكثير من المناطق، وشارك في نهضتها وازدهارها، وشارك في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتعداها لكلّ المجالات.

المطلب الرابع : دور المنظمات والهيئات العاملة مجال العمل الإنساني، وتقوية جهودها، ودعمها ماديًّا ومعنويًّا

كل المؤسسات العاملة في البلاد الإسلامية لها دور في العمل الاجتماعي الإنساني سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، حتى الشركات التجارية التي قامت من أجل الربح لها دورها في هذا المجال فيما بات يُعرف بالمسؤولية المجتمعية للشركات؛ فقد حث ديننا الإسلامي على ضرورة أن يكون للمجتمع الذي تعمل فيه المنظمة نصيب من الخير الذي يجنيه جراء قيامها بأنشطتها المختلفة، وفي هذا الصدد يمكن الاستشهاد بقوله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله» أخرجه الترمذي، وتنعكس رؤية الإسلام لمشاركة منظمات الأعمال في التنمية الاجتماعية من خلال عدد من الأنشطة منها(٢):

تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص للجميع بلا تفريق بين جنس أو طبقة أو لون أو دين، أي أن الجهد الإنساني كله يجب أن يتعاون في إيجاد التنمية الاجتماعية الشاملة.

---

(١) طارق عبد الله، المجتمع المدني ونظام الوقف بين المرجعية الإسلامية وأزمة العلوم الاجتماعية، ص٧٦ و٧٧.

(٢) محسن عبد الحميد، الإسلام والتنمية الاجتماعية، ص٤٥.

عدم ممارسة الشركات للاستغلال؛ لأنه يعني سلب حقوق الغير، مما يؤدي إلى سوء توزيع الثروات، ولذلك وضعت الشريعة الإسلامية قيودًا على التملك لصيانة حرمة المال؛ لأنه مال الله، له وظيفته الاجتماعية بجانب وظائفه الأخرى.

التكافل الاجتماعي من الطرق التي يمكن أن تساهم بها الشركات والمنظمات لضمان حقوق الأفراد في المجتمع، والزكاة هي أهم مظاهر التكافل الاجتماعي في الإسلام.

منع التعسف في استعمال الحق وتحديد حرية الأفراد لصالح الجماعة، والانتفاع بالمباح بشرط عدم الضرر بالمصلحة العامة.

الابتعاد عن المعاملات التجارية التي تؤثر سلبًا على المجتمع، والابتعاد عما حرّمه الإسلام، مثل: الربا، والاحتكار، والغش والغَبْن، والرِّبح الفاحش، والاكتِناز وغيرها.

العمل هو حق وواجب في نفس الوقت، فهو حق للفرد قبل المجتمع بتوفيره، وواجب عليه أيضًا قبل المجتمع، وينبني التزام المنظمة بتوفير العمل لكل قادر، والتزام كل قادر بتقديم العمل إلى المنظمة، فلا مكان للعاطل جبرًا واختيارًا؛ لأن كل طاقة إنسانية فاعلة لا بد أن تُسخر لخدمة أغراض الإنتاج والتنمية وتوفير أسباب الارتقاء.

الاقتصاد الإسلامي هو اقتصاد قناعة، وفي ذلك حثٌّ للشركات على ضرورة الاستخدام الأمثل والمخطط للموارد، مما يَحُول دون حدوث مشكلة اقتصادية حقيقية.

ممارسة العمل الخيري والعمل الاجتماعي التطوعي سواء لرأي أو لعمل أو لتمويل، ودعم المؤسسات الخيرية، وتمويل المشاريع الاجتماعية والتنموية.

تحتاج كل المنظمات والهيئات العاملة مجال العمل الإنساني لتقوية جهودها، ودعمها ماديًّا ومعنويًّا عبر المساهمات الاجتماعية للمؤسسات الربحية والحكومية وشبه الحكومية وغيرها، بل وحتى المؤسسات العلمية كالجامعات والمراكز البحثية التي ترى أن لها دورًا كبيرًا في خدمة المجتمع؛ حيث يمكن أنْ تساهم كل هذا الجهات في تقديم ودعم الأنشطة ذات النفع العام لأفراد المجتمع، والمشاركة مع الحكومة في تقديم تلك الأنشطة بغرض القضاء على المشكلات الاجتماعية، مما يولد مناخًا جاذبًا للعيش المستقر، ويوفر الاستقرار الاجتماعي لفئات المجتمع.

العمل الإنساني الاجتماعي له ثمرات باهرة على المجتمع، فهو يُسهم في تخفيف كثير من العنت والآلام، خاصة في مجالات دعم الصحة والإسكان، والنقل والمواصلات، والفئات الخاصة، وغيرهم

من الضعفاء، ويكون ذلك بالتبرع المادي والعيني للمنظمات، والجمعيات الخيرية، والمنظمات غير الحكومية، والمساهمة في مجالات التعليم، كإقامة معاهد تعليمية وفنية لرفع كفاءة الخريجين الجدد، وإعدادهم لسوق العمل، وكذلك التبرعات للطلبة المحتاجين، وتشجيعهم على مواصلة دراساتهم العليا في الداخل والخارج، هذا فضلًا عن المساهمة في إقامة مختبرات علمية في بعض الجامعات، كما يمكن مساندة دور المنظمات والهيئات العاملة في مجال العمل الإنساني، وتقوية جهودها، ودعمها ماديًّا ومعنويًّا بتوفير فرص عمل متكافئة لأفراد المجتمع للتخفيف من مشكلة البطالة، وقبول توظيف الأفراد المعوَّقين، وذوي الاحتياجات الخاصة، وتسهيل تعليمهم، وإكسابهم المعارف والمهارات، ورعاية مجموعات خاصة في المجتمع مثل الخِدْمات التي تقدمها مراكز رعاية الطفولة والمسنين، والمساهمة في رعاية المعوَّقين أو ذوي العاهات، ودعم الإنفاق على الهيئات الصحية والمساهمة في إقامة مستشفيات لبعض الأمراض والأوبئة المستعصية، والمساهمة في المجالات الثقافية كإقامة المكتبات في المناطق الفقيرة، ونشر الكتب وتمويل المعارض، وإصدار مجلات علمية وثقافية توزع في الندوات والمؤتمرات، وحماية التراث الثقافي مثل المخطوطات وغيرها، ودعم الأنشطة الرياضية من خلال تمويل الأندية الرياضية، والمساهمة في توفير البنية التحتية والمرافق والملاعب الرياضية والمتنزهات لصالح الأطفال والنساء وكبار السن، ودعم الأنشطة البيئية مثل إقامة الحدائق الخضراء للحفاظ على البيئة، ومساعدة أفراد المجتمع بلا استثناء في حالة الكوارث الطبيعية والاجتماعية، وغير ذلك كثير.

المطلب الخامس: توظيف آليات التمويل الاجتماعي في دعم العمل الإنساني، وبخاصة مساعدة المحتاجين في مناطق النكبات

التمويل الاجتماعي الإسلامي من أهم الوسائل الفعالة للمساهمة في دعم العمل الإنساني وتحقيق التمكين الاقتصادي والتنمية المستدامة، بما يملِكه من تنوع في أساليبه، وهو وسيلة من وسائل تحقيق مقاصد الشريعة، باعتبار أن حفظ المال من المقاصد الشرعية الخمس: (الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال)، فضلًا عن كون التمويل الاجتماعي الإسلامي يمتد لحفظ الدين والنفس والعقل والنسل كذلك، بقدرته على التمكين الاقتصادي، ومن ثم التمكين الاجتماعي، كما أن التمويل الاجتماعي الربحي إحدى الوسائل المشروعة للكسب، فرغم أن رِبحيّته متواضعة لاستدامة التمويل، فإن فيه دورانًا للمال وتقليبه، وتسخيرًا للموارد الاقتصادية البشرية والمادية، ومن ثم إشاعة الخير والنماء في المجتمع.

وظهرت أهمية التمويل الاجتماعي الإسلامي للعالم أخيرًا في ظل جائحة (كورونا)؛ حيث أطلقت الأمم المتحدة، بالشراكة مع البنك الإسلامي للتنمية جدة ـ مبادرةً لدعم جهود تمويل التعافي بشكلٍ

أفضل، بالاستفادة من التمويل الاجتماعي الإسلامي، بما يوفره من إمكانية الدعم العاجل للتخفيف من حدّة الفقر، ودفع عجلة التعافي الاقتصادي والاستجابة للجائحة وتعزيز التنمية المستدامة، وتشمل المبادرة التي تمّ إطلاقها «الحوار الدولي حول دور التمويل الاجتماعي الإسلامي في تحقيق أهداف التنمية المستدامة»، الذي سيُشكل منصةً لمناقشات حاسمة بين العديد من الأطراف، منها قادة العالم والمؤسسات الإسلامية، حول دور التمويل الاجتماعي الإسلامي[١].

حيث يرى رئيس مجموعة البنك الإسلامي للتنمية د. بندر بن محمد حجار أن أدوات التمويل الاجتماعي الإسلامي من زكاة وصدقة ووقف وتمويل إسلامي أصغر وغيرها ـ توفِّر فرصةً للصمود وبناء المَنَعة التي تشتد الحاجة إليها، وهي أدوات تُتيح اعتماد نهجٍ تنمويّ أكثر مرونة وشمولًا، ينطلق من القاعدة الشعبية. والبنك الإسلامي للتنمية يتطلع إلى العمل مع شركائه في الأمم المتحدة لتعميم هذه الأدوات، لتلبية الاحتياجات المُلِحّة، وتحقيق أهداف التنمية المستدامة، وهو يؤيد أهمية الاستفادة من التمويل الاجتماعي للتخفيف من آثار الجائحة المتفشية، بما في ذلك إنتاج لقاحات (كورونا) لخدمة البلدان النامية، وأقل البلدان نموًّا.

يتميز التمويل الاجتماعي الإسلامي عن غيره من أشكال التمويل بمجموعة من الخصائص تجعل منه نظامًا فريدًا يتميز بالبعد عن الاقتصاد الوهمي، ويلتزم قواعد المعاملات المالية الإسلامية عموما، ومن أهم هذه المميزات[٢]:

١ـ أنه تمويل خالٍ من كافة أشكال الربا، بما له من مساوئ وأضرار على المجتمع، وبالتالي فإن التمويل الإسلامي يمنع كافة أشكال الاستغلال والظلم.

٢ـ أنه تمويل موجه نحو الاستثمار الحقيقي من خلال الاستثمار في المشاريع المختلفة سواء التجارية أو الصناعية أو الزراعية، وبالتالي إنشاء حلقة استثمارية ما بين أصحاب فائض المال وبين المستثمرين الذين هم بحاجة للمال.

٣ـ تمويل في حفز الأموال العاطلة ودفعها إلى مجال الاستثمار، مما يشكل تنمية اقتصادية وصناعية للدولة تعمل على تحسين الناتج القومي.

٤ـ يمول المشاريع والأنشطة المشروعة فلا يقدم التمويل للمشاريع التي تنتج سلعًا أو خِدْمات محرمة شرعًا، أو تمارس أنشطة ذات أساليب محرمة.

---

(١) التمويل الاجتماعي الإسلامي لدعم جهود التعافي.

(٢) محمد إبراهيم مقداد، وخالد محمد الأشقر، التمويل الإسلامي كبديل لتمويل المشاريع الصناعية في قطاع غزة، ص٩.

٥ـ له صيغ متنوعة مما يحول دون وجود مشكلات لتمويل المشاريع بمختلف أنواعها، خاصة ذات النفع العام لكل فئات المجتمع.

كما يستند التمويل الاجتماعي الإسلامي إلى قيم الإيمان والشمولية لتعزيز الثقة المجتمعية والتعاون والتضامن في مكافحة الفقر والجوع، بما يتماشى مع أهداف التنمية المستدامة، ومن هنا فهو يتسم بخصائص متعددة ذات أبعاد اجتماعية تعود بالنفع على الناس، من أهمها[1]:

١ـ أنه تمويل له أبعاد اجتماعية، فهو جزء لا ينفصل عن طبيعة التمويل ذاته، سواء أكان ربحيًّا أم غير ربحي.

٢ـ أنه تمويل يتفق وأحكامَ مقاصد الشريعة الإسلامية، فلا يَعرِف للربا والنشاط المحرم سبيلًا، ولا للحيل المذمومة في المعاملات المالية طريقًا.

٣ـ أنه تمويل يهدف إلى التمكين الاقتصادي وتنمية المجتمع وعمارة الكون، فهو منهج عملي لمفهوم الاستخلاف في المال، وما يتطلبه من مسؤولية استخلافية.

٤ـ أنه تمويل متنوع ومتعدد الأساليب التمويلية، حيث ينقسم إلى:

أ ـ التمويل الاجتماعي الخيري: وهو قائم على التبرعات والبر والإحسان، كالقرض الحسن، والصدقات التطوعية، والزكاة، والوقف.

ب ـ التمويل الاجتماعي الربحي: وهو قائم على الربحية المتواضعة التي تراعي الجوانب الاجتماعية، وتسعى في الوقت نفسه لضمان استدامة التمويل، وينقسم بدوره إلى:

التمويل الاجتماعي بالمعاوضة: وهو قائم على المعاوضات، كالبيع الآجل، وبيع السَّلَم، وبيع الاستصناع، والتأجير، سواء أكان منتهيًا بالتمليك أم خِدْمات، فضلًا عن الوكالة بالاستثمار.

التمويل الاجتماعي بالمشاركة: وهو قائم على المشاركات كالمشاركة المؤقتة، والمشاركة المتناقصة، والمضاربة، والمزارعة، والمساقاة، والمغارسة.

٥ـ أنه تمويل يقوم على أساس دراسات الجدوى من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، وهذا يعني أن المشروعات عند دراستها تخضع للأولويات الإسلامية من ضروريات، وحاجيات وتحسينات؛ مما يحقق تخصيصًا أمثل للموارد، وتنمية اقتصادية واجتماعية مستدامة.

---

(١) أشرف دوابة، التمويل الاجتماعي الإسلامي.

٦ ـ أنه تمويل يعمل على بناء الإنسان من خلال قدرته على التمكين الاقتصادي، ومن ثم بناء رجال وسيدات أعمال في المجتمع، والانتقال بالمحتاجين من كونهم اليد السفلى لتكون يدهم عليا، تُعطي ولا تأخذ.

إذن يمكن توظيف منظومة التمويل الاجتماعي الإسلامي كوسيلة من أنجع الوسائل لتلبية حاجات المجتمع كافة، وتحقيق الحياة الكريمة لأفراده، كما يمكن توظيفه في تحقيق أهداف التنمية المستدامة للأمم المتحدة في جوانبها الاجتماعية والبيئية والاقتصادية، والتمويل الاجتماعي الإسلامي بأدواته المتنوعة يستطيع أن يحقق هذه الأهداف والغايات التي وافقت عليها معظم دول العالم.

التمويل الاجتماعي الإسلامي يشمل كلًّا من الزكاة، والوقف، والصدقة، والتبرعات والهبات والوصايا، وغيرها، وكل هذه الآليات والأدوات يمكن توظيفها في دعم العمل الإنساني، وبخاصة مساعدة المحتاجين في مناطق النكبات، ويمكن تقسيم آليات وأدوات التمويل الاجتماعي الإسلامي إلى قسمين رئيسين، هما:[١]

١ـ الأدوات الإسلامية التقليدية: وهي الأدوات تنبني على العمل الخيري والتعاوني، مثل: الزكاة والوقف والصدقات، والهبات والوصايا، وكذلك القرض والكفالة وأشباهها، ويمكن الاستفادة منها في تمويل العمل الاجتماعي الإنساني وَفق ما يلي:

أولًا: الزكاة:

هي فريضة إسلامية مالية، تُؤخذ من الأغنياء ثم ترد على الفقراء، وَفق ضوابط محددة، وتُحقق أهدافًا اجتماعية وإنسانية جليلة، والعديد من المقاصد والغايات، منها: مقاصد تعبُّدية، واجتماعية واقتصادية، مثل تلبية حاجة الفقير والمسكين، وتوفير حدِّ الكفاية لهم من مأكل ومشرب ومسكن وغيرها، وكذلك تحقيق التضامن الاجتماعي. كما أن الزكاة أداة لتنمية الاقتصاد، وهي مورد من الموارد المالية للدولة الإسلامية، وجزء من النظام المالي الإسلامي، والدولة ـ ومن في حكمها ـ تتولى رعاية ترشيد مؤسسة الزكاة، وإدارتها بحيث تتمكن الزكاة من القيام بالمهام المنوط بها شرعًا.

وحتى تؤدي الزكاة الدور الاجتماعي المطلوب وتحقق الحِكم التي من أجلها شُرعت وعلى رأسها الحكم المجتمعية ـ يجب توافر جملة أسباب، منها: توسيع قاعدة إيجاب الزكاة، وذلك باعتبار كل مالٍ نامٍ يكون وعاءً أو مصدرًا للزكاة.

(١) حبيب الله زكريا، دور التمويل الاجتماعي الإسلامي في تحقيق أهداف التنمية المستدامة: صندوق الزكاة نموذجًا، ص٢٣٨.

ثانيًا: الوقف[١].

ثالثًا: الصدقات:

الصدقة هي إيصال الخير والنفع للغير، وتدخل الزكاة في تعريف الصدقة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ...﴾ [التوبة: ٦٠] الآية، والصدقة تشمل الواجبة والمندوبة.

رابعًا: الهبات:

وهي عملٌ خيريٌّ إنفاقيٌّ، يقدّمه بعض أفراد المجتمع المقتدرين لغيرهم من الفقراء والمحتاجين، أو للمرافق المجتمعية وغيرها. ولهذه الهبات إسهامها الكبير في تغطية كثير من الحاجات الاجتماعية؛ لأن كثيرًا من الهبات يُقدَّم عَينًا، مثل الطعام والشراب واللِّباس وغيره.

خامسًا: الوصايا:

الوصية هي: «الأمر بالتصرُّف بعد الموت»، وتتناول التبرع بالمال، وتزويج البنات، وغسل الميت، والصلاة عليه وتفرقة الثلث، وغير ذلك[٢]. ويمكن لمصارف الوصايا أن تكون لتخفيف حدة الفقر، والمشروعات الاجتماعية للمؤسسات والجمعيات الخيرية، وتقديم الخِدْمات الاجتماعية، والصحية، والتعليمية.

سادسًا: القرض:

القرض هو دفع مال في عِوَض غير مخالف، يقدم فيه الأول ويؤخر العِوَض بعد ثبوته في ذمة المقترض، ومن صور الربا الظاهر أخذ الفوائد على القروض أو إعطاؤها، ومعلوم عدم جواز القرض بفائدة، وأما القرض الحسن فهو القرض الذي يُقصد به الإرفاق والإحسان إلى الغير، وذلك بألّا يكون المقصود أخذ الفائدة والزيادة، والقرض الحسن في الإسلام له دوره في التمويل الاجتماعي الإسلامي في مختلف مناحيه، كما يُسهم في زيادة فعالية الاستثمار التي تحتاجها الدول الإسلامية بصفة خاصة، والتي تعاني من قلة فعالية الاستثمار المطلوب لتمويل التنمية الاقتصادية.

٢ـ الأدوات الابتكارية المعاصرة: وهي الأدوات المبتكرة والتي تهدف إلى حل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية مثل التمويل المصغر، والتكافل الاجتماعي، والصكوك والمسؤولية الاجتماعية للشركات وغيرها.

---

(١) راجع ص١٢ – ١٨ من هذا البحث.

(٢) صالح بن غانم السدلان، أحكام الوقف والوصية والفرق بينهما، ص١٦.

أولًا: التمويل الأصغر الإسلامي:

يشير مفهوم التمويل الأصغر الإسلامي بشكل عام إلى تقديم تمويل عَيني أو نقدي للفقراء أو تقديم خِدْمات مالية أخرى لهم مثل: التأمين، والادخار، وتحويل الأموال... إلخ، بصيغ تتفق مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، ووَفق معايير وضوابط شرعية وفنية، لتساهم بدور فعال في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية[١].

التمويل الأصغر الإسلامي يسهم في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات الإسلامية في مختلف المستويات مثل تمكين الأسرة والمرأة والشباب، ومن التجارب الرائدة في التمويل الأصغر في السودان استخدام التمويل الأصغر كمدخل أساسي للتنمية الاجتماعية ومحاربة الفقر بالبلاد؛ حيث تم اعتماد التمويل الأصغر لتمويل مشروع السكن الشعبي التكميلي عبر مؤسسة التنمية الاجتماعية بولاية الخرطوم، لتوفير السكن للأسر غير المقتدرة والفئات ذات الدخل المحدود.

ثانيا: التكافل الاجتماعي:

التكافل لغةً: مأخوذ من مادة (كفَل)، وهي تأتي على معاني متعددة، منها ما يأتي بمعنى النصيب، أو بمعنى الحظ، أو بمعنى العائل وغيرها.

واصطلاحًا يعني التكافل الاجتماعي: تعاون أبناء المجتمع ـ فرادى أو جماعات ـ على تحقيق الخير ودفع الجور. وهناك من يُعرِّف التكافل الاجتماعي بأنه: «في معناه اللفظي أن يكون آحاد الشعب في كفالة جماعتهم وأن يكون كل قادر أو ذي سلطان كفيلًا في مجتمعه يمده بالخير، وأن تكون كل القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الآحاد ودفع الأضرار ثم المحافظة على دفع الأضرار عن البناء الاجتماعي وإقامته على أسس سليمة»[٢].

اهتمّ الإسلام بالتكافل لأن الإنسان إذا لم يطمئن في حياته ويشعر أن المجتمع الإسلامي يقف معه ويؤمن له حاجاته الضرورية عند العجز أو الحاجة فلن تستقيم عقيدته ولن تزكو نفسه[٣]، ويحفل التراث الإسلامي بمشاهد وتجارب ثرية لم توجد في أي مكان بالعالم، لا سيما في مجالات التكافل والتراحم والتعاضد على كافة المستويات، وفرائض الإسلام كلها لا تخلو من دعوة للتكافل، ففي الصلاة نجد المساواة التي تطبق عمليًّا، فالمسلمون يجتمعون في مكان واحد، يناجون ربهم جنبًا إلى جنب[٤].

---

(١) محمد مصطفى غانم، واقع التمويل الأصغر الإسلامي وآفاق تطويره في فلسطين.. دراسة تطبيقية على قطاع غزة، رسالة ماجستير في المحاسبة والتمويل، ص٢٩.

(٢) محمد أبو زهرة، المجتمع الإسلامي في ظل الإسلام، ص٤.

(٣) محمد شوقي الفنجري، الإسلام والضمان الاجتماعي، ص١٧.

(٤) جابر إدريس عويشة، الوجيز في فقه الزكاة وتطبيقاتها المعاصرة، ص١٥.

يُسهم التكافل الاجتماعي بقوة في حل الكثير من المشكلات الاجتماعية، وتمويل عدد من الأنشطة الاجتماعية المهمة ليسد ثُغرة مهمة في بنيان المجتمع المسلم، مثل: رعاية الصغار وحضانتهم؛ حيث أوجب الإسلام نفقة الصغار على الآباء حرصًا منه على تأمين الحياة الكريمة لهم، وإذا فقد الآباء يقع العبء على الأسر الممتدة مثل الأخوال والخالات والأعمام والعمات والأجداد والجدات، ومن في حكمهم، والجيران والجمعيات الأهلية والتعاونية وغيرها، بجانب أن الإسلام يجعل لزامًا على الأمة المسلمة أن تُوجد دُور حضانة وبيوت للأحداث أو ملاجئ للأطفال فاقدي السند (مجهولي الأبوين)، والمشردين، والمتأثرين بالكوارث والنزوح واللجوء، وغيرهم، تتوافر فيها كل وسائل التربية السليمة للناشئة.

كما يُسهم التكافل الاجتماعي في رعاية الفقراء والمساكين، والأيتام، واللقطاء، والشيوخ والعَجَزة، والعُمْيان، والمرضى، والأرامل، والمطلقات، والمهجورات، وأصحاب العاهات، والمنكوبين، والمكروبين وغيرهم؛ فمن حق كل هذه الفئات الضعيفة على المجتمع المسلم إيجاد الرعاية التامة لهم، والعناية بهم ليشعروا بأخوة الإسلام وكرامة الإنسان، وقد روى أبو عبيد أن الخيار بن أوفى النهدي مر على عثمان رضي الله عنه فقال: «كم معك من عيالك يا شيخ؟ فقال: إن معي كذا وكذا فقال: قد فرضنا لك كذا وكذا ولعيالك مئة مئة»[(١)]... وجاء في كتاب خالد بن الوليد إلى أهل الحيرة: «وجعلت لهم أيما شيخ ضعُف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيًّا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه ـ طرحت جزيته، وعِيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام»[(٢)].

ثالثًا: الصكوك:

الصُّكوكُ في اللغة جمعُ الصَّكِّ، وأصل الصّكّ في اللغة العربية هو الدفع، ويعني وثيقة اعترافٍ بالمال المقبوض أو نحوه، وثيقة تُثبت حقًّا في مِلك أو نحوه[(٣)].

والصكوك اصطلاحًا هي: «وثائقُ متساويةُ القيمة، تمثّل حِصصًا شائعةً في مِلكية أعيان أو منافعَ أو خِدْمات أو في موجودات مشروعٍ معيّن أو نشاطٍ استثماريٍّ خاص، وذلك بعد تحصيل قيمة الصكوك، وقفل باب الاكتتاب، وبدء استخدامها فيما أُصدرت من أجله»[(٤)].

---

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام، كتاب الأموال، نسخة المكتبة الشاملة، ص٧٠.

(٢) أبو يوسف، كتاب الخراج، نسخة المكتبة الشاملة، ص١٤٤.

(٣) أشرف محمد دوابه، الصكوك الإسلامية بين النظرية والتطبيق، ص١٣.

(٤) المعايير الشرعية: هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، المعيار الشرعي رقم (١٧) صكوك الاستثمار، ص٢٣٨.

وتهدُف الصكوكُ الإسلاميةُ للمساهمة في جمع رأس مال تمويل إنشاء مشروعٍ استثماريٍّ من خلال تعبئة موارده من المستثمرين، وذلك من خلال طرح صكوك وَفق مختلف صيغ التمويل الإسلامية في أسواق المال؛ لتكون حصيلة الاكتتاب فيها رأس مال المشروع.

وتنبع أهمية الصكوك أنها تُلبّي احتياجات المجتمع والدولة في تمويل المشاريع المجتمعية ومشاريع البِنية التحتية، والتنموية، بدلًا من الاعتماد على المصادر الأخرى، وتُتيح للشركات والمؤسسات الحصول على تمويل مشروعٍ يُساعدها في التوسّع في أنشطتها الاستثمارية والتنموية.

تُعتبر الصكوك الإسلامية ابتكارًا لأداة تمويلية شرعية تستوعب القدرات الاقتصادية الكبيرة، فقد تعددت مجالات تطبيق الصكوك، ومنها استخدامها كأداة فاعلة من أدوات السياسة النقدية، أو في تمويل موارد البنوك الإسلامية أو استثمار فائض سيولتها، وفي إعمار الممتلكات الوقفية، وتمويل المشروعات الحكومية، وإمكانية استخدام هذه الصكوك في الخصخصة المؤقتة شريطة أن يكون عائد هذه الصكوك جميعها ناشئًا عن موجودات دارة للدخل[١].

رابعًا: المسؤولية الاجتماعية للشركات:

يمكن لبرامج المسؤولية الاجتماعية للشركات أن تقوم بدور مقدَّر في عدد من مجالات حماية المجتمع ومساندته، وهناك عدد من الأفكار والمقترحات العملية تساعد على زيادة حجم هذا النشاط المهم وتنويع أشكاله، وضمان وصوله لأهدافه بما يعود بالنفع على المجتمع، مثل:[٢]

تعزيز جهود دفع الضرر عن المستضعفين، وسد حاجة العاجزين والمحتاجين، بما يحول تصدع المجتمع.

إعادة توزيع الدخل العام على وجه يحقق التوازن بين طوائف المسلمين، وينفي الطبقية المقيتة، مما يعزز الأمن الاجتماعي والفكري والتعاون والتعاضد بين كل فئات المجتمع.

أن تضرب المسؤولية الاجتماعية للشركات بسهم في جهود شغل وقت فراغ الشباب بالأنشطة الرياضية والفكرية المفيدة، وتوضيح أهمية التعاون والعمل بروح الفريق لمواجهة مشكلات المجتمع، واستضافة العلماء ورجال الدين في الأندية ومراكز الشباب لتعزيز الأمن المجتمعي، واستغلال الأنشطة الاجتماعية في تحقيق التلاحم والوحدة في الفكر والمنهج والغاية، وتنظيم برامج إعلامية اجتماعية رائدة ومؤثرة.

---

(١) أحمد عبد العليم أبو عليو، قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي الدولي للدورات: ٢ - ١٩، ص٥٧٨.

(٢) محمد خليفة صديق، دور المسئولية الاجتماعية للشركات في تعزيز الأمن الفكري، ورقة قدمت في الملتقى التنسيقي الدعوي التاسع للوزراء والمسؤولين عن الدعوة بالولايات، ص١١.

الحد من انتشار ظاهرة البطالة بين الشباب، بمساهمتها في تشغيل الخريجين، مما يعزز الأمن الاجتماعي والفكري لهم، ودعم البحث العلمي الساعي لتحقيق الأمن الفكري من خلال إقامة مراكز بحوث استراتيجية متخصصة تُعنى بالأمن القومي.

ترسيخ وسطية الإسلام واعتدال مبادئه في المجتمع، والتعريف بالأفكار المنحرفة للتحذير من الوقوع فيها عبر تمويل الأنشطة التي تسهم في ذلك.

إعانة الجهات المعنية بالإشراف على الدعوة في التدريب والتأهيل ورفع مستوى الثقافة الدينية والسياسية والاجتماعية للخطباء ليسهموا في تحقيق الأمن المجتمعي وبسط مفاهيم التكافل والتعاضد وعون المحتاجين بمختلف فئاتهم.

أفكار لتوظيف آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي لتغطية حاجات كل محتاج:

من المؤكد أن أهداف التمويل الاجتماعي الإسلامي ليست مادية وحسب، فهي لم تُشرع لسدّ حاجات الفقراء والمحتاجين المادية وحدها، بل تشمل أيضًا الحاجات المعنوية والروحية، ومن هنا تُعتبر هذه الآليات في بعض جوانبها أصلًا للتكافل الاجتماعي والثقافي، ومورِدًا من موارده المهمة.

فالزكاة مثلًا فُرضت للإنفاق على مصالح المسلمين العامة، علمًا بأن المصلحة العامة تُقدر في كل زمان بحسب شدة الحاجة ودرجة استنفار طاقات الأمة ومستوى تحدياتها القائمة. والملاحظ أن مصارف الزكاة تندرج كلها في إطار التكافل الاجتماعي العام، لكن أربعة منها تصلح أن تكون أصلًا ومورِدًا للتكافل الاجتماعي الثقافي، وهي سهم المؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وابن السبيل.[١]

كما يمكن تخصيص نسبة من أموال آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي لضمان مؤسسات التمويل لمشروعات الفقراء الإنتاجية، والتي يجب أن يكون فيها جُعْل مُقدّر للمشروعات المختلفة التي يعود رِيعها على أصحاب الحاجات، والمناطق المنكوبة بالكوارث والصراعات وغيرها.[٢]

يرى بعض علماء السودان أنه يجب أن تعمل آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي ـ ومنها الزكاة ـ على تمويل مشروعات الأسر المنتجة الجماعية، والمشروعات التنموية الريفية، وأن يكون دور ديوان الزكاة إشرافيًّا، كما عليه تقديم الدراسات الفنية، وإقامة النماذج العلمية[٣].

(١) استراتيجية التكافل الثقافي لخدمة قضايا المسلمين التنموية والحضارية، ص٤٠ وما بعدها.
(٢) أحمد علي الأزرق وآخرون، ورقة المصارف، في: أوراق المؤتمر الأول للزكاة ١٩٩٠م، ص١٣٤.
(٣) أحمد علي الأزرق وآخرون، ورقة المصارف، في: أوراق المؤتمر الأول للزكاة ١٩٩٠م، ص١٣٨.

وهناك رأي فقهي معتبر يقول بتوسيع مفهوم (في سبيل الله) ليشمل جميع القُرَب[١]؛ فالزكاة وغيرها من آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي بهذا المفهوم ستعمل بالتأكيد على التقليل من التفاوت الطبقي والتقريب الاجتماعي بين الطبقات، ومن شأن ذلك أن يخلق جوًّا من الأمن والطمأنينة يسود المجتمع بكل فئاته.

وقد فصّل عدد من العلماء القدامى والمعاصرين في بيان ما يمكن أن يدخل في إسهام آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي في دورها الكبير؛ فمثلًا في سهم (في سبيل الله) الزكوي مما له صلة بالتكافل الاجتماعي والثقافي، وضربوا لذلك أمثلة كثيرة لأعمال تحتاج لها رسالة الإسلام للإنسانية، مثل: إنشاء مراكز للتعريف بالإسلام الصحيح الصافي، وتبليغ رسالته السمحة، وبناء مؤسسات تربوية واعية تحتضن الشباب المسلم، وتشييد محطات إعلامية تقف في وجه المنابر الهدامة، تصدع بقول الحق، وتحسن عرض مبادئ الدين القويم.

فقه الواقع الماثل في بلاد الإسلام والعالم عمومًا يقتضي إيجاد آليات لتفعيل دور آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي، والسعي لاعتماد فقهٍ مرِنٍ في أمر مصارف الزكاة، وغيرها من آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي، والتوسع في فقه النظر لبعض المصارف مثل: مصرف الغارمين، والنظرة الأكثر واقعية وعصرية لمصرفي (ابن السبيل) و(في سبيل الله)، ليشمل البحث العلمي والتطوير؛ لتخرج الأمة من حالة الفقر والمَسْغبة الحضارية. وكان شيخ الأزهر السابق محمود شلتوت يقول: «إن رِقّ الأفراد قد انقرض، ولكن حلّ محله رِقّ هو أشد فتكًا، ذلكم هو استرقاق الشعوب في أفكارها، وسلطانها، وحريتها في بلادها»... فما أجدر هذا الرِّق بالمكافحة، ورفعِ ذُلِّه عن الشعوب، لا بمال الزكاة فقط، بل بكل الأموال والأرواح.[٢]

كما أنه من المفيد الأخذُ بالفتوى القائلة بجواز استثمار أموال الزكاة، ويمكن لذلك أن يخدُم استراتيجية التكافل الثقافي التي اعتمدتها منظمة التعاون الإسلامي؛ بحيث لا يكون الاستثمار تجاريًّا بحتًا، بل يحمل مضامين ثقافية واجتماعية، بتشجيع الصناعات اليدوية والتراثية في العالم الإسلامي، وتمليك الفقراء والشباب مشروعاتٍ إنتاجية ذات خصوصية، تخدُم التكافل الثقافي والاجتماعي في العالم الإسلامي، لا سيما أن خصوصية مشروعات التكافل الثقافي تتمثل في كونها ذات بُعد ثقافي، وأنها تحافظ على التراث الإسلامي بأنواعه، وتشجع السياحة الإسلامية مثل مشروعات التراث الشعبي الإسلامي، والصناعات

(١) صديق ناصر وآخرون، ورقة اقتصاديات الزكاة، في: أوراق المؤتمر الأول للزكاة ١٩٩٠م، ص٢٥٢.

(٢) استراتيجية التكافل الثقافي لخدمة قضايا المسلمين التنموية والحضارية، ص٤١ وما بعدها.

اليدوية، والحفاظ على الخط العربي والزخرفة الإسلامية، ولها أثرها الإيجابي على المجتمع المسلم وغيره[١].

ومن الآليات أيضًا ضرورة السعي لإحياء الفروض الكِفائية لا سيّما في المجالات الحضارية لتحقيق الاكتفاء الذاتي للأمة في المجالات الصناعية والتقنية، لإخراج الأمة من موقف الاحتياج والعَوَز[٢]، فمن غير المعقول أن نسعى لإخراج الفقير والمسكين من هذه الحالة، ونترك الأمة بمجموعها ترزَح فيها.

(١) محمد خليفة صدّيق، آليات تفعيل دور الزكاة في تعزيز التكافل الثقافي في المجتمع الإسلامي، ورقة قدِّمت في ورشة العمل شبه الإقليمية حول دور الزكاة في تعزيز التكافل الثقافي في المجتمع الإسلامي، التي نظمها المعهد العالي لعلوم الزكاة بالخرطوم بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، في الفترة من ١٠ – ١١ يوليو ٢٠١٢م.

(٢) عبد الباقي عبد الكبير، إحياء الفروض الكفائية سبيل تنمية المجتمع، ص١٣٥.

المبحث الثاني
دور النهوض بثقافة التطوع بوصفه آلية لتعزيز العمل الإسلامي المشترك

المطلب الأول : أهمية العمل التطوعي ودوره في استقرار المجتمعات وتضامنها

يُعرّف التطوع بأنه: «الخِدْمات التي تُقدّم خارج إطار العمل، دون توقع لأي منفعة أو أي مردود مادي، على أن تعود هذه الخِدْمات بالخير على المجتمع ككل». وبمعنًى آخر، هو: «كل جهد جسماني أو عقلي يبذله الأفراد أو الفئات أو الجماعات مبادرين طائعين مختارين أحرارًا بقصد تقديم خِدْمات أو إسداء نفع اجتماعي أو اقتصادي لمصلحة الآخرين دون مقابل مادي أو عيني»[١].

فالتطوع هو قمة العطاء بالنسبة للمتطوعين والمجتمع على السواء؛ وذلك لأن المتطوع يبذل راضيًا لغيره ما زاد عن حاجته من قدرات جسمانية ومادية واجتماعية واقتصادية وغيرها. أما بالنسبة للمجتمع فإن هذا البذل يُعبر عن قيم المجتمع الفاضلة، في إطار التراحم والتكافل والتعاضد، ولا يتقيد العمل التطوعي بزمان ولا مكان معيّنين، أو بمجتمع دون الآخر أو بدين دون الآخر أو بعِرق دون الآخر، طالما أن هدفه إنساني في المقام الأول.

التطوع أو العمل التطوعي هو عمل غير رِبحي، لا يُقدم نظير أجر معلوم، وهو عمل غير وظيفي/ مِهْني، يقوم به الأفراد من أجل مساعدة وتنمية مستوى معيشة الآخرين، من جيرانهم أو المجتمعات البشرية بصفة مطلقة[٢]. ويطلق مفهوم العمل التطوعي على المجهودات التطوعية المحلية والقومية، وأيضًا البرامج الثنائية أو المتعددة الجوانب (العالمية) التي تَعبُر إلى خارج الحدود[٣]. فالتطوع هو تقديم العون والمساعدة للآخرين، ليسود الخير في المجتمع، وسُمّي بذلك لأن الإنسان لا يقوم به مجبرًا، بل طواعية بلا أي إكراه.

هناك الكثير من الأشكال والممارسات التي ينضوي تحتها العمل التطوعي، من مشاركات تقليدية، إلى مساعدة الآخرين في أوقات الشدة وعند وقوع الكوارث الطبيعية والاجتماعية دون أن يطلب ذلك،

(١) عمر أحمد المصطفى حياتي، دور آليات التطوع في إدارة الكوارث بالسودان، ورقة في أرشيف الكاتب، ص٥.
(٢) محمد هشام أبو القمبز، جدد شبابك بالتطوع، ٢٠٠٧، موقع صيد الفوائد، www. saaid. net، ص3.
(٣) كمال عمر بابكر، تحديات منظمات المجتمع المدني في مواجهة القطبية الأحادية، ص٣٢.

وإنما يُمارس كرد فعل طبيعي دون توقع نظير مادي لذلك العمل، بل النظير هو السعادة والرضا عند رفع المعاناة عن كاهل المصابين، ولمِّ شمل المنكوبين، ودرء الجوع والأمراض عن الفقراء والمحتاجين، بقطع النظر عن دينهم أو عرقهم أو بلدهم.

العمل التطوعي بالمنظار التنموي يُعد رافدًا من روافد التنمية والنهوض بالمجتمع، بما يتضمنه من مبادرات وتفاعل اجتماعي فاعل على المستويين الفردي والاجتماعي وكذلك المؤسسي، كما أن هناك أبعادًا مشتركة بين العمل التطوعي والتنمية، مثل: الاهتمام بالبيئة، وحماية المستهلك، وحقوق الإنسان، وتقديم العون والمساعدة في حالات الكوارث والحروب والمِحن، والتكافل الاجتماعي والعناية بالأسرة والأمومة والأطفال، وسد الثُّغْرات الخِدْمية التي تتعذر على القطاعات المسؤولة، لكل ذلك وغيره كثير، ويمكن الحديث عن ثقافة العمل التطوعي لرفع الوعي بين المواطنين المشاركين والمقدمين للخدمة من خلال عدة نقاط، منها:(١)

أولًا: يتشكل العمل التطوعي بتعريفه وماهيته التي تعني الجهد المبذول بطريقة اختيارية، وبدون قَسْر؛ مرضاةً لله تعالى، ومصلحةً للوطن، بإيثار الغير على الذات، دون انتظار عائد مادي إلى شكلين مهمين: أولهما العمل التطوعي، وهو سلوك فردي أو بمشاركة مجموعة لا يرجون مردودًا ماديًّا، ويكون مؤسسًا على قناعة شرعية أو أخلاقية أو اجتماعية، لكنه محدود الأهداف وغير مستقر. أما الشكل الثاني فهو العمل التطوعي المؤسسي الذي تقوم به مؤسسة أو جمعية متخصصة بالمجال التطوعي، وهو سلوك متطور وأكثر استقرارًا وتحقيقًا للأهداف، كما يعتمد على قناعة وتأييد المجتمع والتخصص والتخطيط والتنظيم واستقطاب الشخصيات الفاعلة والمؤهلة.

ثانيًا: يمكن تلخيص معالم العمل التطوعي بأنه جهد وعمل طَوْعي اختياري وغير مأجور، وتنظيم لا يستهدف الربح، إنما يهدف لتحقيق هدف معين لتحسين الحياة، كما يهدف لسد ثُغْرة في مجال الخِدْمات الاجتماعية، وهو منظم ومحكوم بأُطُر إدارية ومؤسسية (مجلس إدارة وجمعية عمومية ومجلس أمناء)، مع الأخذ في الاعتبار أنّ التنظيم ليس مقصودًا لذاته، وإنما لتحقيق أهدافه الخِدْمية والمجتمعية، وهو تنظيم تحكمه تشريعات، ويعتمد على عناصر الحوكمة، كالشفافية والمساءلة القانونية والأخلاقية. كذلك من المهم معرفته أن العمل التطوعي يقوم على دعائم مهمة، وهي أنه اختياري، وموجّه للمجتمع، وبدون عائد مالي، إضافةً إلى حاجته لما يُسمّى عملية الاحتساب الاجتماعي.

---

(١) صالح بن سليمان العامر، ثقافة التطوع، صحيفة الجزيرة السعودية، العدد ١٧٥٦٣، ٩ ديسمبر ٢٠٢٠م.

ثالثًا: للعمل التطوعي أهداف مختلفة سواء على مستوى الفرد والمجتمع كخدمة الناس للحصول على ثنائهم والاستفادة منهم وقت الحاجة والعمل واحتساب الأجر في خدمة الناس، إضافة إلى الفَزْعة والنَّخْوة، والقيام بأعمال يحبها الله، من دون أن تكون واجبة علينا وبدون مقابل. ومن أهدافه إكمال العمل الحكومي ودعمه، وتوفير خِدْمات قد يصعب على الإدارات الحكومية تنفيذُها، وهو ظاهرة ومعيار لتقدم الشعوب، وله دور في زيادة اللُّحْمة الوطنية.

رابعًا: العمل التطوعي له مجموعة من المنافع الذاتية والمتعدية، وتتضمن المنافع الذاتية أن العمل التطوعي المنتظم يزيد في متوسط العمر المتوقع للفرد، وأن الذين لا يؤدون عملًا تطوعيًّا أكثر عُرضة للوفاة بمقدار مرتين ونصف مقارنةً بالعاملين حسب دراسة علمية، كذلك منها الصعود للقمة والعَلاقة الطردية بين العطاء والأخذ، «كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة حتى يقضى بين الناس»[١]. وكذا بناء عَلاقات جيدة مع المؤسسات والأفراد والشعور بالإيجابية بعد تقديم الرسالة السامية، وخِدمة الناس، واكتساب مهارات جديدة ومتعددة، واستثمار أمثل للشباب والفراغ والخبرة، وأخيرًا تحويل المعارف والعلوم الشرعية والسلوكية لبرامج تطبيقية. أما المنافع المتعدية فهي منافع المؤسسات غير الربحية، والتي تشمل التعاون بين المؤسسات غير الربحية ومؤسسات المجتمع المحلي وغيرهم.

هناك عقبات تحول دون فاعلية العمل التطوعي والنهوض به؛ لذا ينبغي التعامل معها، والسعي الجاد لمعالجتها، ومن أهمها:[٢]

ضعف خبرة المتطوعين وعدم كفاءتهم.

غياب ثقافة التطوع لدى المتطوعين والراغبين في التطوع.

ازدواجية الرؤية الموجهة للعمل التطوعي ما بين المنظور الإسلامي والمنظور الغربي.

عزوف الكثير من أفراد المجتمع وخاصة من الشباب عن المشاركة في العمل التطوعي، لضعف الوعي بمفهوم وثقافة وفوائد العمل التطوعي.

وجود صورة ذهنية سلبية عن العمل التطوعي تساهم فيها وسائل الإعلام، خاصة في ظل المتغيرات الدولية.

والعمل الإسلامي في وقتنا الحاضر بحاجة لكثير من الجهود ليقوم بعمله في سد الفجوة في مجالات العمل الدعوى الإنساني والاجتماعي والثقافي والتربوي؛ في الجانب الإغاثي وهو الجانب الإنساني الذي يُعد الركيزة الأولى للعمل الخيري ويتمثل في تقديم الإغاثة العاجلة، وإعانة الفقراء، وحفر الآبار وتقديم

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، بالرقم ١٧٣٣٣.

(٢) إبراهيم البيومي غانم، مقاصد العمل الخيري والأصول الإسلامية للمشاركة الاجتماعية، ص٦٢.

الخدمة العلاجية وغيرها من الأعمال الإنسانية، أما الجانب الذي يتعلق بالناحية الاجتماعية والتربوية والثقافية والدعوية فيتمثل في كفالة الأيتام، وإنشاء المدارس، وبناء المساجد والمراكز الإسلامية، وكفالة طلاب العلم، وطباعة المصحف ونشره، وطباعة وتوزيع الكتب النافعة. كذلك تهتم المؤسسات الإسلامية بإقامة الدورات الشرعية وتسيير القوافل الدعوية.

وهذا العمل الكبير يجعل مؤسسات العمل الإسلامي تسعى عبر نشاطاتها المتنوعة إلى تقوية الإيمان في نفوس المسلمين وذلك عن طريق تعليمهم أمور دينهم، عقيدةً وشريعةً، وتحصينهم ضد الدعوات الضالة، والمناهج المنحرفة، والنظريات الباطلة. كما تحرص هذه المؤسسات بشكل استراتيجي على الوقوف إلى جوار ضعفاء المسلمين عند نزول المِحَن والمصائب والكوارث كالفيضانات والمجاعات والحروب والأوبئة الفتاكة؛ حيث تقدم العَوْن الإغاثي، فتواسي آلام المصابين، وتداوي جراحهم، وتخفف مُصابهم، وهذا يجعلها في أشد الحاجة للمتطوعين ليكونوا عونًا لها في رسالتها السامية، خاصة أنها تتخذ وسائل متنوعة وأساليب متعددة مما يحقق في المحصلة النهائية تكامل الجهود، وتناسق العطاء، وتأكيد بعضه بعضًا؛ فالتنوع في الأساليب لا يخلق أو يولد تنافرًا بل يؤسس تكاملًا وتعاونًا وتعاضدًا.(١)

والعمل الإسلامي يحتاج إلى جميع أفراد المجتمع رجالًا ونساء، شِيبًا وشبابا، صغارًا وكبارًا، في دعمه ماديًّا ومعنويًّا، ومن هنا برزت أهمية توظيف العنصر البشري بكل فئاته وأنواعه وقدراته واستعداداته وإمكاناته لخدمة العمل الخيري وتطويره والارتقاء به؛ لسد احتياجات المسلمين من جميع الجوانب الاقتصادية والتعليمية والتربوية والصناعية والزراعية والاجتماعية والصحية.

أهمية النهوض بثقافة التطوع بوصفه آلية لتعزيز العمل الإسلامي المشترك:

نَعني بثقافة التطوُّع الأفكارَ، والأساليب، والقيم، والعاداتِ المتصلةَ بالعمل الخيري. والعمل التطوعي هو: «سلوك جماعي مشترك، لا يتكون إلا إذا امتلك المجتمع رؤًى ومفاهيمَ ومعارفَ، توفِّر له أرضية ثقافية مشتركة، يقف عليها وينطلق منها». والعمل التطوعي هو قرين العمل الخيري في التربة الإسلامية، والذي يُطلق على: «كل مال أو وقت أو جهد يتم بذله من أجل منفعة الناس وإسعادهم والتخفيف من معاناتهم»، كما يقوم بالإحسان لهم ومواساتهم وإرشادهم إلى الطريق الصحيح، والفرق بين الإحسان الذي هو حل مشكلة ما، وبين العمل الخيري الذي يحل جذور تلك المشكلة ـ واضح لكل من يدقق عند المقارنة بين العملين(٢).

(١) مؤسسات العمل الإسلامي والتنمية البشرية، في: علي بن نايف الشحود، موسوعة البحوث والمقالات العلمية، المكتبة الشاملة، ص١٢.

(٢) عبد الكريم بكار، ثقافة العمل الخيري.. كيف نرسخها وكيف نعمّمها؟ ص١٢.

في الفكر الإسلامي يتصل التطوع بالفرض، كاتصال السنة بالواجب، وقد ينتقل العمل الواحد من موقع التطوع إلى موقع الفريضة الملزِمة؛ إذ إنّ الأعمال المرتبطة بفروض الكفاية غالبًا ما يتم القيام بها لمصلحة المجتمع بواسطة أفراد أو جماعات لها الرغبة والتأهيل للقيام بمثل هذه الأعمال طَوْعًا، فإن لم ينهض به أحد صار العمل المطلوب فرضًا مُلزمًا، ويأثم الجميع ما لم يقُم هذا الفرد أو تلك الفئة أو الجماعة أو غيرها بأدائه على الوجه الذي يكفي حاجة المجتمع.

وقد حثّ الإسلام في عدد من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية على أهمية التطوع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وقوله: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]. وفي السنة النبوية جاءت توجيهات النبي ﷺ تَعِد المتطوع بالأجر الوافر في الآخرة، حتى وصل الأمر أن يكون ذلك التطوع وتلك الخِدْمات المبذولة أفضل من كل أنواع العبادة الفردية؛ لأن التطوع عبادة يحصُد رِيعَها المجتمع، ومن ذلك قوله ﷺ: «لَأنْ يمشي أحدكم في حاجة أخيه خيرٌ من أن يعتكف في مسجدي هذا شهرًا»، ويقول في حديث آخر: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين» وأشار إلى الوسطى والسبابة[١]. ولعل في قوله ﷺ: «إن لله عبادًا اختصهم بحوائج الناس، يفزَع الناس إليهم في حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله»[٢]، وفي قوله: «من كان له فَضْل ظَهر فليعُدْ به على من لا ظَهْر له»[٣]، وفي قوله: «خير الناس أنفعهم للناس»[٤]، دعم لا محدود لقيم التطوع.

في الواقع الماثل تتفاوت مؤسسات التطوع بين التقليدية القائمة على تبادل الخِدْمات والاستجابة الجماعية لحاجات المجتمع في أوقات الشدة، وبين المؤسسية القائمة على التخطيط والتنفيذ والمتابعة والتنسيق والتمويل الخارجي... إلخ، والمتمثلة في منظمات المجتمع المدني والجمعيات الأهلية وغيرها، وقد أصبح العمل التطوعي حاليًّا ضرورة من ضروريات الحياة لما له من رسالة اجتماعية هدفُها المشاركة في البناء والتنمية، وتقوية دعائم المجتمع جنبًا إلى جنب مع جهود الدولة، ومن ثَم الارتقاء بمؤشرات التنمية المستدامة[٥]. وهو كذلك يحظى على المستوى العالمي بالاهتمام المتزايد من قبل منظمة الأمم المتحدة من خلال برامجها ومؤسساتها التي تقدم العَوْن للفقراء والمهمَّشين والمنكوبين واللاجئين، وقد

(١) رواه البخاري.

(٢) أخرجه الطبراني (١٢/ ٣٥٨، رقم ١٣٣٣٤)، وابن عساكر (٥٤/ ٥).

(٣) بدر الدين العيني الحنفي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، نسخة المكتبة الشاملة، الجزء ١٤، ص٦.

(٤) حديث حسن، رواه البيهقي والطبراني.

(٥) أحمد محمد سيد أحمد الشناوي، مستوى ثقافة العمل التطوعي لدى الطلاب: دراسة ميدانية، ص١.

جَعلت يوم الخامس من ديسمبر من كل عام يومًا عالميًّا للتطوع؛ تقديرًا من المنظمة الدولية للدور الكبير الذي يمكن أن يقوم به العمل التطوعي في كافة مجالات العمل الإنساني والتنموي[١].

للتطوع نماذج عديدة؛ فيمكن أن يكون ببذل الجهد العضلي، أو بالتبرع بالمال والدم لذوي الحاجة، أو بالأفكار. ويمكن أن يتمثل في إسداء النصح والإرشاد. وقد أصبح العمل الاجتماعي التطوعي اليوم من أهم سبل النهوض بالمجتمعات؛ فالحكومات سواء في الدول المتقدمة أو النامية لم تعُدْ قادرة على تلبية احتياجات أفرادها والمجتمع ككل، مما فرض ظهور أشكال جديدة من آليات العمل، تساهم في دعم الحكومة لاستكمال ما تقوم به لتلبية الاحتياجات الاجتماعية لأفراد مجتمعها، مما أدى إلى بروز جمعيات أهلية تقدم العمل التطوعي وتنظمه، ومن ثَم لم يعُد العمل التطوعي مقتصرًا على مجال مساعدة الفقراء والمساكين، وإنما يقوم بدور أساسي في تنمية هذه المجتمعات والارتقاء بها، وسد حاجاتها خاصة في أوقات النكبات والجوائح والأزمات.

المطلب الثاني : تعزيز العمل التطوعي للقيم الاجتماعيّة ودوره في الأزمات المجتمعية

العمل الاجتماعي التطوعي له فوائد جمة، تعود على الفرد المتطوع نفسه، وعلى المجتمع بأكمله، وتؤدي إلى استغلال أمثل لطاقات الأفراد، وخاصة الشباب في مجالات غنية ومثمرة لمصلحة التنمية الاجتماعية، وله كذلك العديد من الآثار الإيجابية على القيم الاجتماعيّة وقيم التكافل والتراحم والتعاضد والتكاتف، وله دوره المرموق في الأزمات المجتمعية، ومن أبرز آثار العمل التطوعي الإيجابية ـ التي يحصِّلها المتطوع والمجتمع من هذا العمل الجليل ـ ما يلي:[٢]

يقدِّم المتطوع جزءًا من جهده ووقته، وأحيانًا ماله في مقابل تقدم الآخرين، وتمثِّل استفادة هؤلاء الآخرين بالنسبة إليه مصدرَ راحة نفسية.

يرفع العمل التطوعي مستوى الدافعية للعمل، ويزيد من حماسة المتطوع كلما رأى الآثار الإيجابية والتطور الملحوظ لدى مَن يتطوع للعمل من أجلهم.

يخفِّف العمل التطوعي من النظرة العدائية أو التشاؤمية لدى المتطوع نفسه تجاه الآخرين والحياة، ويمده بإحساس وشعور قوي بالأمل والتفاؤل.

---

(١) الغرفة التجارية بالرياض، ورقة عمل حول «دور القطاع الخاص في تنمية وتطوير العمل التطوعي»، مقدمة إلى: المؤتمر الرابع لجمعية متطوعي دولة الإمارات العربية المتحدة، الشارقة، ٢٤ - ٢٣مارس ٢٠٠٣م، ص٧.

(٢) العمل التطوعي: ميادينه وآثاره، ص٥٥.

يهذِّب التطوع الشخصيّة، ويرفع عنها عقلية الشُّحِّ، ويحولها إلى عقلية الوَفْرة، مصداقًا للآية الكريمة: «ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون».

الرغبة في الجزاء الأخروي الذي وعد الله سبحانه وتعالى: «الذين يسارعون في الخيرات».

يزيد العمل التطوعي من قدرة الإنسان على التفاعل والتواصل مع الآخرين على المستوى الاجتماعي، كما يحُدّ من النزوع إلى الفردية، وينمي الحِسّ الاجتماعي لدى الفرد المتطوع.

يساهم العمل التطوعي في جعل المجتمع أكثر اطمئنانًا، وأكثر ثقة بأبنائه.

يخفف العمل التطوعي من الشعور باليأس والإحباط وسط المجتمع.

يحُدّ العمل التطوعي من النزعة المادية لدى أفراد المجتمع.

يجعل العمل التطوعي القيمة الأساسية متمثلةً في التواصل والإنتاج والرضا الذاتي المتصل برضا الله سبحانه وتعالى.

إذن فالتطوع يتيح للإنسان تعلم مهارات جديدة أو تحسين مهارات يمتلكها أصلًا، كذلك يتيح للإنسان التعرف عن كَثَب على مجتمعه، والالتحام مع قضاياه وهمومه، والتعرف على أناس يختلفون عنه في السنّ، والقدرات، والخبرات، والتجارب، مما يؤدي إلى تبادل هذه الخبرات، كما يساعد في إنشاء صداقات جديدة، وتنمية الثقة بالنفس.

يساهم العمل التطوعي في تعزيز القيم الاجتماعيّة، وله دوره المشهود في التصدي ومعالجة الأزمات المجتمعية، وله فوائد عديدة تعود على الفرد المتطوع نفسه، وعلى المجتمع بأكمله؛ حيث يؤدي العمل التطوعي إلى استغلال أمثل لطاقات الأفراد، وخاصة الشباب في مجالات غنية ومثمرة لمصلحة التنمية الاجتماعية. كما يقوي العمل التطوعي الرغبة بالحياة والثقة بالمستقبل، حتى إنه يمكن استخدامه لمعالجة الأفراد المصابين بالاكتئاب والضيق النفسي والملل، ويساهم كذلك في تحسين المستوى الاقتصاديِّ والاجتماعي، والحفاظِ على القيم الإسلامية، واستثمارِ أوقاتِ الفراغِ، وتحويلِ طاقاتِ الشباب إلى قدراتٍ عاملةٍ ومنتجة، وبثِّ رُوح التكافل والتراحم في المجتمع، وهو الملاذُ لأي مجتمع في ابتدار التعامل مع الأزمات الطارئة والنكبات والكوارث، بل والمساهمة الفاعلة في تخفيف حدتها ومعالجتها.

المطلب الثالث : اقتراحات لتعزيز وترسيخ ثقافة العمل التطوعي في نفوس الناشئة والشباب

من المهم أن تسعى كل الجهات ذات الصلة بقضايا وهموم المجتمع أن تعزز ثقافة وحضور العمل التطوعي في أوساط المجتمع ليضطلع بدوره المحوري في هذا الصدد، وليساهم بفعالية في التصدي للأزمات والكوارث التي تحُل بالمجتمع دون سابق إنذار، ويمكن الوقوف عند بعض المقترحات التي تُسهم في تعزيز وتطوير العمل التطوعي، منها:

تنشئة الأبناء تنشئة اجتماعية سليمة، وغرس قيم وثقافة العمل التطوعي فيها منذ الصغر، وذلك من خلال قيام وسائط التنشئة المختلفة، كالأسرة والمدرسة والإعلام، بدور منسق ومتكامل الجوانب في غرس قيم التضحية والإيثار، وروح العمل الجماعي في نفوس الناشئة منذ مراحل الطفولة المبكرة.

أن تضم البرامج الدراسية للمؤسسات التعليمية المختلفة بعض المقررات الدراسية التي تركز على مفاهيم العمل الاجتماعي التطوعي وأهميته ودوره التنموي، ويقترن ذلك ببعض البرامج التطبيقية؛ بما يثبّت هذه القيمة في نفوس الشباب، مثل حملات تنظيف محيط المدرسة، أو العناية بأشجار المدرسة، أو خدمة البيئة في الحي والقرية وغيرها.

دعم المؤسسات والهيئات التي تعمل في مجال العمل التطوعي ماديًّا ومعنويًّا بما يُمكِّنها من تأدية رسالتها وزيادة خِدْماتها.

إقامة دورات تدريبية للعاملين في هذه الهيئات والمؤسسات التطوعية؛ بما يؤدي إلى إكسابهم الخبرات والمهارات المناسبة، ويساعد على زيادة كفاءتهم في هذا النوع من العمل، وكذلك الاستفادة من تجارب الآخرين في هذا المجال.

التركيز في الأنشطة التطوعية على البرامج والمشروعات التي ترتبط بإشباع الاحتياجات الأساسية للمواطنين، ومخاطبة همومهم المجتمعية والأسرية.

مطالبة وسائل الإعلام المختلفة بدور أكثر تأثيرًا في تعريف أفراد المجتمع بماهية العمل التطوعي، ومدى حاجة المجتمع إليه، وتبصيرهم بأهميته ودوره في عملية التنمية.

إبراز أدوار العاملين في مجال العمل التطوعي بطريقة تكسبهم الاحترام الذاتي واحترام الآخرين.

تدعيم جهود الباحثين لإجراء المزيد من الدراسات والبحوث العلمية حول العمل الاجتماعي التطوعي؛ مما يسهم في تحسين واقع العمل الاجتماعي بشكل عام، والعمل التطوعي بشكل خاص.

استخدام العمل التطوعي في المعالجة النفسية والصحية والسلوكية لبعض المتعاطين للمخدرات والمدمنين أو العاطلين أو المنحرفين اجتماعيًّا.

استخدام التكنولوجيا الحديثة لتنسيق العمل التطوعي بين الجهات الحكومية والأهلية لتقديم الخِدْمات الاجتماعية وتقديم بيانات دقيقة عن حجم واتجاهات وحاجات العمل التطوعي الأهم للمجتمع.

استثمار ميزة كثرة المتطوعين والمتطوعات في إدارة الفعاليات والمشاريع بمقابل، وتنفيذ الأعمال المتخصصة من خلالهم لتوفير الكثير من المصاريف مثل: محامٍ، ومصمِّم، ومبرمج متطوع، واستقطاب المتبرعين من خلال أصدقائهم المتطوعين، والسعي إلى تحقيق مبدأ المواطنة الصالحة.(١)

التواصل الإيجابي مع الفئات المتعاملة مع مؤسسات العمل التطوعي وخاصة الفئة الداعمة، وفئة المتطوعين بشكل يؤدي إلى تحويل التعامل إلى استثمار وعوائد مالية تعود بالنفع على الجميع وتسهم في تطوير العمل التطوعي وتثميره.

الطلب من الشركات الكبرى وغيرها تشجيع المتطوعين المتخصصين للعمل في الجمعيات الاجتماعية.

(١) خطوة لاستثمار اجتماعي ناجح.. دليل إجرائي للجمعيات الاجتماعية في المملكة العربية السعودية، ص٢١.

نتائج البحث

توصل البحث إلى عدد من النتائج، منها:

التمويل الاجتماعي الإسلامي وأدواته المتنوعة أحد أنجع الوسائل وأفضلها في التعامل مع المشاكل الاجتماعية والاقتصادية في العالم الإسلامي وخارجه.

إحسان توظيف آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي، مثل: صندوق الزكاة، والوقف، والتبرعات ـ كفيل بوضع حدٍّ وتخفيف لمعظم المشاكل الاجتماعية والاقتصادية.

فهم قطاع التمويل الإسلامي وأنه وسيلة لمزاولة الأعمال بما يتوافق مع أحكام الشريعة، وأنه بديل أخلاقي للاستثمار يتمتع بالنزاهة، والمسؤولية الاجتماعية، وسيساعد في النهوض بهذا القطاع وتوسيع التعامل معه.

التمويل الاجتماعي الإسلامي يساهم في تحقيق العدل الاجتماعي في توزيع الثروة، والقضاء على المشكلات الاجتماعية والبطالة، وتوفير فرص للعمل، وتخفيف حدة الفقر وغيرها.

العمل التطوعي في المجتمع له فوائد جمة تعود على الفرد المتطوع نفسه وعلى المجتمع بأكمله.

تعزيز وترسيخ ثقافة العمل التطوعي في نفوس الناشئة والشباب ينعكس إيجابًا على العمل التطوعي وتطويره والنهوض به.

النهوض بثقافة التطوع في أوساط شباب المسلمين يُسهم في تعزيز هذه الآلية المهمة من آليات تعزيز العمل الإسلامي المشترك.

توصيات البحث

يوصي البحث بعدد من التوصيات تُسهم في تحقيق دور أكبر لآليات التمويل الاجتماعي الإسلامي في دعم وتعزيز العمل الإنساني في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث، والنهوض بثقافة التطوع لتعزيز العمل الإسلامي المشترك، والتوصيات كالتالي:

تعزيز وتقوية جهود منظمة التعاون الإسلامي والمنظمات ذات الصلة؛ لتعزيز السلام والأمن العالميين، ومساندة تدابيرها لتعزيز التمويل الاجتماعي الإسلامي، واستراتيجيات التعاون والتكافل بين الدول الإسلامية والعالم.

ترسيخ مكانة منظمة التعاون الإسلامي ومنظماتها كجهة فاعلة في تعزيز السلام والتنمية داخل العالم الإسلامي وخارجه.

إيلاء مزيد من الاهتمام البحثي والفقهي والتطويري بالمجالات ذات الصلة بالتنمية البشرية والرفاه، مثل التمكين الاجتماعي والاقتصادي، والصحة، والحكم الرشيد، وحقوق الإنسان، والبيئة والمياه والصرف الصحي وغيرها.

تنفيذ الرؤية الاستراتيجية لمنظمة التعاون الإسلامي بالأهمية المحورية للتعاون والشراكة على المستوى الإقليمي وشبه الإقليمي والدولي؛ لمحاربة الفقر، والمرض، والتدهور البيئي، والأمن الغذائي، والجريمة العابرة للحدود، والإرهاب وغير ذلك من القضايا التي تتطلب استجاباتٍ جماعيةً على المستوى العالمي.

الاستخدام الفعال للتمويل الاجتماعي الإسلامي من زكاة، وأوقاف، وأموال مسؤولية مجتمعية وغيرها على الصعيد الوطني، وعلى صعيد الدول الإسلامية لمعالجة مشكلات المجتمع كافة.

صياغة استراتيجية مفصلة للتواصل الفعال مع الجمهور وتوظيف وسائل الإعلام للترويج لثقافة التطوع وسط الشباب.

العمل على صياغة رؤية شرعية إسلامية مؤصَّلة ومحكَّمة تتعلق بالعمل الإنساني.

تعزيز أُطُر التعاون الميداني المشترك من خلال تشكيل فِرق عمل تضُمّ أعضاء من المنظمات الإنسانية الإسلامية والعالمية، تشترك في بعثات ميدانية لتوحيد الرؤية في سبيل تطوير العمل الميداني المشترك المباشر بين بني البشر دون تفريق.

تعزيز قدرات مكونات النظام المالي الإسلامي، خاصة المنشآت التمويلية المتخصصة لتقدم خِدْماتها لأكبر شريحة ممكنة من المجتمع الإسلامي والعالمي.

تشجيع إقامة مؤسسات إسلامية عامة أو خاصة تُعنى بضمان مخاطر التمويل بالصيغ الإسلامية للمشروعات وخاصة الصغيرة والمتوسطة.

ضرورة استيعاب الشباب في برامج مختلفة يتم فيها اتخاذ الإجراءات والتدابير اللازمة للاستفادة من أوقات الفراغ الطويلة لديهم، وذلك بما يعود عليهم بالفائدة والخير، كالمساهمة في الأعمال التطوعية، والمشاركة في الأنشطة المجتمعية.

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين

قرار رقم (...) (.. /٢٥)
بشأن التمويل الاجتماعي الإسلامي في دعم العمل الإنساني في مناطق الكوارث، ودور ثقافة التطوع في تعزيز العمل الإسلامي المشترك

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي المنعقد في دورته الخامسة والعشرين في..... من.... إلى.... **١٤٤٣**هـ، الموافق... إلى.... **٢٠٢٢**م.

وبعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع التمويل الاجتماعي الإسلامي مفهومه، وآلياته، ودوره في دعم العمل الإنساني في مناطق الكوارث، وثقافة التطوع ودورها في تعزيز العمل الإسلامي المشترك، وبعد استماعه إلى المناقشات والمداولات التي دارت حوله، وبعد الاطلاع على القرار **١٦٥ (٣/ ١٨)** بشأن تفعيل دور الزكاة في مكافحة الفقر، وقرار المجمع **١٥ (٣/ ٣)** بجواز إقامة مشروعات إنتاجية أو خدمية من مال الزكاة.

واستشعاره أهمية مناقشة موضوع التمويل الاجتماعي الإسلامي لسد الحاجة الماسة داخل وخارج العالم الإسلامي لهذا النوع من التمويل لدعم العمل الإنساني في مناطق الكوارث والنزاعات، وأهمية ثقافة التطوع ودورها في تعزيز العمل الإسلامي المشترك.

قرر ما يأتي:

أولًا: التمويل الاجتماعي الإسلامي هو توظيف الزكاة، والوقف، والصدقات، والتبرعات، وكافة أشكال التمويل الشرعية كآلية لإدارة الأموال التي تقدم عوائد مالية ذات طابع اقتصادي ومجتمعي، كوسيلة ناجعة لتخفيف وطأة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية وسط الشعوب في العالم الإسلامي وخارجه.

ثانيًا: دعوة الدول والجهات ذات الصلة لتنفيذ قرار المجمع رقم **١٦٥ (١٨/ ٣)** بجواز تقديم الدعم من أموال الزكاة للمنكوبين من غير المسلمين في مناطق الكوارث، والزلازل، والفيضانات، والمجاعات، تأليفًا لقلوبهم. وتقديم العون المالي من خلال إنشاء صندوق يخصص لمساعدة النازحين داخل أوطانهم،

أو خارجها، بسبب الحروب أو الفيضانات أو المجاعات أو الزلازل، أو غير ذلك. ودعوة الجهات المعنية بالزكاة في العالم الإسلامي إلى التنسيق بينها، والعمل على إقامة مشروعات مشتركة لمساعدة الفقراء والمساكين.

ثالثًا: تعميم فتوى المجمع بجواز توظيف أموال الزكاة في مشروعات صغيرة كوَحدات النسيج، والخياطة المنزلية، والورَش المهنية الصغيرة، تكون مملوكة للفقراء والمساكين، والصَّرف من الزكاة للفقير ـ إذا كان عادته الاحتراف ـ ما يشتري به أدوات حرفته، وإن كان فقيرًا يحسن التجارة أُعطي ما يتجر به، وإن كان فقيرًا يحسن الزراعة أُعطي مزرعة تكفيه غلتها على الدوام.

رابعًا: تعزيز العمل الإنساني الإسلامي المشترك، وتعزيز التعاون والتنسيق مع الشركاء على المستويين الإقليمي والدولي، وخاصة وكالات الأمم المتحدة، بشأن اللاجئين والنازحين والمتأثرين بالكوارث.

خامسًا: أن يقوم مجمع الفقه الإسلامي الدولي بدراسة واقتراح تشريعات وقوانين وترتيبات إدارية وتنظيمية تسهل الاستفادة من صيغ التمويل الإسلامي في التمويل للأغراض الاجتماعية وغيرها.

ويوصي بما يلي:

تكوين لجنة بمجمع الفقه الإسلامي الدولي لدراسات العمل الإنساني من منظور إسلامي، تختصُّ برصد كافة الدراسات والبحوث المتعلقة بالعمل الإنساني والتطوع.

حثُّ الدول الإسلامية لتنويع مصادر التمويل الاجتماعي الإسلامي.

التعاون مع المجتمع الدولي في كل ضروب العمل الإنساني العالمي، من إغاثةٍ وتصدٍّ للكوارث والأزمات بأنواعها، دون نظر لفوارق الدين والعِرق والجنس وغيرها.

حثُّ البنوك ومؤسسات التمويل الإسلامية على إيلاء مزيد من الاهتمام والتقنين لأشكال التمويل الاجتماعي الإسلامي، والسعي لاستنباط أشكال تمويل جديدة تتوافق مع الشرع الإسلامي.

حثُّ الشركات الكبرى على المساهمة في أنشطة تعزيز آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي، وثقافة التطوع، عبر برامج المسؤولية الاجتماعية لهذه الشركات.

المُضِيّ قدمًا نحو تفعيل دور التمويل الإسلامي، من خلال الاستفادة من التجارب الناجحة فيها، وتبادل الخبرات مع الدول الرائدة في مجال التمويل الإسلامي، وزيادة التعريف بالتمويل الإسلامي، عبر تنظيم ندوات توعوية وتعريفية بمشاركة البنوك التجارية والمؤسسات العاملة في تقديم المنتجات المالية الإسلامية.

الاستفادة من الاهتمام الكبير الذي يوليه البنك الإسلامي للتنمية من خلال مؤسساته ومعاهد أبحاثه للمشروعات الصغيرة، وذلك بتشجيع الدول الإسلامية والمؤسسات المهتمة بالاشتراك معه في اتفاقيات تعاون لخدمة هذا المجال الاجتماعي المهم.

إدراج التعريف بالعمل التطوعي وفضله وأهميته في رقي المجتمعات، وتكامل مؤسسات المجتمع المدني بعضها مع بعض في المناهج الدراسية في المدارس والجامعات.

القيام بمزيد من البرامج التوعوية لبيان أهمية العمل التطوعي من خلال النشاط اللاصفيّ في المدارس والجامعات لرفع وعي الطلاب وزيادة أعداد المتطوعين.

تدعيم جهود الباحثين لإجراء المزيد من الدراسات والبحوث العلمية حول العمل الاجتماعي التطوعي بما يسهم في تحسين واقع العمل الاجتماعي بشكل عام، والعمل التطوعي بشكل خاص.

فهرس المصادر والمراجع

ـ **القرآن الكريم**.

كتب السنة:

ـ **ابن عساكر**، سنن ابن عساكر.

ـ **أحمد بن حنبل**، المسند.

ـ **بدر الدين العيني الحنفي**، عمدة القاري شرح صحيح البخاري.

ـ **البيهقي**، سنن البيهقي.

ـ **الترمذي**، سنن الترمذي.

ـ **الطبراني**، سنن الطبراني.

ـ **محمد بن إسماعيل البخاري**، صحيح البخاري.

ـ **مسلم بن الحجاج النيسابوري**، صحيح مسلم.

الكتب:

ـ **إبراهيم البيومي غانم**، مقاصد العمل الخيري والأصول الإسلامية للمشاركة الاجتماعية، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، **٢٠١٠**.

ـ **أبو عبيد القاسم بن سلام**، كتاب الأموال، نسخة المكتبة الشاملة.

ـ **أبو يوسف**، كتاب الخراج، نسخة المكتبة الشاملة.

ـ **أحمد أبوزيد**، نظام الوقف الإسلامي.. تطوير أساليب العمل وتحليل نتائج بعض الدراسات الحديثة، إصدار المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة والأمانة العامة للأوقاف في الكويت.

ـ **أحمد الجمل**، دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، **٢٠٠٧**.

ـ **أحمد عبد العليم أبو عليو**، قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي الدولي للدورات: **٢ ـ ١٩** جدة، مجمع الفقه الإسلامي الدولي، ط١، **١٤٣٢ ـ ٢٠١١**م.

ـ **استراتيجية التكافل الثقافي لخدمة قضايا المسلمين التنموية والحضارية**، منشورات الإيسيسكو، الرباط، **٢٠٠٩**م.

ـ **أشرف محمد دوابه**، الصكوك الإسلامية بين النظرية والتطبيق، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، **٢٠٠٩**م.

ـ **جابر إدريس عويشة**، الوجيز في فقه الزكاة وتطبيقاتها المعاصرة، الخرطوم، مطبوعات إدارة البحوث بديوان الزكاة، **٢٠٠١**م.

ـ **صالح بن غانم السدلان**، أحكام الوقف والوصية والفرق بينهما، الرياض، دار بلنسية، **١٤١٦**هـ.

ـ **عبد الباقي عبد الكبير**، إحياء الفروض الكفائية سبيل تنمية المجتمع، الدوحة: سلسلة كتاب الامة، العدد **١٠٥**، مارس **٢٠٠٥**م.

ـ **عبد الكريم بكار**، ثقافة العمل الخيري.. كيف نرسخها؟ وكيف نعممها؟ القاهرة، دار السلام للطباعة، **٢٠١١**م.

ـ **علّال الفاسي**، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها.

ـ **فؤاد السرطاوي**، التمويل الإسلامي ودور القطاع الخاص، عمان، دار المسيرة، **١٩٩٩**م.
ـ **كمال عمر بابكر**، تحديات منظمات المجتمع المدني في مواجهة القطبية الأحادية، الخرطوم: جامعة إفريقيا العالمية، معهد دراسات الكوارث واللاجئين، **٢٠٠٦**م.
ـ **محسن عبد الحميد**، الإسلام والتنمية الاجتماعية، جدة، دار المنارة للنشر والتوزيع، **١٩٨٩**م.
ـ **محمد أبو زهرة**، المجتمع الإسلامي في ظل الإسلام، القاهرة، دار الفكر العربي، بدون تاريخ.
ـ **محمد بن عبد الله**، الوقف في الفكر الإسلامي، الرباط، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، **١٤١٦**هـ.
ـ **محمد شوقي الفنجري**، الإسلام والضمان الاجتماعي، الرياض، دار ثقيف للنشر، **١٩٨٢**.
ـ **محمد عبد الحميد محمد فرحان**، التمويل الإسلامي للمشروعات الصغيرة.. دراسة لأهم مصادر التمويل، دون طبعة، دون تاريخ.
ـ **المعايير الشرعية: هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية**، المعيار الشرعي رقم (١٧) صكوك الاستثمار، البحرين، **١٤٣١** هـ/ **٢٠١٠** م.
ـ **منذر قحف**، مفهوم التمويل في الاقتصاد الإسلامي.. تحليل فقهي واقتصادي، جدة، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، **١٩٩١**م.
ـ **مؤسسات العمل الإسلامي والتنمية البشرية**، في: علي بن نايف الشحود، موسوعة البحوث والمقالات العلمية، المكتبة الشاملة.

دوريات وصحف:

ـ **أحمد محمد سيد أحمد الشناوي**، مستوى ثقافة العمل التطوعي لدى الطلاب: دراسة ميدانية، مجلة كلية التربية بالإسماعيلية، جامعة قناة السويس، العدد **١٨**، سبتمبر **٢٠١٠**م.
ـ **التمويل الاجتماعي الإسلامي لدعم جهود التعافي**، بيروت، مجلة اتحاد المصارف العربية، العدد **٤٨٦**، مايو **٢٠٢١**م.
ـ **حبيب الله زكريا**، دور التمويل الاجتماعي الإسلامي في تحقيق أهداف التنمية المستدامة: صندوق الزكاة نموذجًا، ماليزيا، المجلة الدولية للزكاة والفلسفة الإسلامية، مارس **٢٠٢٠**م.
ـ **صالح بن سليمان العامر**، ثقافة التطوع، صحيفة الجزيرة السعودية، العدد **١٧٥٦٣**، **٩** ديسمبر **٢٠٢٠**م.
ـ **طارق عبد الله**، المجتمع المدني ونظام الوقف بين المرجعية الإسلامية وأزمة العلوم الاجتماعية، بيروت: مجلة الكلمة، عدد **٣١**، **٢٠٠١**م.
ـ **عبد العالي معكول**، العمل الاجتماعي في الإسلام، صحيفة المحجة، **١** أكتوبر **٢٠١٠**م، العدد **٣٤٤**.
ـ **العمل التطوعي ميادينه وآثاره**، مجلة بقية الله، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، العدد **١٤٤**.
ـ **محمد إبراهيم مقداد**، وخالد محمد الأشقر، التمويل الإسلامي كبديل لتمويل المشاريع الصناعية في قطاع غزة، بحث قدم للمؤتمر الدولي الرابع المحكم «المشروعات الصغيرة، التنمية، التمكين، التحديات»، جامعة عجلون، **٢٠١٩**م.
ـ **نور رياض عبد الفتاح**، مُنطلقات إسلامية لعمل إنساني مشترك أوقات الطوارئ، مجلة الإنسان، جنيف، الصليب الأحمر الدولي، أكتوبر **٢٠١٩**م.

رسائل جامعية:

ـ **محمد مصطفى غانم**، واقع التمويل الأصغر الإسلامي وآفاق تطويره في فلسطين: دراسة تطبيقية على قطاع غزة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، **٢٠١٠**م.

بحوث مؤتمرات:

ـ **أحمد علي الازرق وآخرون**، ورقة المصارف، في: أوراق المؤتمر الأول للزكاة **١٩٩٠**م، الخرطوم: مطبوعات المعهد العالي لعلوم الزكاة، **١٩٩٤**م.

ـ **صديق ناصر وآخرون**، ورقة اقتصاديات الزكاة، في: أوراق المؤتمر الأول للزكاة **١٩٩٠**م، الخرطوم: مطبوعات المعهد العالي لعلوم الزكاة، **١٩٩٤**م.

ـ **الغرفة التجارية بالرياض**، ورقة عمل حول «دور القطاع الخاص في تنمية وتطوير العمل التطوعي»، مقدمة إلى: المؤتمر الرابع لجمعية متطوعي دولة الإمارات العربية المتحدة، الشارقة، **٢٤ ـ ٢٣**مارس **٢٠٠٣**م.

ـ **محمد خليفة صديق**، آليات تفعيل دور الزكاة في تعزيز التكافل الثقافي في المجتمع الإسلامي، ورقة قدمت في ورشة العمل شبه الإقليمية حول دور الزكاة في تعزيز التكافل الثقافي في المجتمع الإسلامي، التي نظمها المعهد العالي لعلوم الزكاة بالخرطوم بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، في الفترة من **١٠ ـ ١١** يوليو **٢٠١٢**م.

ـ **محمد خليفة صدّيق**، دور المسؤولية الاجتماعية للشركات في تعزيز الأمن الفكري، ورقة قدمت في الملتقى التنسيقي الدعوي التاسع للوزراء والمسؤولين عن الدعوة بالولايات، نظّمته وزارة الإرشاد والأوقاف، الخرطوم، مايو **٢٠١٣**م.

بحث فضيلة الأستاذ الدكتور محمد محمود الجمال

أستاذ الفقه الإسلامي المقارن بجامعتي الأزهر وحمد بن خليفة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهُداهم، واتبع سُنّتهم إلى يوم الدين.

أما بعد،

فيُعدّ البناء الاجتماعي الإسلامي واحدًا من أبرز الدلائل على تميّزه على مستوى المقاصد والتشريعات التي استوعبت سائر العَلاقات الإنسانية، ولعل السر في ذلك هو أن الإنسان يعد محور المنهج الإسلامي ومركزه، فهو خليفة الله في أرضه، وله أسجد ملائكته، وفضّله على سائر مخلوقاته، وسخّر له كل ما في الكون، وكرّمه بالعقل، ولأجل إصلاحه ابتعث الله له الرسل، وأنزل له الكتب والصحف، وعلّل له الأحكام ليعيَ مقاصدها، ويقيس عليها، ويقدِّرَ مصالحه، ورغّبه في الأخلاق والفضائل، وأجاب له عن كل ما يقصُرُ عقله عن إدراكه.

ومن هنا استوعبت التجربة الحضارية الإسلامية الدرس، فشهِد لها التاريخ بالدور الفاعل الذي استطاع تفجير طاقة الحركة في الإنسان، أي إنسان، فامتدت مساحة التأثير حتى شمَلَت الدنيا، وشاعت ثقافة العمل في كل المجتمعات، وأمسى الفقه المجتمعي الإسلامي لا نظير له في أي ثقافة كانت.

ومع ذلك، فالحاجة ماسة إلى معرفة الكيفية التي أدت إلى التكامل والترابط الاجتماعي، وكذا الآليات التي حافظت على المجتمع واستقراره وتوازنه واستمراره عبر التاريخ، والتساؤل عن كيفية مراعاة الأوضاع الاجتماعية الجديدة، ووجود الدولة المسيطرة، وحالة الأوقاف المتراجعة، وشيوع ثقافة عدم الجدوى في الإصلاح الاجتماعي، وأن المسؤولية هي مسؤولية الدولة، بالإضافة إلى ضعف اهتمام مؤسسات التنشئة، وغياب الرقابة والشفافية على مستوى مؤسسات النفع العام مما دفع إلى العزوف عنها خشية التهمة... إلى آخره.

وكل هذا وغيره يحتاج إلى جهود المجتمعات لتغييرها، وأقلام الباحثين للاستقرار على مقاربة معاصرة تراعي تحقيق النتائج، وتحفظ الإنسان وتدعمه اجتماعيًّا واقتصاديًّا وثقافيًّا وأخلاقيًّا دون نظر للونه أو عرقه أو لغته أو دينه؛ لأن الحاجة تُولد مع الإنسان وهي متعددة ومتزايدة.

وللإجابة عن الأسئلة سالفة الذكر وردتنا دعوة كريمة من الأستاذ الدكتور/ قطب مصطفى سانو ـ أمين عام مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي، للمشاركة في أعمال الدورة الخامسة والعشرين لمؤتمر مجلسه الموقر، وقد اخترت أن يكون عنوان بحثي: (التمويل الاجتماعي الإسلامي وتعزيز العمل الإنساني: دراسة في إشكالية التأثير وأسباب النهوض)، وأهدف إلى بيان دور آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي في دعم العمل الإنساني، والنهوض بثقافة التطوع لتعزيز العمل الإسلامي المشترك.

وعلى ذلك يمكن تقسيم البحث إلى تمهيد وثلاثة مباحث، كما يلي:

التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث.

المبحث الأول: دعم العمل الاجتماعي الإنساني وإبراز دور الجهات العاملة

التمهيد: كثرة الصراعات والكوارث دليل الحاجة.

المطلب الأول: مخاطر وتحديات منظمات العمل الإنساني.

المطلب الثاني: دعم وتعزيز دور منظمات العمل الإنساني.

المطلب الثالث: كيفية دعم العمل الاجتماعي الإنساني.

المبحث الثاني: العمل الاجتماعي الإسلامي: مكانته، مشروعيته، آلياته

المطلب الأول: مكانة العمل الاجتماعي في الإسلام.

المطلب الثاني: مشروعية دعم العمل الاجتماعي الإنساني.

المطلب الثالث: توظيف آليات التمويل الاجتماعي في دعم العمل الإنساني.

الفرع الأول: تمويل العمل الاجتماعي بالزكاة والوقف والتمويل الأصغر.

الفرع الثاني: تمويل العمل الاجتماعي بالصدقات والنذور والهبات والوصايا والكفارات وغيرها.

المبحث الثالث: النهوض بثقافة التطوع لتعزيز العمل الإسلامي المشترك

المطلب الأول: الأعمال التطوعيّة ودورها في تضامن المجتمعات.

المطلب الثاني: تعزيز القيم الاجتماعيّة للأعمال التطوعيّة.

المطلب الثالث: اقتراحات لتعزيز وترسيخ ثقافة الأعمال التطوعية.

وبالله التوفيق...

التمهيد
التعريف بمصطلحات البحث

يلزم التمهيد بين يدي البحث ببيان مفهومي: «التمويل الاجتماعي»، «العمل الاجتماعي الإنساني»، ثم المفاهيم ذات الصلة، وذلك فيما يأتي:

أولًا: العمل الاجتماعي الإنساني

يمكن الوقوف على مقصود «العمل الاجتماعي الإنساني» من خلال الوظائف التي يؤديها في المجتمعات، فهو يحقق الاستقرار الاجتماعي، ويعالج المشكلات الناتجة عن التهميش الاقتصادي، ويخفف من تقلبات الرأسمالية المتمثلة في البطالة، ويخفف من بؤس الحرمان الذي يعانيه الفقراء.(١) وبهذا فهو يشمل كل أنواع الخِدْمات التطوعية، وأشكال التضامن الإنساني مع سائر المعوزين اجتماعيًّا ونفسيًّا وتربويًّا وصحيًّا وأسريًّا.

والهدف هو تنمية المجتمعات ومساعدتها على كافة المستويات، وترقية أوضاع البشر حتى يمكنهم المشاركة الفعالة في مجتمعاتهم، وهذا كله لا يتحقق إلا بالإيمان بكرامة الإنسان، ومراعاة الفروق الفردية في التعامل مع الأفراد، وتقديم العمل الاجتماعي للجميع دون تفرقة دينية أو مذهبية أو عرقية، وأن يكون الغرض عامًّا ومشروعًا.(٢) وهذا يستلزم تعديل السياسات الاجتماعية في الدول النامية، ووضع الخطط التنفيذية المناسبة لإحداث تغييرات اجتماعية شاملة من خلال برامج وخِدْمات حكومية جديدة.(٣)

ثانيًا: التمويل الاجتماعي

يُعنى به الحصول على الأموال وتوظيفها لتحقيق أغراض اجتماعية، ويتم ذلك غالبًا من خلال المؤسسات الاجتماعية التي تركز على التأثير كالجمعيات الخيرية والتعاونية ومؤسسات المجتمع المدني، وقد يتم ذلك من خلال الأفراد.

---

(١) د. خديجة عرفة أمين، العمل الخيري: خلفية نظرية حول المفهوم، ص٢١.

(٢) عصام زيدان، العمل الاجتماعي وتأثيره على العمل السياسي الإسلامي في الدول الثورية، ص٤٢٢ - ٤٢٣.

(٣) د. أحمد فوزي، العمل الاجتماعي مع المعوقين: تجربة ميدانية ومؤشرات تحليلية، ص٣٩. راشد محمد، العمل الاجتماعي التطوعي: دراسة تحليلية لقانون الجمعيات ذات النفع العام، ص٢٢.

والتمويل الاجتماعي قد يكون بلا ربحية من خلال عقود الإرفاقات، والتبرعات كالصدقات والزكوات، والأوقاف، والقروض، وقد يتم مع ربحية من خلال عقود المعاوضات والمشاركات؛ لضمان استدامة التمويل. لكن إن استُغِلّت حاجات المجتمع وضروراته للحصول على زيادة بغير تلك الأدوات المشروعة فهو مردود شرعًا.

ثالثًا: المفاهيم ذات الصلة

الرعاية الاجتماعية

يعني بها مساهمة الدول في حل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية لشعوبها[١]؛ لإشباع الحاجات وتحقيق العدالة في توزيع الدخول والثروات بين الأفراد، ودعم العَلاقات الاجتماعية ومنع التعدي على الحقوق والحريات.

وقيام الدول بتلك الرعايات هو مبرِّرها لجمع الضرائب، وإلزام أفراد المجتمع بالخدمة الاجتماعية، وتحقيق الضبط الاجتماعي الذي تفرضه النظم القانونية، والمعايير الأخلاقية، والقيم الاجتماعية.

المسؤولية الاجتماعية

يُعنى بالمسؤولية الاجتماعية الالتزام الأخلاقي من جهة الشركات والمؤسسات والأفراد بالعمل لمصلحة المجتمع ككل؛ للمساهمة في التنمية الاقتصادية، وتحسين حياة القوى العاملة، والحفاظ على الاقتصاد والنظم البيئية؛ لإيجاد توازن بين التنمية ورفاهية المجتمع وسلامة البيئة.

وتلك المسؤولية قد تُلقِي باللوم على العلماء والمخترعين والممولين من شركات وهيئات بسبب العواقب السلبية التي تنجم عن التطبيقات المختلفة للاختراعات والابتكارات التكنولوجية؛ ولذا كان «الربط بين عوامل ثلاثة يُعد محدِّدًا مهمًّا للمسؤولية الاجتماعية، هي التطور الاقتصادي، والترابط الاجتماعي، والبيئة».[٢]

التكافل الاجتماعي

يُقصد به التزام أفراد المجتمع وتضامنهم لإعانة المحتاجين ومساعدة المضطرين؛ ليحيَوْا حياة كريمة تليق بآدميتهم، وتتسِقُ مع كرامتهم. وبنفس المعني عُرِّف «بتضامن أفراد المجتمع وتسانده؛ ليعيش الفرد في كفالة الجماعة، وتعيش الجماعة بمؤازرة الفرد».[٣]

---

(١) د. ثريا عبد الرؤوف، الرعاية الاجتماعية في الإسلام، ص٤٢.

(٢) د. خضرة صديقي، أ. نجاة بن عابد: المسؤولية الاجتماعية في ظل التمويل الإسلامي، ص٣٠٠.

(٣) د. أحمد عبده عوض، التكافل الاجتماعي في الإسلام، ص١٧، ١٨.

والتكافل الاجتماعي شعور بالمسؤولية تجاه المجتمع؛ لتجاوز المحن والصعوبات. قال ابن خُويز منداد: «والتّعاون على البِرّ والتّقوى يكون بوجوه؛ فواجب على العالِمِ أن يُعِين النّاس بعِلمِه فيُعلِّمُهم، ويُعينهم الغنِيُّ بماله، والشُّجاع بشجاعته في سبيل الله... ويجب الإعراضُ عن المُتعدِّي وترك النُّصرة له وردِّه عما هو عليه».[١]

وعلى ذلك كان من أبرز أنواعه: التكافل المادي، والعلمي، والاقتصادي، والأخلاقي، والحضاري، وكل ذلك لتعزيز العَلاقات الاجتماعية بين الأفراد، وخلق مجتمع متماسك، وحماية أفراده من الفقر والعَوَز.

(١) القرطبي، تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ٦/ ٤٧.

المبحث الأول
دعم العمل الاجتماعي الإنساني وإبراز دور الجهات العاملة

لبيان ذلك لا بد من الوقوف على الواقع المَعِيش، وما يتضمنه من صراعات وكوارث، ولإبراز دور الجهات العاملة في العمل الإنساني، لا بد من إظهار المخاطر والتحديات التي تواجهها ثم بيان كيفية الدعم، وعلى ذلك يمكن تقسيم المبحث إلى تمهيد وثلاثة مطالب، وذلك على النحو الآتي:

التمهيد : كثرة الصراعات والكوارث دليل الحاجة

تضاعفت على مدى العقدين الماضِيَين الكوارث المسجلة في حدود ٢٠٠ إلى ما يربو على ٤٠٠ كارثة في العام الواحد، وحوالي ٩٠٪ من تلك الكوارث تتعلق بالمناخ. كما تشير التوقعات إلى زيادة تلك الظواهر كمًّا وكيفًا بالإضافة إلى حِدّة الجفاف والتصحُّر.(١)

وذكرت المنظمة العالمية للأرصاد الجوية التابعة للأمم المتحدة في الأول من سبتمبر ٢٠٢١م أنّ عدد الكوارث الطبيعية كالفيضانات وموجات الحر، الناتجة عن تغير المناخ زادت خمس مرات على مدى الخمسين عامًا الماضية، وأودَت بحياة أكثر من مليوني شخص، وتسببت في خسائر بلغت ٣. ٦٤ تريليون دولار.(٢)

كما أنّ عدد اللاجئين والنازحين تجاوز في عام ٢٠١٨م ٧٠ مليونًا، وبلغ في عام ٢٠١٩م ٧٩. ٥ مليونًا، وهو أعلى معدل سجلته وكالة الأمم المتحدة للاجئين (UNHCR) منذ أكثر من ٧٠ عامًا تقريبًا(٣)، ولا يزال عشرات الآلاف يفرّون بحياتهم كل يوم، ثم جاءت أزمة وباء (كورونا) COVID-19 العالمية الطارئة لتَزيد الأمور تعقيدًا.

---

(١) Ramcharan Bertrand, Global Institutions: Preventative Human Rights Strategies (New York: Routledge, 2010) , 28.

(٢) United Nations, World Meteorological Organization. WMO Atlas of Mortality and Economic Losses from Weather, Climate and Water Extremes (1970 - 2019). Geneva: WMO, 2021. P. 7.

(٣) United Nations, United Nations High Commission for Refugees. Report of the Global Trends Forced Displacement. Geneva: UNHCR, 2018. P. 2.

المطلب الأول : مخاطر وتحديات منظمات العمل الإنساني

تساعد الهيئات والمنظمات العاملة في مجال العمل الإنساني في إعانة الضعفاء وتحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وقد تتعاون مع الجهات الحكومية والأهلية لتحقيق التنمية الثقافية والمساعدة في تحقيق الأمن وحل مشاكله، ويطلق عليها مسميات كثيرة منها: مؤسسات المجتمع المدني، والمؤسسات التطوعية، ومؤسسات القطاع الثالث، والمنظمات غير الربحية، وجمعيات الاقتصاد الاجتماعي، والمنظمات غير الحكومية والقطاع المعفى من الضرائب... إلى آخره.

وتتنوع المؤسسات سالفة الذكر إلى مؤسسات متعددة تعبر عن فحوى الوظيفة، كالخدمة الاجتماعية، وهي التي تهتم بالأسرة، وجمعيات العناية بالمهاجرين واللاجئين، والجمعيات النسائية، والمؤسسات القانونية والحقوقية، والمؤسسات الدينية، ومؤسسات إدارة وتنمية العمل الخيري، ومؤسسات إدارة الأوقاف والاستثمارات، ومؤسسات التعليم والبحث، ومؤسسات التنمية والإسكان والبيئة، ومؤسسات التدريب والتأهيل الاجتماعي... إلى آخره.

ومع التنوع في الوظائف والأساليب والأهداف فإن تلك المؤسسات تتعرَّض للعنف والاضطهاد على نحو مميت ومقعد، بالإضافة إلى عمليات الخطف والتنكيل والترهيب والتعنيف، وقد زادت تلك العمليات في الأعوام الأخيرة لتصل إلى ما يزيد عن ١٠٠ وفاة في العام الواحد،[١] كما وقعت ٤٠٥ هجمات مسجلة ضد العاملين في مجال تقديم المساعدة الإنسانية في عام ٢٠١٨م، ما أسفر عن مقتل ما لا يقل عن ١٣١ موظفًا، وإصابة ١٤٤ واختطاف ١٣٠.[٢]، فتقلَّصت المساعدات في بعض مناطق الصراعات، كأفغانستان والصومال، وأُرغِمت بعض الوَكالات على الانسحاب أو تخفيض الأنشطة.

وقد دفعَت تلك المخاطر العديد من المنظمات الإنسانية إلى تعزيز قدراتها في إدارة المخاطر وعمَلِ شراكات ذات مسؤولية، والتواصل والتفاوض مع الجهات المعنية، كما انطلقت العديد من المبادرات للتعاون الأمني بين المنظمات غير الحكومية. ومن ذلك: مكتب سلامة المنظمات غير الحكومية بأفغانستان، ولجنة تنسيق المنظمات غير الحكومية في العراق، ومشروع الدعم والاستعداد الأمني للمنظمات غير الحكومية بالصومال، واتحاد المنظمات غير الحكومية الدولية في بلوشستان، ومشروع

---

(١) أن تظل وتعمل: الممارسة الجيدة للعاملين الإنسانيين في البيئات الأمنية المعقدة، دراسة مستقلة تم التكليف بها من قبل مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية OCHA/ فرع الدراسات ووضع السياسات PDSB، وبتمويل من أستراليا والبرازيل وآيرلندا وسويسرا/ سلسلة السياسات والدراسات، ٢٠١١م.

(٢) الأمم المتحدة، الجمعية العامة، الدورة ٧٤ – بند ٧١ (أ) من جدول الأعمال، قرار ٧٤/ ١١٦ سلامة وأمن العاملين في مجال تقديم المساعدة الإنسانية وحماية موظفي الأمم المتحدة، ديسمبر ٢٠١٩م.

دعم الإدارة الأمنية في باكستان، ومبادرة أمن المنظمات غير الحكومية بهايتي، ومركز الاتصالات شرق جمهورية الكونغو الديمقراطية... إلى آخره.[١] ولنجاح تلك المبادرات يجب على المنظمات الإنسانية استخدام الآليات المناسبة، والتشارك في الأهداف والغايات، وتحفيز الإدارات والقيادات على الفاعلية، وتحقيق الانسجام والتوافق بين الشركاء، وتوفير الموارد المالية المناسبة.

بيد أن نقص الشفافية، وتذبذب الثقة، وقلة الموارد، وعدم اقتناع بعض المنظمات غير الحكومية بتلك المبادرات ـ كل ذلك حدَّ من نجاحها، بالإضافة إلى قيود العمل الكثيرة التي تفرضها بعض الجهات[٢]، حتى وثقت المنظمات الإنسانية العاملة بدولة ليبيا ما مجموعه **٨٥١** قيدًا على العمل الإنساني خلال مارس **٢٠٢٠م**.[٣]

وقد قام مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية بالأمم المتحدة (OCHA) بتوثيق تلك الاستراتيجيات والممارسات التي مكّنت المنظمات الإنسانية من الحفاظ على دورها الفعّال في الأماكن ذات المخاطر العالية.[٤]

ومن جهة أخرى فالمنظمات غير الحكومية لا تخضع لأية قوانين أو اتفاقيات دولية تنظم عملها[٥]، وبالتالي لا يمكن محاسبتها على الأخطاء التي وقعت فيها بعض تلك المنظمات كإساءة معاملة الأطفال، والتحرش بالنساء، والتأثير في الانتخابات المحلية[٦]، بالإضافة إلى أن بعض المنتسبين إليها ليس لديه التدريب الكافي للتعامل مع شرائح المحتاجين والمُعوِزين مما يؤثر نفسيًّا عليهم، ولا يمكن للحكومات المحلية مقاضاة أية منظمة غير حكومية التي إن شعَرت بالحرج خرجت، وتركت البلد دون أي التزام، ولا تملك الدولة المضيفة إزاء هذا الوضع سوى حظر تلك المنظمة في بلادها.[٧]

---

(١) دليل التعاون الأمني للمنظمات غير الحكومية، بتمويل من الإدارة العامة لدائرة المساعدات الإنسانية التابعة للمفوضية الأوربية ECHO DG.

(٢) دليل التعاون الأمني للمنظمات غير الحكومية، بتمويل من الإدارة العامة لدائرة المساعدات الإنسانية التابعة للمفوضية الأوربية ECHO DG.

(٣) الموقع الرسمي للأمم المتحدة: https://news. un. org/ar/story/2020/05/1054802

(٤) أن تظل وتعمل: الممارسة الجيدة للعاملين الإنسانيين في البيئات الأمنية المعقدة.

(٥) Clark, Ann Marie. Non - Governmental Organizations and Their Influence on International Society. Journal of International Affairs 48, no. 2 (1995): 507-25. http://www. jstor. org/stable/24357601.

(٦) UN Women, Virtual Knowledge Center to end Violence Against Women and Girls. Protection from Sexual Exploitation and Abuse. Available at: https://www. aljazeera. com/news/2008/5/28/ngo - and - un - staff - abusing - children

(٧) Woodward, Barbara K. "THE ROLE OF INTERNATIONAL NGOS: AN INTRODUCTION. " Willamette Journal of International Law and Dispute Resolution 19, no. 2 (2011): 203–31. P. 229 .http://www. jstor. org/stable/26211687

المطلب الثاني : دعم وتعزيز دور منظمات العمل الإنساني

نصّت الجمعية العامة للأمم المتحدة على بعض الإجراءات التي تعزِّز دور منظمات العمل الإنساني، ولأهميتها وفاعليتها سأحاول تلخيص أبرزها، وإضافة بعض البنود إليها، وذلك فيما يأتي:

أولًا: يجب على منظمات العمل الإنساني احترام مبادئ الحياد، والإنسانية، والنزاهة، والاستقلال في تقديم المساعدة الإنسانية.

ثانيًا: يجب على جميع العاملين في مجال تقديم المساعدات الإنسانية احترامُ القوانين والأعراف والتقاليد الوطنية السائدة في البلدان التي يعملون بها، وتعريف السكان المحليين بأهدافهم التي يسعون إليها من وراء تقديمهم المساعدات، وإقامة عَلاقات جيدة مع الحكومات الوطنية والمحلية، وجميع الجهات الفاعلة في المجتمع، لكسب ثقة الجميع، مع الالتزام بمدوَّنات قواعد السلوك، والتدابير الإلزامية لإدارة المخاطر الأمنية.(١)

ثالثًا: يجب تعزيز التعاون الدولي بشأن تقديم المساعدات الإنسانية في حالات الطوارئ، ومنع الهجمات المتعمدة على العاملين، وبناء القدرات الوطنية والمحلية للتأهب والتصدي للكوارث والأزمات، وتوفير الموارد المالية الكافية في الوقت المناسب.(٢)

رابعًا: يجب على الدول التعاون، وضمان سلامة وحرية حركة العاملين في مجال العمل الإنساني، والمجال الطبي، بالإضافة إلى حماية وسائل نقلهم ومعداتهم ومستشفياتهم، وعدم منع الجرحى والمرضى من تلقي الرعاية المناسبة.(٣)

خامسًا: ينبغي على سائر المنظمات العاملة في مجال العمل الإنساني تقليلُ النسبة التي تحصل عليها نظيرَ قيامها بالعمل الإنساني.

سادسًا: يجب تقديم المساعدات الإنسانية للجميع دون تفرقة بين الأجناس والأقطار والألوان والجهات والمذاهب، ودون دعوة لدين أو مذهب؛ لا سيما أن بعض المنظمات الخيرية الموجهة نحو بعض البلاد الإفريقية قد استغلت ذلك لتنصير بعض المستفيدين، إضافة إلى أن غائية العمل الخيري الإسلامي نالها بعض التشكيك بعد تنامي ظاهرة الإرهاب في المجتمعات، وثبوت تسريب بعض الأموال لصالح المنظمات الإرهابية عن طريق العمل الخيري».(٤)

---

(١) الأمم المتحدة، الجمعية العامة، الدورة ٧٤ – بند ٧١ (أ) من جدول الأعمال، قرار ٧٤/ ١١٦، ديسمبر ٢٠١٩م.

(٢) الأمم المتحدة، الجمعية العامة، الدورة ٦٣ – بند ٦٥ (أ) من جدول الأعمال، قرار ٦٣/ ١٣٩، ديسمبر ٢٠٠٨م.

(٣) الأمم المتحدة، الجمعية العامة، الدورة ٧٤، قرار ٧٤/ ١١٦.

(٤) د. آسيا شكيرب، إشكالية المقاصد في العمل الخيري بين المنظمات الخيرية الإسلامية والإرساليات التنصيرية في إفريقيا: هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية والإرسالية الفرنسيسكانية نموذجًا، ص١٢١.

المطلب الثالث : كيفية دعم العمل الاجتماعي الإنساني

تعتبر مواجهة المشكلات المزمنة، كالفقر والبطالة والأمراض، من أهم مجالات العمل الاجتماعي المعاصر، ثم يأتي في المرتبة الثانية مجالات التنمية البشرية، وتطوير المهارات، والتعرف على المواهب وتنميتها، ومن هنا يختلف العمل الاجتماعي من بلد لآخر، ومن فترة زمنية لأخرى، حسَب المقتضيات السياسية والاقتصادية والثقافية والتاريخية؛ لتتحقق العدالة وتُعزّز جودة حياة الإنسان والمجتمع، ولا يتأتى القيام بذلك إلا بدراسة المشكلات، والوقوف على أسبابها وتأثيراتها على المجتمع، ومعرفة التعامل الأمثل معها... إلى آخره.(١)

وبناء على ذلك تتحدد أولويات مضمون العمل الاجتماعي، فيتجه في البلدان شديدة الفقر إلى سدِّ حاجات التغذية، وتوفير المياه النظيفة، والرعاية الصحية، بينما يتجه إلى معالجة البطالة، ورفع الأمية في البلدان التي لا تعاني من مشكلات التغذية والصحة، ويتجه إلى التنمية البشرية في البلدان التي واجهت نسبيًّا المشكلاتِ سالفة الذكر، وازدادت ثقافة مجتمعاتها.(٢)

والعمل التطوعي يتنوع تبعًا للحجم والدوافع والموجِّهات، فمن جهة الحجم يزيد في أوقات الحروب والكوارث، ويقِلّ في أوقات السلم والاستقرار. ومن جهة الدوافع فقد يكون الدافع إليه دينيًّا أو نفسيًّا، بسبب محبة تقديم الدعم للمحتاجين، أو اجتماعيًّا وظيفيًّا. ومن جهة الموجِّهات فقد يكون موجَّهًا من قبل المؤسسات التطوعية أو الدول الراعية، وقد يكون تلقائيًّا من ناحية الأفراد.

غير أن تنفيذ الأعمال السابقة مرهون بتوافر الموارد، وجودة الأنشطة والخِدْمات المقدمة للمستفيدين؛ ولذا تسعى المؤسسات والمنظمات العاملة في المجال الاجتماعي إلى عقد شَراكات مع الجهات المانحة، والاستفادة من المسؤولية الاجتماعية لشركات القطاع الخاص، وابتكار وسائل تُعين على التبرع، وإعادة تقديم الخِدْمات بشكل مناسب، يحفظ الكرامة، ويدفع إلى الفاعلية.

ومن جهة أخرى فإنه يجب على الدولة تعزيزُ الأهداف المرتبطة بالعمل الإنساني والتنموي، والحفاظ على حقوق الإنسان، ومساعدة المنظمات الاجتماعية والإنسانية والخيرية العاملة، وحَشْد كل الموارد التي يُمكن استخدامُها للمساعدة في تحديث وتطوير القطاع الاجتماعي.

(١) عصام زيدان، العمل الاجتماعي وتأثيره على العمل السياسي الإسلامي في الدول الثورية، ص٤٢٣ - ٤٢٤.

(٢) عصام زيدان، العمل الاجتماعي وتأثيره على العمل السياسي الإسلامي في الدول الثورية، ص٤٢٦.

المبحث الثاني
العمل الاجتماعي الإسلامي: مكانته، مشروعيته، آلياته

المطلب الأول : مكانة العمل الاجتماعي في الإسلام

اعتبرت الشريعة الإسلامية العمل الاجتماعي، وجعلته من فروض الكفايات التي تأثَم الأمة جميعها إن لم يُسَدَّ من آحاد أفرادها، كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإنقاذ الغرقى، وكُسوة العُراة، وإطعام الجائعين، وكلِّ ما لا تقوم مصلحة الأمّة إلا به، فحوى مما حوى مجالات اجتماعية حيوِّية متنوعة ومتعددة، تتسع بسَعة الحياة الاجتماعية، وتُؤدّى بكيفيات تضامنية، فوقعت المسؤولية جماعية من جهة الطلب، وجماعية من جهة الإثم إن لم يتم العمل الاجتماعي، أو تم بلا كفاية.(١)

والعمل الاجتماعي أيضًا هو من حقوق الله تعالى، الواجب القيام عليه، والوفاء به، وعُرِّف حق الله تعالى بأنه: «ما يتعلق به النفع العام للعالَم من غير اختصاص بأحد، نُسِب إلى الله تعالى لعظم خطره وشمول نفعه»(٢)، وزاد ابن القيم بأنه: «لا مدخل للصُّلح فيه».(٣)

ولا يخفى كذلك أنّ العمل الاجتماعي من الأعمال المتعدية نفعها إلى الغير، والفاضلة على غيرها من الأعمال القاصرة، بِناءً على قاعدة: «العمل المتعدي أفضل من القاصر»، ولها صيغ أخرى منها: «الأجر على العمل المتعدي إلى الغير أجران»، و«القربة المتعدية أفضل من القاصرة»، و«الحسنة المتعدية إلى الغير أفضل من القاصرة على الفاعل»، و«النفع المتعدي أفضل من القاصر». وعليه، فالعمل التطوعي الذي يتعدّى نفعُه وأثره إلى غير القائم به ـ مُقدَّم في أولوية الفعل والأجر على العمل الذي نفعُه وأثره قاصر على فاعله وحده،(٤) فتُقدَّم معونة الفقراء والمحتاجين وصلة الأرحام... إلى آخره ـ على ما سواها من الأعمال القاصرة.

---

(١) مصطفى بن حمزة، العمل الاجتماعي في الإسلام، ص١٥.

(٢) ابن أمير حاج، التقرير والتحرير في علم الأصول، ٢/ ١٣٩.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام، ١/ ٨٥.

(٤) د. مصطفى بوهبوه، قاعدة «النفع المتعدي أفضل من القاصر وتطبيقاتها في العمل التطوعي».

والأعمال الاجتماعية أيضًا تندرج ضمن صدقات المسلم اليومية، كخدمة المجتمع، ومساعدة أفراده على قضاء حوائجهم، وتسهيل أمورهم، فقد روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «على كل مسلم صدقة» قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «فيعمَل بيديه فينفع نفسه ويتصدق»، قالوا: فإن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: «فيُعين ذا الحاجة الملهوف»، قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: «فيأمر بالخير» أو قال: «بالمعروف»، قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: «فيُمسك عن الشر؛ فإنه له صدقة»[١]، وأصل الصدقة ما يُخرجه المرء من ماله تطوعًا، بيدَ أنها شمَلت كل معروف يُبذل، ليدلك على الوظيفة اليومية لسائر أفراد المجتمع.

ورُوِي أيضًا في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلُع فيه الشمس، تَعدِلُ بين الاثنين صدقة، وتُعينُ الرجل في دابته فتحمِله أو ترفَع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خُطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتُميط الأذى عن الطريق صدقة».[٢] فكما أن الله تعالى تصدّق بتلك السُّلامات على عباده، فإنه ينبغي للعباد أن يتصدقوا بما استطاعوا على سبيل الشكر لله تعالى بعدد مفاصِلهم التي مكّنهم الله منها، وتمكّنوا بسببها من القبض والبسط.

والحديث نوّع في أعمال الخير حتى شمَلت الصدقة سائرَ الأعمال الاجتماعية المعاصرة؛ فهي زكاة اجتماعية مع كل إشراقة شمس، لا تسقُط عن أي فرد في المجتمع الإسلامي، فالغني يبذُل من ماله، والفقير يبذُل مما يُحسِن، فيصير المسلم ينبوعًا يفيض بالخير والسلام على كل من حوله. قال ابن المُلقِّن: «ومقصود الباب أن أعمال الخير إذا حسُنت النيات فيها تنزّلت منزلةَ الصدقات في الأجور».[٣]، ولك أن تتصور حجم الأعمال التي يقدمها الجميع للجميع، هل يبقى في المجتمع حاجة؟!

المطلب الثاني : مشروعية دعم العمل الاجتماعي الإنساني

أولى الشرع عناية بالغة بالأعمال الاجتماعية، وعدَّد مجالاتها، فاشتغل بها النبي ﷺ قبل البعثة، وظهر ذلك جليًّا في وصف أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها له ﷺ، حينما قالت: «والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصِل الرحم، وتحمِل الكَلَّ، وتكسِب المعدوم، وتَقرِي الضيف، وتُعين على نوائب الحق»[٤]، فهذه

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب كل معروف صدقة، حديث رقم (٦٠٢٢). صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، حديث رقم (١٠٠٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالركاب ونحوه، حديث رقم (٢٩٨٩). صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، حديث رقم (١٠٠٩).

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق دار الفلاح، ١٠/ ٣٥٥.

(٤) صحيح البخاري، باب بدء الوحي، حديث (٣)، ١/ ٧.

الأوصاف جميعها تقع ضمن مجالات العمل الاجتماعي، التي تشمل كلَّ ما من شأنه ترقية المجتمع، والنهوض بأفراده. وقد قال النبي ﷺ: «في كُلِّ كبِدٍ رَطبةٍ أجرٌ»(١)، وقال أيضًا: «ما من مسلم يغرِس غرسًا، أو يزرع زرعًا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بَهيمة، إلا كان له به صدقة»(٢)، أي: فـ«يؤجر على ما كان سببَه، وإن لم يَنوِه».(٣)

كما تؤكد النصوص الصريحة من القرآن الكريم والسنة المطهرة أنّ المجتمع الإسلامي يقوم على التكافل والتعاون، فيَلزَم من ذلك مشروعية الأعمال الاجتماعية، وقد يدور حكمها بين الوجوب والندب، حسَب الحاجة والفاقة.

كما يظهر كذلك أنّ الشريعة الإسلامية تحُثّ على دعم الأعمال الاجتماعية الإنسانية مطلقًا دون تقييد بدِين أو غيره، والأدلة على ذلك كثيرة، من أبرزها ما يأتي:

الأول: أمرت الشريعة بالرحمة والرأفة نحو الخلق، وجعلتها ـ حسب الاجتهاد ـ في مرتبة الأخلاق الحاجية، وأودعها الله عز وجل لدى بعض النفوس، لتستقيم الحياة، وتطيب، وترتقي. وقد قامت عليها أصول الشريعة وفروعها، في العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية، وسائر ما شُرِّع، فوسِعَت برحمتها وعدلها العدُوّ والصديق، ولجأ إلى حصنها الموفَّق من خلقه سبحانه؛ ولذا كانت الرحمة أعظم أخلاقه ﷺ ورُوح رسالته وصبغته التي صبغه الله عز وجل بها. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى عن المؤمنين: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧].

وقال النبي ﷺ فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «الراحمون يرحمُهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمْكم أهلُ السّماء».(٤) وقال أيضًا فيما رواه جرير بن عبد الله رضي الله عنه: «لا يرحمُ الله من لا يرحمُ النّاس»(٥). قال ابن بَطّال: «فيه الحضّ على استعمال الرحمة لجميع الخلق فيدخل المؤمن والكافر والبهائم والمملُوكُ منها وغير المملوك ويدخل في الرحمة التّعاهُدُ بالإطعام والسقي والتخفيف في الحمل وترك التعدي بالضرب».(٦)

---

(١) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، حديث (٢٢٤٤)، ٤/ ١٧٦١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه مسلم، حديث (٢٣٢٠)، ج٣ ص١٠٣. صحيح مسلم، كتاب البيوع، باب فضل من غرس غرسًا، حديث (٣٩٧٤)، ٥/ ٢٨.

(٣) الأمير الصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغير، تحقيق: د. محمد إسحاق، ٩/ ٥٠٣، ٥٠٤.

(٤) مسند أحمد، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، حديث (٦٤٩٤)، ج١١، ص٣٣.

(٥) أخرجه البخاري في: الأدب المفرد، باب من لا يرحم لا يرحم، حديث (٩٦)، ص٤٨.

(٦) المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ج٦ ص٤٢.

الثاني: أمرت الشريعة أيضًا بقول الخير وحُسن القول؛ فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤]، وقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥] وقال: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ [الزخرف: ٨٩] وقل جل شأنه: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]. قال أبو جعفر: «للناس كلهم». وقال عطاء بن أبي رَباح في معنى الآية: «من لقِيت من الناسِ فقُل له حُسنًا من القول».(١) وقال القرطبي: «وهذا كله حَضٌّ على مكارم الأخلاق، فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس لينًا، ووجهه منبسطًا طَلْقًا مع البَرّ والفاجر، والسُّنِّيّ والمبتدع، من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظُنّ أنه يرضَى مذهبَه؛ لأن الله تعالى قال لموسى وهارون: (فقُولا لهُ قولًا ليِّنًا)، فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون، والفاجر ليس بأخبثَ من فرعون، وقد أمرَهما الله تعالى باللِّين معه».(٢)

الثالث: أمرت الشريعة أيضًا ببرّ غير المسلمين المسالمين، والعدل معهم، ودفع المفسدة عنهم، فقال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٨] أي: «تعطوهم قسطًا من أموالِكم على وجه الصلة، وليس يريد به من العدل، فإن العدل واجب».(٣) قال القرطبي: «هذه الآية رخصة من الله تعالى في صِلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم... وقال أكثر أهل التأويل: هي مُحكَمة. واحتجوا بأن أسماء بنت أبي بكر سألت النبي ﷺ: هل تصِلُ أُمها حين قدِمت عليها مشركةً؟ قال: نعم».(٤) كما قال القَرافي: «وأما ما أُمِر به من برِّهم، ومن غير مودة باطنية، فالرِّفق بضعيفهم، وسدّ خَلّة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وإكساء عاريهم، ولِين القول لهم على سبيل اللُّطف لهم والرحمة».(٥)

وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦]. قال الطبري: «الغريبُ البعيد، مسلمًا كان أو مشركًا، يهوديًّا كان أو نصرانيًّا».(٦) قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: ٨].

---

(١) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، ٢/ ٢٩٦، ٢٩٧.

(٢) تفسير القرطبي، ٢/ ١٦.

(٣) ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض، ١٩/ ٢١.

(٤) تفسير القرطبي، ١٨/ ٥٩.

(٥) الفروق، تحقيق: خليل المنصور، ٣/ ٣١.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، ٨/ ٣٣٩.

الرابع: أوجب الشرع الحنيف التدخل وقت الضعف البشري، والإحساس بالعجز وقلة الحيلة وانسداد الآفاق؛ لرفع بني آدم من تلك الحالة، وسد خَلّاته، ومساعدته على نوائب الدهر وظروف الزمان، دونما تمييز بين دين أو عرق أو لون. قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء: ٧٥].

الخامس: أمرت الشريعة بالصدقة على غير المسلمين، فعن قتادة قال: «وذُكِر لنا أنّ رجالًا من الصّحابة قالُوا: أنتصدق على من ليس من أهل ديننا فنزلت: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢][(١)]. قال عطاء الخُراساني: «يعنِي إذا أعطيت لوجه الله فلا عليك ما كان عمله».[(٢)] وروي عن سعيد بن المسيب أنّ رسول الله ﷺ قال: «تصدّق صدقةً على أهلِ بيتٍ مِن اليهود، فهي تُجرى عليهم».[(٣)]

السادس: الإحسان إلى الخلق مطلوب شرعًا، وهو خلق عظيم، وعمَلٌ من أعمال البِرّ والخير، به تتقدم الأمم، وتجتمع عليه النفوس وتتماسك به المجتمعات، وهو سبيل إلى قَبول الأعمال وتحسُّن الأحوال، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، قال ابن القيم: «... ومن رفَق بعباده رفَق به، ومن رحِم خلقه رحِمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه... ومن عامل خلقه بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة. فالله تعالى لعبده على حسَب ما يكون العبد لخلقه».[(٤)] روى محمد بن الحسن أن النبي ﷺ بعثَ إلى أهل مكة خمس مئة دينار لمّا قحَطوا ليوزع على فقرائهم، وأهل مكة يومئذ كانوا مشركين حربيين، وأمر بدفع ذلك إلى أبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية ليُفرِّقا على فقراء أهل مكة. فقبِل ذلِك أبو سفيان وأبَى صفوان، وقال: ما يريد محمد بهذا إلا أن يخدع شُبّاننا».[(٥)] كما أُتِي رسول الله ﷺ فقيل له: يا رسول الله: استسقِ الله لمُضَر، فإنها قد هلَكت، قال: «لمضر؟ إنك لجريء» فاستسقى لهم فسُقوا.[(٦)]

---

(١) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ٣/ ٣٣٢.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسن، ١/ ٣٩٩.

(٣) أبو عبيد، الأموال، تحقيق: سيد رجب، ٢/ ٢٩٦.

(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب، تحقيق: سيد إبراهيم، ص٣٥.

(٥) شرح السير الكبير، تحقيق: محمد حسن، ١/ ٧٠.

(٦) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب يغشى الناس هذا عذاب أليم، حديث (٤٨٢١) ٦/ ١٣١.

ولما قدِم ثُمامة بن أَثال رضي الله عنه مكة معتمرًا: «وسمِعته قريش يتكلم بأمر محمد من الإسلام، قالوا: صبَأ ثُمامة، فأغضبوه، فقال: إني والله ما صبَوْت، ولكني أسلمْت وصدَّقت محمدًا، وآمنت به. وايمُ الذي نفسُ ثُمامة بيده لا يأتيكم حبة من اليمامة، وكانت ريفَ مكة، ما بقِيتُ حتى يأذن فيها محمد ﷺ. وانصرف إلى بلده، ومنع الحمل إلى مكة حتى جهَدَت قريش، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثُمامة يُخلِّي إليهم حمل الطعام، ففعَل رسول الله ﷺ»[١].

وبِناءً على ما سبق يمكننا القول بأن الشرع الحنيف حفَز الأمة على مساعدة المحتاج، وتفريجِ كُربته، والأخذِ بيده إلى آفاق الأمان وبرد السلام، دون تفرقة بين أهل الملل والمذاهب، والأقطار، والأجناس، والألوان.

المطلب الثالث: توظيف آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي في دعم العمل الإنساني

لا شك في أن الحاجة ماسة إلى الاستفادة من آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي الذي يقوم على مبدأ الإنصاف والعدالة؛ لأنها تقدم منهجية تنموية ذات طبيعة قاعدية تتسم بالشمول والمرونة؛ لتلبية احتياجات العمل الإنساني ونقص التمويل، وتفتح آفاقًا لتحفيز النشاط الاقتصادي، وتعزيز الرفاهية الاجتماعية.

ويمكن تقسيم آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي على الفرعيين الآتيين:

الفرع الأول: تمويل العمل الاجتماعي بالزكاة والوقف والتمويل الأصغر

أولًا: الزكاة

تُمثِّل الزكاة الركن المالي والاجتماعي للدين الإسلامي، وبأدائها يدخل المرء في جماعة المسلمين، قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبة: ١١]. والزكاة رغم أنها قرينة الصلاة فإن دورها الآن غير فاعل ومنغلق في بيوت ضعيفة تفتقر لمقوِّمات الإدارة والبحث والمتابعة والرقابة. وقد شُرِعت بغرض تحقيق العديد من المقاصد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والمعنوية للفرد والمجتمع.

ففي الجانب الاجتماعي حقَّقت الترابطَ والتنمية المعيشية، وعمَّقت المعانيَ الرُّوحية، والقيم الأخلاقية، وخفَّفت الفوارق الاجتماعية، وأعادت التوازن والاستقرار والطمأنينة للمجتمع، وأزالت الكوارث، ورمّمت آثارها، وأقامت مجتمعاتِ الكفاية والعدل.[٢]

---

(١) البيهقي، السنن الكبرى، كتاب جماع أبواب السير، باب ما يفعله بالرجال البالغين منهم، حديث (١٨٠٣١) ٩/ ١١٢.

(٢) سامية فلياشي، الزكاة وتحقيق الغرض الاجتماعي: دراسة حالة صندوق الزكاة الجزائري، ص٨٧.

فالإنفاق على الفقراء والمساكين ومَن في حكمهم من البطالة والعَجَزة حفِظ عليهم إنسانيتهم وكرامتهم، وعلى المؤلفة قلوبهم حفِظ على المسلمين أمنهم وعزتهم، وعلى الغارمين منَع عنهم اليأس والقنوط، وعلى العاملين عليها منَع الاختلاس وشجَّع على أداء الأمانات، وعلى الرقاب فقد فكَّ أَسْرهم وقَيْدهم، وعلى سبيل الله فقد راعى باقيَ المصالح العامة، وعلى ابن السبيل حتى لا ينقطع عن أهله وحاجاته.

ثانيًا: الوقف

الراجح عندي في تعريف (الوقف) ما عرَّفه به الماوردي[١]، ونقله المرداوي عن عدد من مُصنّفات المذهب الحنبلي بأنه: (تحبِسُ الأصل، وتسبِلُ المنفعة)[٢]؛ لأن المقصود بالتعريف هو ذكر حدِّ المُعرّف، وما ذكره الماوردي ومن وافقه هو حد الوقف، وزاد غيرهم الشروط في الحدِّ.

وقد قعَّد الفقهاء بعض القواعد للمحافظة على الأوقاف، منها: «شرط الواقف كنصِّ الشارع، ويُفتى بكل ما هو أنفع للوقف فيما اختلف العلماء فيه، والتصرف مَنوطٌ بالمصلحة. ومن هنا يجب على إدارة الوقف القيامُ بالأعمال التي تحافظ على الموقوف، وتضمن بقاءه واستمراره؛ ليستمر نفع الموقوف عليهم وثواب الواقفين، وذلك كعمارة الموقوف بإصلاحه وصيانته والعناية به؛ ليبقى على ما كان عليه حين وَقْفِه.

والوقف عماد الحياة الاجتماعية، وبوابة التكافل الاجتماعي والالتزام الأخلاقي، ومدخلٌ لإعادة توزيع الثروة ليتحقق الاستقرار الاجتماعي. والوقف أيضًا جالب للتراحم بين أفراد المجتمع، ومُقلِّل للصراعات الطبقية الناتجة عن تباين المستويات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، ومُسهم في توسيع الطبقة المتوسطة في المجتمع التي عجَزت العديد من الحكومات على تحقيقها[٣].

هذا، وتقوم فكرة الوقف على تنمية قطاع ثالث متميز عن كلٍّ من القطاعين الحكومي والخاص، ويتحمَّل هذا القطاع مسؤولية النهوض بمجموعة من الأنشطة هي بطبيعتها لا تحتمل الممارسة السلطوية، ولا الدوافع الرِّبْحية حتى يبقى الوقف بمنأًى عن المنفعة والربح الفرديين من جهة، وعن سيطرة الحكومات، وما يرافقها من فساد إداري واستغلال للسلطة في بعض الأحيان من جهة ثانية[٤].

---

(١) الحاوي في فقه الشافعي، ٧/ ٥١١.

(٢) المرداوي، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، ٧/ ٣.

(٣) خيرة ويفي، سعاد نهيجة، دور التمويل الوقفي في تحقيق التنمية المستدامة: دراسة في الدور الاقتصادي والاجتماعي للقطاع الوقفي، ص٤٣.

(٤) راجع: د. منذر قحف، الوقف في المجتمع الإسلامي المعاصر، ص٢٥، ٢٦.

واقترح بعض الباحثين عمل وقفيات نقدية تَدِرُّ عائداتٍ تُخصص لتمويل برامج الدعم الاجتماعي، وتُوضع في صندوق خاصٍّ مستقلٍّ في موارده وقراراته، لتمويل مساعدة الفقراء والنساء المُعيلات خاصة في المناطق الريفية التي ترتفع فيها معدلات الفقر والبطالة والأمراض(١).

ومن هنا يظهر أهمية إحياء دور الوقف الذي تعرض للعديد من المشاكل والمخاطر والتهميش خلال العقود الأخيرة على خلاف ما كان عليه الوضع حتى العهد العثماني، وجاء الاستعمار فاستصدر القوانين التي أدت في النهاية إلى إضعافه، وتواضع دوره في التنمية والإصلاح الاجتماعي(٢).

ثالثًا: التمويل الأصغر

يهدف التمويل الأصغر إلى تعبئة المدخرات لاستخدامها في أنشطة اقتصادية مطلوبة، بتمليك الفقراء الأصول المنتجة كالمعدات ونحوها من السلع لإدخالهم في دائرة الإنتاج، وهو فرصة لمنظومة التمويل الإسلامي لتُصدِّر قِيمها الأخلاقية والسلوكية؛ لأن التمويل الأصغر يرتبط دائمًا بالأنشطة الاقتصادية الحقيقية التي تَدِرُّ أرباحًا.

ومن هنا سعَت بعض المصارف الإسلامية إلى تمويل الفقراء بدلًا من منحهم إعانات؛ ليسهموا في الناتج المحلي؛ لأن الأصول منتجة والنشاطات مطلوبة ومقصودة بخلاف المضاربات المالية وتجميل الديون الاستهلاكية.

وقد مسَّت الحاجة إلى بناء جسور بين المؤسسات الرسمية والتطوعية، وقطاع مقدمي التمويل الأصغر والعملاء، وإيجاد أسواق ناجعة لتصريف منتجات التمويل الأصغر، وعمَلِ محافِظَ تُسهم فيها الحكومات، والمنظمات الدولية والمحلية المانحة، والمؤسسات المموِّلة؛ لتأمين المموَّلين من مخاطر التعثر الناتج عن سوء إدارة المشروع أو عدم القدرة على تسويق خِدْماته ومنتجاته، ولا مانع وقتئذٍ من استثمار بعض أموال المحافِظِ لسدِّ فَجوة التعويض، ولعل هذا يتطلب تنسيق الجهود بين المؤسسات المعنية بالمجالين الاجتماعي والاقتصادي التنموي؛ لأن تخفيف حدة الفقر يُعدّ من المسؤوليات العامة للمجتمع بمؤسساته وقطاعاته وأفراده(٣).

---

(١) د. حمدي عبد العظيم، مصادر تمويل البعد الاجتماعي، ص٧.

(٢) د. حمدي عبد العظيم، مصادر تمويل البعد الاجتماعي، ص٧.

(٣) محمد الطاهر الطيب، التمويل الإسلامي الأصغر: نقلة من الإعانات إلى ساحات الإنتاج، ص١٣.

الفرع الثاني: تمويل العمل الاجتماعي بالصدقات والنذور والهبات والوصايا والكفارات وغيرها

لا شك في أن الفقر والشعور بالظلم الاجتماعي يؤثران في المجتمعات، ويهددان حريتها واستقلالها، وأن عدم مبالاة الأغنياء بهم يَزيدهم كمدًا وحقدًا، فتنتشر الفتن وتكثر الجرائم، ومن هنا اهتمّت الشريعة بالدعم الاجتماعي على مستوى المقاصد من وجوب المحافظة على الإنسان وعقله وعرضه ونسله وكرامته، وشرعت لذلك الزكاة والصدقات والهبات والوصايا وغيرها، وأوجبت ـ مما سبق ذكره ـ ما لا يُستغنى عنه، واستحسنت فعل ما زاد على ذلك ابتغاءً للأجر والثواب، كما في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وتتمثل الوظيفة الأساسية للنظم الاجتماعية في إشباع الحاجات الأساسية لأفراد المجتمع من السلع، والخِدْمات كالغذاء والمسكن والمياه النظيفة والتعليم والصحة والحماية... إلى آخره، والهدف هو الوصول بالإنسان إلى الكفاية الإنتاجية، والإحساس بالكرامة، وزيادة فاعليته في أداء دوره الاجتماعي.

هذا، والتمليك بغير بعوض هبة فإن انضم إليه حمل الموهوب من مكان إلى مكان الموهوب له إعظامًا أو إكرامًا فهو هدية، وإن انضم إليه كون التمليك للمحتاج تقربًا إلى الله تعالى وطلبًا لثواب الآخرة فهو صدقة(١). وقد حثّت الشريعة على الصدقة والهبة والهدية؛ لما في ذلك من تأليف القلوب، وتوثيق عرى المحبة، وتطهير النفوس من البخل والشح والطمع، وتحصيل الأجر الجزيل والثواب العظيم لمن قصد مرضاته.

أما النذر، فهو «التزامُ قربةٍ غير لازمةٍ بأصلِ الشّرعِ»(٢)، كقوله: والله لأتصدَّقنَّ في هذا الشهر بألفٍ. وهو «عقدٌ لازم يجب الوفاء به بالنص والإجماع»، كما قال ابن تيمية(٣)، ويرى المالكية أن النذر المطلق مستحَب، وهو الذي يُوجبه الرجل على نفسه شكرًا لله على ما كان ومضى(٤)، كمن نجّاه الله من كُربة أو شفى مريضَه أو رزقه مالًا. كما يُعنى بالوصية: «تبرّع بحق مضاف لما بعد الموت».(٥) وسُمّي بذلك؛ لأن المُوصي قد وصل به خير عُقباه بخير دنياه. أو هي هبة الرجل ماله لشخص آخر أو لأشخاص بعد موته، سواء صرح بلفظ الوصية أو لم يصرح(٦).

(١) الرافعي، العزيز شرح الوجيز، تحقيق: علي عوض، عادل عبد الموجود، ٦/ ٣٠٥.
(٢) الزرقاني، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تحقيق: طه سعد، ٣/ ٨٣.
(٣) الرد على السبكي في مسألة تعليق الطلاق، تحقيق: عبد الله المزروع، ٢/ ٧٩١.
(٤) ابن رشد، البيان والتحصيل، تحقيق: د. محمد حجي وآخرين، ٣/ ١٣٧.
(٥) البجيرمي، حاشية البجيرمي على الخطيب، ٣/ ٣٠٤.
(٦) ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ٤/ ١٢١.

والكفارات خمسة أنواع: كفارة قتل الخطأ، وهي عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يستطع صام شهرين متتابعين. وكفارة الجماع في نهار رمضان، وهي عتق رقبة، فإن لم يستطع صام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع أطعم ستين مسكينًا. وكفارة الظهار، وهي عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يستطع صام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع أطعم ستين مسكينًا. وكفارة اليمين، وهي عتق رقبة، أو إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، فإن لم يجد صام ثلاثة أيام متتابعة. وكفارة جزاء الصيد، وهي بمثله، أو يقوِّمه بمال، أو عدل ذلك صيامًا. وقد حكى القرافي عن أبي القاسم السمرقندي أن الكفارة ترفَع الإثم وإن لم يوجد منه توبة، بينما حكى عن نجم الدين النسفي أنه إذا لم يتُب من الذنب فالكفارة لا ترفعه عن المصر، وأثنى على هذا الرأي وقال: «وهذا تفصيل حسن وتقييد مستحسن يجمع به بين الأدلة والروايات».(١)

والتكافل الاجتماعي العام يشمل كل الناس دون تمييز بينهم بسبب دين أو لون أو عرق؛ ليضمن لهم جميعًا حد الكفاية اللائق بكرامة كل إنسان منهم من غير سرف ولا تقتير(٢)؛ تحقيقًا لمصالحهم وحفاظًا على مقصود الشارع بحفظ النفس، ويُمَّول ذلك كله بأدوات التمويل سالفة الذكر، فإن بقيت في الحاجات حاجات لم تُسد جاز فرض ذلك على الأغنياء من ذوي المقدرة والاستطاعة، وهو ما أطلق عليه البعض «حق البرّ»(٣)، واستُدِّل على مشروعيته وتسميته بقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ١٧٧] فأبان بذكر الزكاة مع الصلاة في آخر الآية أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ غير الزكاة، فليس إذا إلا صدقة التطوع.(٤)

وقد كان عليٌّ رضي الله عنه يقول: «إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم، فإن جاعوا وعَرُوا وجهدوا فبمنع الأغنياء، وحق على الله أن يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه».(٥) وقال القرطبي: «واتفق العلماء على أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة فإنه يجِبُ صرفُ المالِ إليها».(٦)

---

(١) الفروق، ٢/ ٣٤١.

(٢) د. محمد عبد الحليم عمر، وآخرون، التكافل الاجتماعي والتأمينات الاجتماعية في الإسلام، ص١٥٥.

(٣) د. محمد عبد الحليم عمر، وآخرون، التكافل الاجتماعي والتأمينات الاجتماعية في الإسلام، ص١٥٨ - ١٥٩.

(٤) الحسين الحليمي، المنهاج في شعب الإيمان، تحقيق: حلمي فودة، ٢/ ٣٥٠.

(٥) البيهقي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، كتاب قسم الصدقات، باب لا وقت فيما يعطى الفقراء والمساكين إلا ما يخرجون به من الفقر والمسكنة، حديث رقم (١٣٥٨٥) ٧/ ٢٣.

(٦) تفسير القرطبي، ٢/ ٢٤٢.

وبعد، فيهدف التكافل الاجتماعي إلى تحقيق الضمان والتأمين للمحتاجين، ولا يتحقق ذلك إلا بتوفير وسائل الإنتاج للفئات التي لديها القدرة على العمل والإنتاج، أما باقي الفئات الأخرى غير القادرة على العمل فتقدم لها الإعانات التي توفر لها حدّ الكفاية، وتسدّ لها الخطر الذي يتهدّدها[١]، وهذا مما يميّز نظام التكافل على قوانين الضمان الاجتماعي التي تقتصر على تأمين بعض الأخطار كإصابات العمل والعجز والشيخوخة، وعلى قوانين التأمينات الاجتماعية التي تلزم أصحاب الأعمال والمستفيدين بدفع أقساط شهرية، فتتحرر بذلك تكلفة الإنتاج من أعباء التأمينات الاجتماعية وهذا يؤدي إلى الحد من التضخم، ويُسهم في جعل اقتصاديات السوق تسير سيرًا طبيعيًّا.[٢]

وهكذا نجد الشريعة الإسلامية تمد مِظلة التكافل الاجتماعي إلى كل محتاج في المجتمع، بتوفير حدّ الكفاية له، وتغطية كافة المخاطر، ولو لم يسهم باشتراك، ودون أن تضيف أعباء على الإنتاج، فتُحقق مزايا أكثر مما تُقرِّره قوانين التأمينات الاجتماعية، وتتلافى عيوبها[٣]؛ لتخفيف حدة الفقر، وتداول الثروة، وإعادة تدويرها في الاقتصاد[٤]، فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله أي الناس أحبُّ إلى الله؟ وأي الأعمال أحبُّ إلى الله عز وجل؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم للناس... الحديث».[٥]

(١) محمد الطاهر الطيب، التمويل الإسلامي الأصغر: نقلة من الإعانات إلى ساحات الإنتاج، ص١٢.
(٢) د. محمد عبد الحليم عمر، وآخرون، التكافل الاجتماعي والتأمينات الاجتماعية في الإسلام، ص١٦٠.
(٣) د. محمد عبد الحليم عمر، وآخرون، التكافل الاجتماعي والتأمينات الاجتماعية في الإسلام، ص١٦١.
(٤) محمد الطاهر الطيب، التمويل الإسلامي الأصغر، ص١٣.
(٥) الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق محمد، عبد المحسن الحسيني، ٦/ ١٣٩، حديث رقم (٦٠٢٦).

المبحث الثالث
النهوض بثقافة التطوع لتعزيز العمل الإسلامي المشترك

لا شك أن التطوع واجب ديني، وترجمة حقيقية لمعاني الشهامة والمروءة والكرم التي تميز بها العرب، وهو أيضًا من وسائل بناء الفرد وتنمية المجتمع؛ ولذا كانت أهمية نشر ثقافة التطوع في المجتمعات المعاصرة وَفق منهج معتدل؛ لتعزيز تنمية المجتمعات المستدامة، وبناء مستقبل أفضل للأجيال القادمة.

ويُعنى بثقافة التطوع: شيوع منظومة القيم والمبادئ والأخلاقيات والمعايير والممارسات التي تحض على التطوع في مبادرات عمل الخير الذي يتعدى نفعُه إلى الآخرين.(١)

وقد أقرّت الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ٥ ديسمبر من كل عام يومًا دوليًّا للمتطوعين، وهو فرصة لزيادة الوعي بحجم الإسهام الذي تُقدّمه تلك المنظمات التطوعية لمجتمعاتها، والاحتفال بجهودها، وتعزيز عملها، لا سيما أنّ العمل التطوعي هو إحدى الركائز الدينية والاجتماعية والثقافية والإنسانية المركوزة في سائر المجتمعات.

بيد أن الظاهر في المجتمعات الإسلامية مؤخرًا غيرُ ذلك، ولعل السبب يرجع إلى عدم شيوع ثقافة التطوع لدى المسلمين، ومن هنا تم تقسيم هذا المبحث إلى المطالب الآتية:

المطلب الأول : الأعمال التطوعيّة ودورها في تضامن المجتمعات

يتطلَّب العمل التطوعي ثقافة وإدراكًا بما يُقدّم لنا وللآخرين، سواء أكان عملًا فرديًّا أم مؤسسيًّا وهو أكثر تنظيمًا وأوسع تأثيرًا في المجتمعات المعاصرة.

ومجالات العمل التطوعية متسعة لتشمل الطوارئ، ومساعدة المتضررين من كوارث الحروب والزلازل والبراكين، ومساعدة الفقراء والمحتاجين، وتنظيف الأماكن العامة وتجميلها، ورفع مستوى الوعي البيئي، وتقديم مواد الإغاثة والإسعافات الأولية والخيام السكنية... إلى آخره.

---

(١) د. مريم سلطان لوتاه، العلاقة بين ثقافة التطوع وتعزيز قيم المشاركة لدى الشباب في دولة الإمارات العربية المتحدة، ص٧٨.

ومن جهة أخرى فقد انكمش دور الدولة في المجالات الاجتماعية سالفة الذكر مما أفسح المجال أمام المنظمات والمؤسسات العاملة في تلك المجالات؛ لتقديم الرعاية والخِدْمات الاجتماعية بعيدًا عن هيمنة الدولة وسلطتها(١)، غير أن صعوبة استقطاب العاملين بلا أجر مادي في مجالات العمل التطوعية المختلفة ـ يُعدّ من أبرز التحديات(٢)، مما يدعم أهمية نشر وتأصيل ثقافة العمل التطوعي في المجتمعات المعاصرة، وفيما يلي أسُوقُ أبرزها:

أولًا: العمل التطوعي سلوك إيجابي يُرسِّخ في المجتمع مفاهيم التعاون، والمشاركة، والإغاثة والرحمة بالآخرين، ويرتقي بالمجتمع، ويؤدي إلى تماسكه، وينشر فيه معاني الخير والفضيلة والأمل، وينشر عليه بقية آثاره في المجالات النفسية والصحية والاجتماعية والاقتصادية... إلى آخره.

ثانيًا: يُجسِّد العمل التطوعي معاني التنمية الوطنية والإنسانية، ويُذيب الأدران المادية والمعنوية، كما يحقِّق التعارف والتكامل بين الشعوب، فتظهر ملكاتُها، وقدراتها، ومواهبها، وخيراتها التي أودعها الله عندها، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ [الحجرات: ١٣]، فيتجاوز بذلك الاختلاف في اللون أو العرق أو اللغة أو الدين.

ثالثًا: تُسهم التربية على ثقافة العمل الاجتماعي في ترشيد الأوقات لدى الشباب، وتُعيد التوازن إلى سلوكهم، بما يزيد معرفتهم بالمجتمع وحاجاته، فيتَمتَّن انتماؤهم إليه، وتزيد ثقتهم بأنفسهم لزيادة مهارات التواصل لديهم، بما يدفعهم إلى إنجاز المزيد من النجاحات، كالقدرة على العمل مع الآخرين، واتخاذ القرارات المناسبة، ونحو ذلك.

رابعًا: يحد العمل التطوعي من السلوكيات المنحرفة، ويوفر تدريبًا مكثفًا يَصقُل المهاراتِ، كما يوفّر أنشطة تطوعية متنوعة تتناسب مع كافة التخصصات والميول النفسية، ويصهَر الجميع في بَوْتقةِ حبِّ الخير والتنافس فيه، ويمنَع من استغلال الغير، ويُبعِد عن كل ما يؤذي النفس والكرامة، ويضيِّع المال ونحوه.

وعلى ذلك، يُشكّل العمل التطوعي رافدًا مهمًّا للنهوض بالمجتمعات، وتحقيق التنمية الشاملة، وتخفيف المعاناة عن الناس، وأيضا يمُدُّ جسور التواصل مع المجتمعات الخارجية؛ لتحقيق التكامل والتعارف بين الشعوب.

---

(١) د. محمد عبد العال، دور المنظمات التطوعية في توفير خِدْمات الرعاية الإنسانية للمرأة الفقيرة المستبعدة اجتماعيًّا: دراسة ميدانية مطبقة على عينة من المنظمات التطوعية ببندر الفيوم، ص١١٨ - ١١٩.

(٢) د. مريم سلطان لوتاه، العلاقة بين ثقافة التطوع وتعزيز قيم المشاركة لدى الشباب في دولة الإمارات العربية المتحدة، ص٧٢.

المطلب الثاني : تعزيز القيم الاجتماعيّة للأعمال التطوعيّة

تُعد القيم الاجتماعيّة من أهم غايات العملية التربوية، فإنها تُحدد للمجتمع أهدافه ليحيا حياة اجتماعية سليمة، وتُوجِّه إليها الفكر، وتُشبِّك التطبيقات الثقافية المتعددة لتبدوَ متناسقةً ومتناغمة معها. كما تعمَل كموجهات للسلوك الإنساني، وتقي من سائر الانحرافات الاجتماعية، وتساعد المجتمع على مواجهة التغيرات وتحقيق الاستقرار والازدهار.(١)

ويُعنى بالقيم الاجتماعية: المبادئ والقواعد والمعايير والمثل العليا التي تُحددها ثقافة المجتمع من الصفات المرغوبة لديه لتوجيه سلوك المجتمع، وجعلها ميزانًا للأعمال، والحُكم بها على التصرفات المادية والمعنوية، وتُكتَسب كما تُكتَسب المعارف والمهارات(٢).

ومن ثَم فهي معاييرُ عامّة ضابطة للسلوك الصحيح، كالحق والعدل والتعاون، وتحقِّق التكافل والاستقرار المجتمعي، وتحِلّ النزاعات، وتساعد في اتخاذ القرارات. ومن جهة أخرى تُحدد أهداف العملية التعليمية، وتحكُم على مؤسسات التربية ومناهجها(٣)، كما تعمل القيم أيضًا على «تأسيس شرعية النظام الاجتماعي وإعادة إنتاجه، بل وشَرْعنة الرَّقابة الاجتماعية»(٤).

وللأسف تتراجع منظومة القيم في العديد من المجتمعات المعاصرة لأسباب كثيرة، منها: ضعف أدوار مؤسسات التنشئة العامة من أسرة ومسجد ومدرسة، وظهور تيارات فكرية منحرفة، وضعف الوعي بجدوى القيم، وأيضًا بسبب التأثر بتكنولوجيا التواصل التي ما فَتِئت تُعرِّض أفراد المجتمع لقيم سلبيّة تُغلِّب المصالح الفرديّة على العامّة، وتنشر كذلك قيمًا غير إنسانية، كعدم المبالاة بمعاناة الآخرين، وأحيانًا قيمًا متناقضة مما يشوِّش على المجتمع غير القادر في أغلبه على تمييز الإيجابي منها من الرديء(٥).

ولمعالجة ذلك نحتاج إلى دعم التنشئة الأسريّة السويّة، وكافة المؤسسات الاجتماعية المسؤولة عن التنشئة حتى تطوِّرَ أساليب العمل، وتتمكنَ من حسن التعامل مع المتغيرات، وتقدِر على توجيه السلوك ورعايته باستمرار، وتدريس ثقافات الشعوب الأخرى، وبيان فلسفتها في الحياة لإتاحة الفرص للتفاعل الحضاري في عالم يزداد صغرًا يومًا بعد آخر.(٦)

---

(١) منى القطان، القيم الاجتماعية: خصائصها ومصادرها، ص٧١١ – ٧١٢.
(٢) منى القطان، القيم الاجتماعية: خصائصها ومصادرها، ص٧٠٨.
(٣) منى القطان، القيم الاجتماعية: خصائصها ومصادرها، ص٧٠٩ – ٧١٠.
(٤) إدريس الصنهاجي، التحولات الاجتماعية وإشكالية القيم، ص١٠٠.
(٥) سعيد بن سليم الكيتاني، القيم والتعليم والتنمية الاجتماعية، ص٧٢.
(٦) سعيد بن سليم الكيتاني، القيم والتعليم والتنمية الاجتماعية، ص٧٣.

ويرى بعض الباحثين أن ما تشهده العديد من المجتمعات من تحولات على مستوى القيم إنما هو تحولات مجتمعية تحدث في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، تؤدي إلى ظهور قيم جديدة واختفاء قيم قديمة، وغالبًا ما تواجه القيم الجديدة بالتوجس خيفة لا لأنها سلبية بل لأن المجتمع يرى التهديد في كل جديد، وعليه، فما «يُعتبر أزمة قيم في منظور البعض إنْ هو إلا تحول يشهده المجتمع في شتى المجالات فينعكس على القيم».[١]

وبعد، فالقيم تعزِّز الأعمال التطوعية وتدفعها؛ لأنها من مقاصد الشرع العامة، تُوجه السلوك، وتؤثر في الأفعال، وهي معيار للحكم عليها، مما جعلها موضع اهتمام الفلاسفة والمفكرين والباحثين في العلوم الإنسانية قديمًا وحديثًا.

ومن جهة أخرى، فالأعمال التطوعية تُمتِّن القيم، وتثبتها في الوجدان الإنساني؛ ولذا ذهب الفقهاء إلى أن الوسائل لها أحكام المقاصد، والقصد هو نشر الخير، ودفع الفساد، ومساعدة المحتاج، ونَبْذ الفرقة، وجمع الكلمة، وهذا وغيره لا يتأتّى إلا بالتعاون، ونَبْذ العنف، والصراعات، والتمييز العنصري.

المطلب الثالث: اقتراحات لتعزيز وترسيخ ثقافة الأعمال التطوعية

يمكن في هذا الصدد تقديم بعض الاقتراحات المعزِّزة لثقافة التطوع، وأبرزها الآتي:

أولًا: على الدولة الدخولُ مع مواطنيها في شركات اجتماعية، وتترك لهم هامش الحركة الاجتماعية، للقيام بأعمال موازية لعمل الدولة ومؤازِرةٍ له، كتقليل نسبة الأمية، وتخفيف وطأة الفقر والهشاشة[٢]، وإنشاءِ صندوق من صدقات الأفراد وتبرعات الدولة، لدعم الإغاثة الفورية، والقضاء على الفقر على المدى الطويل، وحماية الفئات الأكثر عرضةً للخطر.

ثانيًا: إنشاء كراسي علمية في الجامعات تتعلق بالعمل الإنساني؛ لتسهم في نشر ثقافة العمل الخيري، من خلال تقديم المحاضرات، وورش العمل، والتدريب، وإطلاق الجوائز البحثية، ونحو ذلك.

ثالثًا: على وزارات التعليم والجامعات إلزام الطلاب بتقديم ما لا يقل عن (٣٠) ساعة سنوية كخدمة مجتمعية، وتأسيس منهج عمل تطوعي واعٍ قائمٍ على رؤيةٍ، وأهداف واضحة.

رابعًا: العمل على تضمين المقررات الدراسية أهمية العمل التطوعي، ودور المجتمع المدني في التأثير الإيجابي على التنمية بأبعادها المختلفة، وإزالة التداخل والالتباس في المجتمعات العربية نتيجة

(١) إدريس الصنهاجي، التحولات الاجتماعية وإشكالية القيم، ص١١٧.
(٢) مصطفى بن حمزة، العمل الاجتماعي في الإسلام، ص١٤.

حداثة طرح المفهوم، والإشكاليات المرتبطة بعَلاقته بالدولة والمجتمع، والتعرف على التحديات في المجتمعات ذات التنوع العرقي والطائفي والمذهبي، لدفع الحركة المجتمعية نحو تحقيق الصالح العام.[١]

خامسًا: اقترح البعض فرضَ ضريبة تضامن اجتماعي على المشروعات الاستثمارية ذات رؤوس الأموال الضخمة، والتي تحقق أرباحًا طائلة على حساب جمهور المواطنين بنسبة ضئيلة لا تُرهق موازنات المشروعات الاستثمارية، وتُوفِّر حصيلةً يُموّل من خلالها متطلَّباتُ تحقيق البعد الاجتماعي للتنمية ومواجهة آثار تقلبات السوق.[٢]

سادسًا: اقتُرح أيضًا تحصيل الضرائب المتأخرة بسبب المنازعات الإدارية والقضائية، وتحتاج إلى مبادرة تصالح بين الممولين ومصلحة الضرائب؛ للاستفادة منها في الأعمال الخيرية والإنسانية، وتقليل معاناة أصحاب الدخول الثابتة.[٣]

سابعًا: على مؤسسات العمل الإنساني توفيرُ التدريب المناسب للمتطوعين، ليتمكنوا من حسن التعامل مع المستفيدين، ويحافظوا على أنفسهم من مخاطر العمل الإنساني في أماكن الصراعات والكوارث.

ثامنًا: على دول منظمة التعاون الإسلامي احتسابُ التبرعات الموثَّقة للأعمال الإنسانية من حساب الضريبة الواجب سدادُه على المتبرعين من أفراد ومؤسسات، وأتوقَّع أنّ هذا ينشِّط أعمال التكافل الاجتماعي، والتنمية الشاملة في المجتمعات المعاصرة، ويجعل الناس يقبلون طواعية على سداد الضرائب من جهة أخرى، ويمكن لكل دولة الإعلان عن المنظمات والمؤسسات والجمعيات العاملة في المجال الإنساني التي يمكن التبرع إليها، وخصمه من الضرائب، وبهذا تكون الدولة قد تماهت مع التوجُّه الإسلامي في تأسيس عَلاقة الدولة بالمجتمع.

وبالله التوفيق.

(١) د. مريم سلطان لوتاه، العلاقة بين ثقافة التطوع وتعزيز قيم المشاركة لدى الشباب في دولة الإمارات العربية المتحدة، ص٦٩.
(٢) د. حمدي عبد العظيم، مصادر تمويل البعد الاجتماعي، ص٧.
(٣) د. حمدي عبد العظيم، مصادر تمويل البعد الاجتماعي، ص٧.

مشروع قرار عن التمويل الاجتماعي الإسلامي وتعزيز العمل الإنساني

أولًا: التمويل الاجتماعي الإسلامي: هو تدبير الأموال وتوظيفها لتحقيق أغراض اجتماعية، وأدواته عقود الإرفاقات والتبرعات، وعقود المعاوضات والمشاركات مع عدم استغلال ضرورات المجتمع وحاجاته.

ثانيًا: أهم خصائص التمويل الاجتماعي الإسلامي: العدالة، والشمول، والمرونة، والقدرة على تحفيز النشاط الاقتصادي الكلي، وتعزيز الرفاهية الاجتماعية والتنمية المستدامة.

ثالثًا: أهم مجالات العمل الاجتماعي المعاصر: مواجهة مشكلات الفقر والبطالة، والأمراض حسب الحاجة والفاقة، ثم مجالات التنمية البشرية وتطوير المهارات.

رابعًا: اعتبرت الشريعة الإسلامية العمل الاجتماعي، وجعلته من فروض الكفايات ومن حقوق الله تعالى، ومن الأعمال المتعدية نفعها إلى الغير، والفاضلة على غيرها من الأعمال القاصرة دون تفرقة بين أهل الملل والمذاهب والأقطار والأجناس والألوان والجهات، ودون دعوة لدين أو مذهب.

خامسًا: يمول العمل الاجتماعي بالصدقات والنذور والهبات والوصايا والكفارات، وبالزكوات والأوقاف والتمويل الأصغر وغير ذلك؛ ليضمن حد الكفاية اللائق بكرامة الإنسان من غير سرف ولا تقتير، تحقيقا لمصالحه، وحفاظًا على مقصود الشارع بحفظ النفس.

سادسًا: القيم تعزز الأعمال التطوعية، وتحقق الاستقرار الاجتماعي، وتؤثر في الأفعال بحكم كونها معاييرَ عامّة ضابطة للسلوك، كالحق والعدل والتعاون، والأعمال التطوعية تُمتِّنُ القيم، وتثبتها في الوجدان الإنساني فكان للوسائل أحكام المقاصد.

سابعًا: دعم التنشئة الأسريّة السويّة لتتمكن من حسن التعامل مع المتغيرات، وتقدِر على توجيه السلوك ورعايته.

ثامنًا: تعزيز ثقافة التطوع في المجتمعات لترسيخ مفاهيم التعاون والمشاركة والإغاثة والرحمة بالآخرين، وترتقي بالمجتمعات وتؤدي إلى تماسكها، وتنشر فيها معاني الخير والفضيلة والأمل، ويتحقق التعارف والتكامل بين الشعوب، وتظهر ملكاتها وقدراتها ومواهبها وخيراتها التي أودعها الله عندها.

تاسعًا: على منظمات العمل الإنساني احترام مبادئ الحياد والإنسانية والنزاهة والاستقلال، واحترام القوانين والأعراف والتقاليد الوطنية، وعلى الجميع ضمان سلامة وحرية حركتهم والمساهمة في تطوير أعمالهم.

وبالله التوفيق والسداد.

فهرس المصادر والمراجع
(المراجع مرتبة ترتيباً هجائيًّا)

المراجع العربية:

ـ **ابن القيم: إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق: محمد عبد السلام (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، **١٩٩٢**م).

ـ **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، تحقيق: سيد إبراهيم، (القاهرة: دار الحديث، ط٣، **١٩٩٩**م).

ـ **ابن الملقن: التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، تحقيق: دار الفلاح (دمشق: دار النوادر، ط١، **٢٠٠٨**م).

ـ **ابن أمير حاج: التقرير والتحرير في علم الأصول (بيروت: دار الفكر**، ط١، **١٩٩٦**م).

ـ **ابن تيمية: الرد على السبكي في مسألة تعليق الطلاق**، تحقيق: عبد الله المزروع (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ط١، **١٤٣٥**هـ).

ـ **ابن رشد الجد: البيان والتحصيل**، تحقيق: د. محمد حجي وآخرين (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط٢، **١٩٨٨**م).

ـ **ابن رشد الحفيد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد (القاهرة: دار الحديث**، بدون طبعة، **٢٠٠٤**م).

ـ **ابن عادل الحنبلي: اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض (بيروت: ط١، **١٩٩٨**م).

ـ **ابن كثير: تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسن (دمشق: دار الفكر، الطبعة الجديدة، **١٩٩٤** م).

ـ **أبو عبيد: الأموال**، تحقيق: سيد رجب (مصر: دار الهدي النبوي، ط١، **٢٠٠٧** م).

ـ **أحمد بن حنبل: مسند أحمد**، تحقيق: أبو المعاطي النوري (بيروت: عالم الكتب، ط١، **١٩٩٨**م).

ـ **أحمد عبده عوض: التكافل الاجتماعي في الإسلام (مصر: ألفا للنشر والتوزيع**، ط**٢١١٢**، ١م).

ـ **أحمد فوزي: العمل الاجتماعي مع المعوقين: تجربة ميدانية ومؤشرات تحليلية (مصر: مجلة الخدمة الاجتماعية**، الجمعية المصرية للأخصائيين الاجتماعيين، مج **٩**، ع **٣٢**، **١٩٨٦**م).

ـ **إدريس الصنهاجي: التحولات الاجتماعية وإشكالية القيم (المغرب: مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية**، أشغال المؤتمر السنوي بفاس: المفاهيم في العلوم الإنسانية، مج١، **٢٠١٨**م).

ـ **آسيا شكيرب: إشكالية المقاصد في العمل الخيري بين المنظمات الخيرية الإسلامية والإرساليات التنصيرية في إفريقيا: هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية والإرسالية الفرنسيسكانية نموذجًا (الجزائر: مجلة العلوم الإسلامية والحضارة**، المجلد ٤، العدد ٠١، **٢٠١٩**م).

ـ **الأمم المتحدة: الجمعية العامة**، الدورة **٦٣**- بند **٦٥** (أ) من جدول الأعمال، قرار **٦٣/ ١٣٩** تعزيز تنسيق المساعدة الإنسانية التي تقدمها الأمم المتحدة في حالات الطوارئ، ديسمبر **٢٠٠٨**م.

ـ **الجمعية العامة**، الدورة **٧٤** - بند **٧١** (أ) من جدول الأعمال، قرار **٧٤/ ١١٦** سلامة وأمن العاملين في مجال تقديم المساعدة الإنسانية وحماية موظفي الأمم المتحدة، ديسمبر **٢٠١٩**م.

ـ **الأمير الصنعاني: التنوير شرح الجامع الصغير**، تحقيق: د. محمد إسحاق (الرياض: مكتبة دار السلام، ط١، **٢٠١١**م).

ـ **أن تظل وتعمل: الممارسة الجيدة للعاملين الإنسانيين في البيئات الأمنية المعقدة (دراسة مستقلة تم التكليف بها من قبل مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية OCHA / فرع الدراسات ووضع السياسات PDSB**، وبتمويل من استراليا والبرازيل وأيرلندا وسويسرا/ سلسلة السياسات والدراسات **٢٠١١**).

ـ **البجيرمي: حاشية البجيرمي على الخطيب (بيروت: دار الفكر**، بدون طبعة، **١٩٩٥**م).

ـ **البخاري: الأدب المفرد**، تحقيق: عصام هادي (السعودية: دار الصديق، ط١، **٢٠١٣**م).

ـ **البخاري: صحيح البخاري**، تحقيق: د. مصطفى البغا (بيروت: دار ابن كثير، ط٣، **١٩٨٧**م).

ـ **البيهقي: السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي (حيدر أباد: مجلس دائرة المعارف، ١٣٤٤**هـ، ط١).

ـ **البيهقي: السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، **٢٠٠٣**م).

ـ **ثريا عبد الرؤوف: الرعاية الاجتماعية في الإسلام (السعودية: مجلة الحج والعمرة**، ع٤٩، ج٨، **١٩٩٤**م).

ـ **الحسين الحليمي: المنهاج في شعب الإيمان**، تحقيق: حلمي فودة (بيروت: دار الفكر، ط١، **١٩٧٩**م).

ـ **حمدي عبد العظيم: مصادر تمويل البعد الاجتماعي (القاهرة: مجلة جمعية إدارة الأعمال العربية**، عدد **١٢١**، **٢٠٠٨**م).

ـ **خديجة عرفة أمين: العمل الخيري: خلفية نظرية حول المفهوم (السعودية: مجلة مداد لدراسات العمل الخيري**، المركز الدولي للأبحاث والدراسات (مداد)، ع **٢**، يناير **٢٠١١**م).

ـ **خضرة صديقي**، أ. نجاة بن عابد: المسؤولية الاجتماعية في ظل التمويل الإسلامي (الجزائر: مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية، ع**٢٥**، **٢٠١٥**م).

ـ **خيرة ويفي**، سعاد نهيجة: دور التمويل الوقفي في تحقيق التنمية المستدامة: دراسة في الدور الاقتصادي والاجتماعي للقطاع الوقفي (الجزائر: مجلة الندوة للدراسات القانونية، العدد **٢٩**، **٢٠١٩**م).

ـ **دليل التعاون الأمني للمنظمات غير الحكومية (بتمويل من الإدارة العامة لدائرة المساعدات الإنسانية/ المفوضية الأوربية** ECHO DG

ـ **راشد محمد: العمل الاجتماعي التطوعي دراسة تحليلية لقانون الجمعيات ذات النفع العام (الإمارات: مجلة شؤون اجتماعية**، جمعية الاجتماعيين في الشارقة، مج **٥**، ع **١٨**، **١٩٨٨**م).

ـ **الرافعي: العزيز شرح الوجيز**، تحقيق: علي عوض، عادل عبد الموجود (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، **١٩٩٧**م).

ـ **الزرقاني: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**، تحقيق: طه سعد (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط١، **٢٠٠٣**م).

ـ **سامية فلياشي: الزكاة وتحقيق الغرض الاجتماعي: دراسة حالة صندوق الزكاة الجزائري (الجزائر: مجلة الإدارة والقيادة الإسلامية**، الهيئة العالمية للتسويق الإسلامي، مج٥، ع٢، مايو **٢٠٢٠**).

ـ **سعيد بن سليم الكيتاني: القيم والتعليم والتنمية الاجتماعية) عمان: وزارة التربية والعليم**، رسالة التربية، ع٦، **٢٠٠٤**م).

ـ **السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي (القاهرة: مركز هجر للبحوث، ط١، **٢٠٠٣** م).

ـ **الطبراني: المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق محمد، عبد المحسن الحسيني (القاهرة: دار الحرمين، بدون طبعة وتاريخ).

ـ **الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد شاكر (مصر: مؤسسة الرسالة، ط١، **٢٠٠٠**م).

ـ **عصام زيدان: العمل الاجتماعي وتأثيره على العمل السياسي الإسلامي في الدول الثورية (السعودية: المركز العربي للدراسات الإنسانية ـ مجلة البيان**، التقرير **١٠**، يناير **٢٠١٣**م).

ـ **القرافي: الفروق**، تحقيق: خليل المنصور (بيروت: دار الكتب العلمية، **١٩٩٨**م).

ـ **القرطبي: تفسير القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، **١٩٦٤**م).

ـ **الماوردي: الحاوي في فقه الشافعي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤م).**
ـ **المباركفوري: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (بيروت: دار الكتب العلمية،** بدون طبعة وتاريخ).
ـ **محمد الطاهر الطيب: التمويل الإسلامي الأصغر: نقلة من الإعانات إلى ساحات الإنتاج (السودان: بنك فيصل الإسلامي السوداني،** مجلة المال والاقتصاد، العدد ٦٦، يونيو ٢٠١١م).
ـ **محمد بن الحسن الشيباني: شرح السير الكبير،** تحقيق: محمد حسن (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧م).
ـ **محمد عبد الحليم عمر (وآخرون): التكافل الاجتماعي والتأمينات الاجتماعية في الإسلام (مصر: ندوة القوانين الاقتصادية من منظور إسلامي،** جامعة الأزهر، مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، أغسطس ١٩٩٠).
ـ **محمد عبد العال: دور المنظمات التطوعية في توفير خِدْمات الرعاية الإنسانية للمرأة الفقيرة المستبعدة اجتماعيا: دراسة ميدانية مطبقة على عينة من المنظمات التطوعية ببندر الفيوم (مصر: مجلة كلية الخدمة الاجتماعية للدراسات والبحوث/ جامعة الفيوم،** ع١٥، ربيع ٢٠١٩م).
ـ **المرداوي: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (مصر: دار إحياء التراث العربي،** بدون ط وتاريخ).
ـ **مريم سلطان لوتاه: العَلاقة بين ثقافة التطوع وتعزيز قيم المشاركة لدى الشباب في دولة الإمارات العربية المتحدة (الشارقة: جمعية الاجتماعيين في الشارقة،** مج٣١، ع١٢٤، ٢٠١٤م).
ـ **مسلم: صحيح مسلم،** تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٥م).
ـ **مصطفى بن حمزة: العمل الاجتماعي في الإسلام (المغرب: مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بوجدة،** سلسلة دفاتر المركز (٣)، ط١).
ـ **مصطفى بوهبوه: قاعدة «النفع المتعدي أفضل من القاصر وتطبيقاتها في العمل التطوعي».**
ـ **منذر قحف: الوقف في المجتمع الإسلامي المعاصر (الدوحة: مركز البحوث والدراسات،** ط١، ١٩٩٨م).
ـ **منى القطان: القيم الاجتماعية: خصائصها ومصادرها (جامعة القاهرة ـ كلية الدراسات العليا للتربية،** مجلة العلوم التربوية، مج ٢٣، ع٢، إبريل ٢٠١٥).

المراجع الأجنبية:

ـ Clark, Ann Marie. “Non - Governmental Organizations and Their Influence on International Society. ” Journal of International Affairs 48, no. 2 (1995.

ـ UN Women, Virtual Knowledge Center to end Violence Against Women and Girls. Protection from Sexual Exploitation and Abuse.

ـ Woodward, Barbara K. “THE ROLE OF INTERNATIONAL NGOS: AN INTRODUCTION. ” Willamette Journal of International Law and Dispute Resolution 19, no. 2 (2011): 203–31.

ـ Ramcharan Bertrand, Global Institutions: Preventative Human Rights Strategies (New York: Routledge, 2010) , 28.

ـ United Nations, World Meteorological Organization. WMO Atlas of Mortality and Economic Losses from Weather, Climate and Water Extremes (1970 – 2019). Geneva: WMO, 2021.

ـ United Nations, United Nations High Commission for Refugees. Report of the Global Trends Forced Displacement. Geneva: UNHCR, 2018.

الإنترنت:

- https: //news. un. org/ar/story/2020/05/1054802
- https: //www. endvawnow. org/en/articles/1497 - protection - from - sexual - exploitation - and - abuse. html
- https: //www. aljazeera. com/news/2008/5/28/ngo - and - un - staff - abusing - children
- http: //www. jstor. org/stable/24357601.
- http: //www. jstor. org/stable/26211687.

بحث فضيلة الدكتور محمد الأمين سيلا

الأمين العام للمجلس الإسلامي الأعلى في غامبيا

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد،

فيعتبر التمويل الاجتماعي الإسلامي مفهومًا معاصرًا في الفكر الإسلامي، يهتم بمزايا تنظيمية لتحقيق الألفة والمحبة والتعاون والتنسيق الفعال.

وتحثّنا الفطرة البشرية على نشر الخير على الدوام؛ إذ يولد الإنسان على فطرة حبّ عمل الخير، ويعمل على نشره بين الناس كلما أُتيحت له الفرصة، الأمر الذي ألهم العديد من الأشخاص لاستحداث مفهوم العمل التطوعي. وهو الموضوع الذي سنتطرق إلى الحديث عنه في هذا المقال؛ نظرًا لأهميته في كافة الأوقات، ودوره العظيم في نشر الحب والسلام، وتعزيز المساواة بين أفراد المجتمع. فقد لاحظنا في الآونة الأخيرة تنافسًا شديدًا بين الأفراد المقتدرين والجمعيات الخيرية، وسعيهم المستمر للقيام بأي عمل تطوعي من شأنه مساعدة أفراد المجتمع والفئات غير المقتدرة ماديًّا أو تلك التي تحتاج لمساندة معنوية.

لقد فتح الإسلام منابع عديدة لنفع الآخرين، فمنها ما هو واجب كالزكاة والكفارات والنذور، وهذه لا حديث عنها باعتبارها واجبًا لازمًا على المسلم. ومن المنابع ما هو ذو طابع تطوعي بحْت، مثل الصدقات التطوعية والوقف؛ فالمسلم حين يتنازل عن ماله طواعية فهو يتمثل الرحمة المهداة في الإسلام للبشر أجمع، ويتحرر به من ضيق الفردية والأنانية متجاوزًا الأنا إلى الكلِّ شاملًا المجتمع بخيرية الفرد وبانيًا الجسد الواحد بكرم العضو.

مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة الدراسة في معرفة مدى مساهمة التمويل الاجتماعي الإسلامي في رفع المستوى المعيشي للشرائح الضعيفة في المجتمع.

أهمية الدراسة

لم تأخذ منظومةُ العمل الخيري حقَّها ـ إلى الآن ـ من الاجتهاد في تبيانِ وظائفها الاجتماعية والاقتصادية، وما كان لها من إسهام في تشييد نهضة المجتمعات الإسلامية في التاريخ الحديث.

وهذا القصور لا يزال قائمًا، رغم مضي أكثر من نصف قرن من الاجتهادات النظرية والجهود التطبيقية الرامية لتأصيل نظرية عامة للتمويل الاجتماعي الإسلامي في كثير من مجتمعات العالم المعاصر، ورغم اشتداد حاجة الحكومات والمجتمعات معًا لإسهام هذا القطاع الخيري في سياق سياسات الإصلاح الاقتصادي.

ونظرًا لما تمر به الأمة من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي يشهدها العالم، ظهرت احتياجات ومشكلات جديدة يمر بها الفرد والمجتمع لم تكن موجودة من قبل، ويصعب على القطاع الحكومي وحده الوفاءُ بهذه الاحتياجات، ومواجهةُ تلك المشكلات، بما يشير إلى وجود الحاجة إلى زرع ثقافة العمل التطوعي في كافة أطياف المجتمع، وخاصة الشباب، لاستكمال الدور الحكومي في الوفاء باحتياجات المجتمع. وقد أثبتت العديد من الدراسات أن ثمة مشكلاتٍ تعاني منها الكثير من المؤسسات الخيرية في مجتمعاتنا، وتتمثل في ضعف المشاركة بأي لون من ألوان المشاركة التطوعية، والنقد السلبي لأي عمل خير، والهروب من المشاركة في العمل التطوعي، وبثّ الشائعات والشكوك ضد الأعمال التطوعية والقائمين عليها، ومشاركة الهدم لأي عمل تطوعي بدلًا من المشاركة في البناء.

وتأسيسًا على ما سبق تبرُز أهمية الدراسة الحالية في بيان دور النهوض بثقافة التطوع بوصفه آليةً لتعزيز العمل الخيري الإسلامي، ووضع آليات يمكن أن تُسهم في تعزيز أو رفع وعي المجتمع بأهمية المشاركة في العمل التطوعي.

أهداف الدراسة

بيانُ تكامل مكونات منظومة العمل الخيري وتساندها فيما بينها، وبيان فلسفتها العامة.

بيانُ آليات تفاعل تلك المنظومة وتكاملها مع بقية مكونات النظام الاقتصادي العام.

بيان مفهوم العمل التطوعي وسبل تفعيله في المجتمع.

تعزيز العمل التطوعي للقيم الاجتماعية بين أفراد المجتمع

وضع آليات يمكن أن تسهم في تعزيز وترسيخ ثقافة العمل التطوعي.

منهج الدراسة

المنهج الوصفي التحليلي.

وبناء على طبيعة الموضوع فقد تم تقسيم البحث إلى مبحثين وخاتمة (مشروع قرارات وتوصيات).

المبحث الأول: دور التمويل الاجتماعيّ الإسلاميّ وآلياته في دعم العمل الإنسانيّ

وتندرج تحت هذا المبحث خمسة محاور:

المحور الأول: تحديد المراد بالتمويل الاجتماعيّ الإسلاميّ وآلياته.

المحور الثاني: تحديد المراد بالعمل الاجتماعي الإنساني ومكانته في الإسلام.

المحور الثالث: بيان الحاجة إلى دعم العمل الاجتماعي الإنساني وخاصّة في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث والأوبئة في العالم دون النظر إلى دين أو مذهب.

المحور الرابع: إبراز دور المنظمات والهيئات العاملة في مجال العمل الاجتماعي الإنساني، وتقوية جهودها ودعهما ماديًّا ومعنويًّا.

المحور الخامس: توظيف آليات التمويل الاجتماعي من زكاة وصدقات وهبات ووصايا وأوقاف وغيرها في دعم العمل الإنساني وبخاصة مساعدة الأرامل والأيتام في مناطق الصراعات والنزاعات.

المبحث الثاني: دور النهوض بثقافة التطوع بوصفه آلية لتعزيز العمل الإسلامي المشترك

وتندرج تحت هذا المبحث ثلاثة محاور:

المحور الأول: بيان أهمية الأعمال التطوعية ودورها الفعال في استقرار المجتمعات وتضامنها.

المحور الثاني: تعزيز العمل التطوعي للقيم الاجتماعية وللتكافل الاجتماعي والتلاحم والتآزر بين أفراد المجتمع وحله لكثير من المشكلات والأزمات المجتمعية والاقتصادية وغيرها.

المحور الثالث: اقتراحات لتعزيز وترسيخ ثقافة العمل التطوعي في نفوس الناشئة والشباب من خلال المناهج الدراسية ووسائل الإعلام.

الخاتمة: مشروع قرارات وتوصيات للموضوع.

المبحث الأول
دور التمويل الاجتماعي الإسلامي، وآلياته في دعم العمل الإنساني

المحور الأوّل : تحديد المراد بالتمويل الاجتماعيّ الإسلاميّ وآلياته

بالرجوع إلى المعاجم اللغوية لتحديد ماهية (التمويل) سنرى بأن الكلمة في دلالتها اللغوية اشتقت من: مالَ مَوْلًا، ومُؤولًا: كثُر ماله.

ومالَ فلانًا: أعطاه المال، وموّله تمويلًا: قدَّم له ما يحتاج من مال، يقال: موّل فلانًا، وموّل العمل، والمُموِّل: من يُنفِق على عمل ما(١).

المالُ: ما ملكْتَه من كلّ شيء، وجمعه أموال.

فالتمويل هو: عملية الحصول على مبلغ من المال من جهات متعددة من البنوك والمؤسسات المالية والشركات وغيرها(٢).

وكلمة (الاجتماعي) مشتقّة من الجَمْع، والجَمْعُ اسمٌ لجماعة الناس، والاجتماعيّ أي: مرتبط بالحياة الاجتماعيّة، ورجل اجتماعيّ أي: مزاول للحياة الاجتماعية(٣).

وأمّا (الإسلامي): فهو من أسلَم، يقال: أسلَم يُسلم، والإسلام هو الاستسلام الذي يعني الانقياد والإذعان(٤).

وعلى كلٍّ فيمكن القول بأنّ الدلالة اللغوية لماهية هذه المصطلحات المقصودة لا تعدو كونها: إعطاء المال لأبعاد اجتماعية وَفق أحكام الشريعة الإسلامية(٥).

وأمّا عن الدلالة الاصطلاحية للتمويل الاجتماعي الإسلامي: فإنّ سدنة أهل الفنّ لم يدخروا جهدًا في الإسهام بتحديده، ويمكن ذكر بعض هذه التعريفات:

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص٩٢٢.

(٢) ينظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ص١٠٥٩.

(٣) ينظر: المعجم الوسيط، ص١٣٤ـ ١٣٥.

(٤) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج ٢٤، ص٢٠٧٧ـ ٢٠٨٤.

(٥) ينظر: التمويل الاجتماعيّ الإسلاميّ والتمكين الاقتصادي، بإعداد الدكتور أشرف محمد دوابة، ص٩.

عُرِّف بأنه: مجموع الأعمال والتصرفات الشرعية التي تمدّنا بوسائل الدفع في أي وقت تكون هناك حاجة إليه، ويمكن أن يكون هذا التمويل قصير الأجل أو متوسط الأجل أو طويل الأجل[١].

وهناك من عرَّفه بأنه الحصول على مصادر الأموال، وتوظيفها، واستخدامها بقصد الاسترباح وَفق الشريعة الإسلامية[٢].

ويُلاحظ من هذين التعريفَين أنَّ البعد الاجتماعيّ غائب منهما إذ ركِّزا على البعد الماديّ المشروع، دِينًا وقانونًا.

وعرَّفه باحث آخر بأنه: تمويل نقديّ أو عينيّ يتمّ تقديمه للأفراد والمنشآت لأغراض اجتماعية وبصيغ وضوابط تتّفق مع الأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية[٣].

إذن يمكن القول بأن التمويل الاجتماعي الإسلامي هو: إدارة المال لأغراض اجتماعية وَفق أحكام الشريعة الإسلامية بما يُسهم في التمكين الاقتصادي وتنمية الكون وعمارة الكون.

وهذا التمويل قد يكون اجتماعيًّا بحتًا دون رِبْح من خلال التمويل بالقرض الحسن، والزكاة[٤]، والصدقات، والوقف، أو اجتماعيًّا مع الرِّبح، لكنّه رِبْح متواضع لضمان استدامة التمويل، من خلال التمويل بالمعاوضات، والتمويل بالمشاركات بما يحقق المسؤولية الاجتماعية.

خصائص التمويل الاجتماعي الإسلامي أنه:

جهد إنساني يُبذل لخدمة المجتمع كما أنّ هناك تضحيةً بالوقت والمال.

يتم بناءً على دوافع عقدية ورغبة ذاتية من المموِّل للمشاركة في تحمُّل المسؤوليات الاجتماعية في إطار المجتمع.

يهدف إلى تحقيق غايات وأهداف اجتماعية اعتمدها المجتمع في تشريعاته ونُظُمه ولوائحه وسياقاته.

يساعد على التعرف على الفجوات الموجودة في نظام الخِدْمات الاجتماعية للمجتمع.

---

(١) ينظر: التمويل الإسلامي المشروعات المصغرة، إعداد محمد عبد الحميد محمد قرحان، ص٣٠.

(٢) ينظر: التمويل الإسلامي المشروعات المصغرة، إعداد محمد عبد الحميد محمد قرحان، ص٣٠.

(٣) واقع التمويل الأصغر الإسلامي وآفاق تطويره في فلسطين، ص٢.

(٤) وتبلغ المساهمات السنوية في إطار الزكاة حوالي ٣٠٠ مليار دولار أمريكي.
ينظر الموقع - https://www. isdb. org/ar/news/altmwyl - alajtmay - alaslamy - ldm - jhwd - altafy - 19 - kwfyd - jayht - bd - albna - waadt.

يوفر خِدْمات قد يصعب على الإدارات والأجهزة الحكومية تقديمها.

وسيلة مهمة للدلالة على حيوية أفراد المجتمع، وإيجابيَّتِهم، وحماسهم، وسرعة استجابتهم للأحداث والمواقف، وإبراز صورة المجتمع الإيجابية، وفرصةٌ لهم لتأدية خِدْمات تقلل من حجم المشكلات الاجتماعية في المجتمع.

وبما أنّ التمويل الاجتماعي الإسلامي يعدّ من الوسائل الناجعة للإسهام في تحقيق التمكين الاقتصادي، والخروج من ذلّ الفقر المدقع والتبعية، وحتى تستند جميعها إلى قيم الإيمان والشمولية لتعزيز الثقة المجتمعية، والتعاون والتضامن في مكافحة الفقر والجوع، بما يتماشى مع أهداف التنمية المستدامة.

يمكن تقسيم آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي بصفة عامة إلى قسمين:

الأدوات الإسلامية التقليدية: وهي التي تنبني على العمل الخيري والتعاوني مثل: الزكاة والوقف، والصدقات، والوصايا، والقروض والكفالة.

الأدوات المبتكرة الحديثة: وهي الأدوات المبتكرة والتي تهدف إلى حل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية مثل التمويل المصغر[١] والأسهم[٢].

معايير وأبعاد التمويل الاجتماعي الإسلامي:

الثقة.

الأخلاق.

العمل الجماعي.

سبل تنمية التمويل الاجتماعي الإسلامي:

وضع معايير عمل محددة.

---

(١) تقديم قروض صغيرة للعائلات الفقيرة التي لا تتمكن من الحصول على هذه القروض من القطاع المصرفي، لمساعداتهم في الانخراط بنشاطات منتجة لتنمية مشاريعهم المتناهية الصغر.
وهو من الأدوات الفعالة التي تساعد في مساعدة الفئات الفقيرة على تحسين دخلها، ومستوى معيشتها، كما يعتبر من أكثر القطاعات قدرة على خلق فرص العمل وبتكلفة استثمارية متدنية للتخفيف من البطالة ومحاربة الفقر.
ينظر: https://devchampions. org/ar/publications/white_papers/microfinance_in_yemen/

(٢) وهي سندات تضمن لحاملها حصة محددة في أصول شركة ما ومداخيلها، ويجوز بحسب الشريعة الإسلامية الاستثمار في الأسهم المتوافقة مع أحكامها. ينظر: https://www. bayut. com/mybayut/ar

تحديد أدوار عمل فردية أو جماعية واضحة.

توضيح المسؤوليات الوظيفية.

العمل على المحافظة على عَلاقات بينية مستقرة.

المحور الثاني : تحديد المراد بالعمل الاجتماعي الإنساني ومكانته في الإسلام

في ظلّ تعقّد الحياة بكلّ جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والأمنية، بات العمل الاجتماعيّ الإنسانيّ نافذة مهمّة للإسهام في نهوض المجتمع من كبوته، وتعزيز بنيانه الاجتماعي ليكون قادرًا على مواجهة التحديات المُحدِقة به، والسير بخطًى واثقة وحثيثة نحو المستقبل، وقبل تسليط ضوء الكشف والبيان على مكانة العمل الاجتماعي الإنساني في الإسلام تجدر الإشارة إلى ماهية العمل الاجتماعي الإنساني انطلاقًا من المدلول اللغوي والاصطلاحي.

العمل: من عمِل، والعمَل: المهنة والفعل، والجمع أعمال، يقال: عمِل عَمَلًا[١].

والعمل في الإسلام هو: «كلّ جهد ماديّ أو معنويّ أو مؤلّف منهما معًا»[٢].

والعمل في مفهوم الشرع نوعان:

عمَلٌ نفعه قاصر على صاحبه، يدخل في هذا الإطار الصلاة، والصيام، واكتساب الحلال، ومحاسبة النفس، والتوبة.

عمل نفعه متعدٍّ للغير، كإمامة المصلين، وتعليم العلوم الشرعية والطبيعية، والإنفاق، وإعانة ذي الحاجة، وإغاثة الملهوف.

وأمّا الإنسان فهو: من الأُنْس الذي هو ضدّ التوّحش[٣].

يُعرَّف العمل الاجتماعي الإنساني انطلاقًا من الدلالة اللغوية بأنّه: ما يُقدّم من عملٍ نافع متعدٍّ لأفراد المجتمع، فجوهره قائم على نفع الآخرين وتحقيق مقصد التكافل وتأسيس العَلاقة التراحمية بين أبناء المجتمع[٤].

---

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج٣٢، ص٣١٠٧ـ٣١٠٨.

(٢) العمل الاجتماعي التطوعي تأصيل وتوصيف، الحسن ميادة محمد، ص٦.

(٣) ينظر: العمل الاجتماعي التطوعي، ص٧.

(٤) ينظر: أثر صيغ التمويل الإسلامي على الأداء المالي للمصارف التقليدية، سالم علي البريكي.

وعرّفه باحث آخر بأنه: «الأداء المُناط بكِيانات حكومية أو غير حكومية تهدُف إلى تقديم الرفاه الاجتماعي»[١].

وعند النظر في هذا التعريف نرى أنّه ركّز على بعدين أساسيّين:

أولهما: المؤسسية في العمل الاجتماعي، بحيث تتمّ إدارة العمل الاجتماعي الإنساني عبر كِيانات محكومة لنظم وقواعد ضابطة، تتحقق من خلالها سيادة اللوائح، ويبتعد بها العمل الاجتماعي الإنساني عن الفوضى والعشوائية.

وآخرهما: السعي إلى تحقيق الرفاه الاجتماعي، ويعني ذلك إيصال الخِدْمات إلى من يحتاج إليها في المجتمع، وبمعنى آخر: تقديم الخِدْمات الضرورية والحاجية والتكميلية لأفراد المجتمع سواء أكانت خِدْمات وقائية أم علاجية.

إذن فالعمل الاجتماعي الإنساني هو: نسَقٌ منظَّم من الخِدْمات والمؤسسات الاجتماعية، يرمي إلى مساعدة الأفراد والجماعات، للوصول إلى مستويات ملائمة للمعيشة والصحة، كما يهدُف إلى قيام عَلاقات اجتماعية سوية بين الأفراد، وتنمية قدراتهم، وتحسين الحياة الإنسانية بما يتفق وحاجاتِ المجتمع[٢].

مكانة العمل الاجتماعي الإنساني في الإسلام:

عند الرجوع إلى التراث الإسلامي نستشفّ منه أنّ الإسلام أعطى للعمل الاجتماعي الإنساني أهمية قصوى، حيث مجَّده ورفع قيمته، ورغَّب المسلمين في الانخراط في الأعمال الاجتماعية الإنسانية، والأبعد من ذلك أنّه أعطى صفة الوجوب العيني للعمل الاجتماعي الإنساني تارة، والكِفائي تارة أخرى، وهناك آيات كثيرة وأحاديث متعددة تدعو إلى العمل الاجتماعي الإنساني بمفهومه الشامل كإطعام الفقير، وابن السبيل، ومواساة النزلاء والغرباء، وفعل الخيرات، وعمل الصالحات، وعيادة المريض، ومواساة الأرامل والأيتام، ومن ذلك:

أنّ القرآن الكريم سعى إلى غرس روح العمل الاجتماعي الإنساني في قلوب الناس بأساليب كثيرة، فنراه يسرد لنا القصص الواقعية التطبيقية للعمل الاجتماعي الإنساني في تاريخ الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ومن هذه القصص قصة نبي الله موسى عليه السلام الذي سخّر جهده البدني ليقدم عملًا إنسانيًّا

(١) ينظر: أثر صيغ التمويل الإسلامي على الأداء المالي للمصارف التقليدية، سالم علي البريكي، ص٧.
(٢) ينظر: العمل الاجتماعي في الإسلام، دكتور عبد القادر الشايط، ص١٩.

للمرأتين اللتين كانتا تنتظران حتّى تسقيا الغنم، فسقى لهما دون أن تسألاه، يقول الباري: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾ [القصص: ٢٣]. هذه الآيات تشير إلى أنّهما كانتا ضعيفتين، وهما بحاجة إلى من يتكفّل بأمرهما، ويسقي لهما، وفي هذه الآيات إشارة لمّاعة إلى ضرورة بذل الجهد لإغاثة الملهوفين ونصرة المستضعفين.

ونظرًا لكون الإنفاق العمودَ الفِقَريَّ لكثير من الأعمال الاجتماعية الإنسانية، فقد سلك القرآن الكريم مسالك عديدةً للدعوة إليه، فنراه تارة يرهّب الإنسان من ماله، ويبيّن له أنّه إن لم يُنفق سيندم يوم لا ينفع فيه الندم: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠]. وقد فُسِّر أنّ ﴿وَأَنفِقُواْ﴾ معنى زكاة المال أو صدقة التطوع ومعونة المضطر. ولأهميّة الإنفاق في تنشيط العمل الاجتماعي الإنساني يربطه القرآن الكريم بالعبادات العظيمة والأمور المهمة في الإسلام، فنراه يقرِنه بالتقوى والسمع والطاعة قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦]، كما قرَنه بقيام الليل في قوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]. وهناك أمثلة كثيرة وصور متعددة من العمل الاجتماعي الإنساني ساقها الإسلام وبيّن فضله ومكانته، لحثّ الناس على الروح التكافلية التي تحقق التضامن والتعاون بين الأفراد، لا نستطيع سردها فردًا فردًا.

يقول النبي عليه الصلاة والسلام: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا...»[١]، وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى.

ويقول ﷺ أيضًا: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله...»[٢].

المحور الثالث : بيان الحاجة إلى دعم العمل الاجتماعي الإنساني، وخاصّة في مناطقة الصراعات والنزاعات والكوارث والأوبئة في العالم دون النظر إلى دين أو مذهب

على الرغم من الوثبة العلمية والتكنولوجيا المذهلة التي حققتها الحضارة المادية في هذا العصر، فإنها عجَزت عن تحقيق الرفاهية الاجتماعية؛ إذ إنّ الحياة الاجتماعية في الوقت الراهن تزداد تعقيدًا وصعوبة بسبب انتشار الأمراض والأوبئة الاجتماعية، ونشوب الحروب الداخلية والخارجية، التي تنطوي على

(١) صحيح البخاري، ج ٧، ص٥٣.

(٢) صحيح مسلم، ج ٤، ص٢٢٨٦. وفي صحيح البخاري، ص٦٢.

مخاطر كثيرة كالقتل والتدمير والتهجير وتدمير البُنى التحتية، وتلك الحروب تُلقي ظلالها على المجتمع بشكل عام، وعلى الأسرة بشكل خاص، وتجعل التواصل بينهم مقطوعًا إلا بالصراخ عبر الأسلاك الشائك وحقول الألغام، أضف إلى ذلك الأوبئة المزمنة التي تنتشر والتي تعتبر إفرازًا طبيعيًّا لهذه الحروب.

ففي خضمّ هذه الحالات الموبوءة والمضطربة على الصعيد الاجتماعي والأمني والاقتصادي، تأتي الحاجة ماسّةً إلى مساعدة المنكوبين، ولعلّ العمل الاجتماعي الإنساني هو الإطار الفعّال للنهوض بأعباء المهام لمسح دموع المنكوبين في المجتمع، وهو المؤشر على نشر الجانب الاجتماعي في المجتمع، علاوة على تعميق روح التكافل بين الناس، الأمر الذي يجعل دعم العمل الاجتماعي الإنساني ضروريًّا، وخاصة مع تصاعد مشكلات الحياة وتأزّم الظروف المعيشية والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والأمنية.

وهذا العمل الاجتماعي الإنساني عمل بشري يتّجه قبل كلّ شيء إلى أفراد المجتمع، بغضّ النظر عن انتماءاتهم الدينية والعِرْقية والمذهبية، فهو لا يرتبط بعقيدة معيّنة أو ديانة خاصة، بل هو لفئات المجتمع، وخاصة في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث.

وعلى الجملة، فالعمل الاجتماعي الإنساني عمل خيري إحساني، نفعه عام موجّه إلى كل محتاج سواء أكان مسلمًا أم غير مسلم، قريبًا كان أو غير قريب، تربطنا به مصلحة أو لا تربطنا به مصلحة؛ لأنّ الإنسان مكرّم من حيث هو إنسان كما كرّمه الإسلام[١].

منطلقات دعم العمل الاجتماعي الإنساني:

بناء المجتمع: يقوي العمل الاجتماعي الترابط المجتمعي من خلال توسيع الشبكة الاجتماعية، ومن خلال التواصل مع الأشخاص، وتطوير العَلاقات من خلال تكوين الصداقات.

رفع مستوى التنشئة الاجتماعية: حيث يساهم العمل الاجتماعي الإنساني بدوره على تحسين وظائف المخ، ويقلل خطر الإصابة بالقلق والاكتئاب، كما يحسن نظام المناعة والصحة الجسدية، وجدير بالذكر أن آثار العمل الاجتماعي تستمر على المدى الطويل.

بناء الروابط الاجتماعية: يساهم بالحصول على عَلاقات قوية وعميقة، فهو يبني روابط أقوى وأفضل بين الزملاء والأصدقاء.

العمل على تحقيق أهداف مستقبلية مشتركة: يربط العمل الاجتماعي الإنساني الأشخاص في أهداف مشتركة للحياة المستدامة، والرفاهية، والطعام الصحي، مما يساهم في بناء مجتمع يحمل قيما وأهدافا مشتركة.

---

(١) ينظر: العمل الإسلامي التطوعي، ص٤٥ـ٤٦.

بناء العَلاقات بين الموظفين في مجال العمل الاجتماعي الإنساني من خلال بناء العَلاقات وتعزيزها بين الموظفين، بحيث يصنع بيئة تركز على العمل الجماعي.

بناء المهارات وصقلها: يساعد التطوع في بيئة العمل على تزويد الموظفين بخبرات مكتسبة ومهارات متطورة تخص بيئة العمل.

نقص فعالية الموظفين: يمكن لبرامج العمل الاجتماعي في المؤسسة أن تزيد من المشاركة في فعالية الموظفين ونشاطهم في بيئة العمل، مما يمنحهم الإحساس في أعمالهم نحو الهدف للمؤسسة[1].

المحور الرابع: إبراز دور المنظمات والهيئات العاملة مجال العمل الاجتماعي الإنساني، وتقوية جهودها ودعهما ماديًّا ومعنويًّا

مع تصاعد مشكلات الحياة، وتأزّم الظروف المعيشية والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والأمنية، ينتشر في عالمنا عديدٌ من المنظمات والهيئات العاملة مجال العمل الاجتماعي الإنساني، وخاصة في تلك المناطق التي تشهد صراعاتٍ وحروبًا، بُغية مساعدة المنكوبين، والسعي إلى تقليل حدّة الفقر، ووَخْزِ المجاعات، وتقديم مساعدات اجتماعية إنسانية وصحية وتعليمية، وتوزيع الإعانات على اللاجئين والفقراء وضحايا الحروب، كلُّ ذلك استجابة للظروف المحلية والإقليمية المحيطة بالمجتمع.

وجدير بالذكر أن المنظمات والهيئات العاملة في مجال العمل الاجتماعي الإنساني، تتحمل جزءًا كبيرًا من أعباء الدولة ومسؤولياتها الاجتماعية والثقافية والصحية والتعليمية في رعاية الأطفال والأسر، ومكافحة الفقر ورعاية المسنين والمتشردين، وضحايا الحروب.

أضف إلى ذلك رعايةَ الأيتام والأرامل وذوي الإعاقة والاحتياجات الخاصة، ممّا يبلور لنا أدوارها على الصعيد الاجتماعي والثقافي والصحي، فهي تشكّل مركزًا مهمًّا في تطوير أي مجتمع وتنميته، نظرًا لتقديمها أنواعًا كثيرة من الخِدْمات والنشاطات الاجتماعية والاقتصادية والصحية والتعليمية، وتتجلّى أدوار هذه المنظمات والهيئات فيما يلي:

الإسهام في مكافحة الفقر، وتقديم الخِدْمات الإنسانية والاجتماعية بين أفراد المجتمع، والإسهام في توزيع الدخل والثروة بين فئات المجتمع وزيادة الرفاهة الاجتماعية.

تبني أنظمة جديدة لمحاربة الفقر والرفع من المستوى المعيشي للمجتمع، وخاصة في مناطق الصراعات والحروب، وحماية بيئتهم من التلوّث، وتحسين العناية والرعاية والصحة مع تقديم المساعدات الصحية والتعليمة والرعاية الاجتماعية.

---

(١) ينظر: العمل الإسلامي التطوعي، ص٧٣ – ٧٧.

إنّ تعاظم دور المنظمات والهيئات العاملة في مجال العمل الإنساني، وازدياد نشاطها وحضورها على الصعيد العالمي يتطلّب دعمها ودعم جهودها ـ ماديًّا ومعنويًّا ـ لتحقيق أهدافها، وإيصال رسالتها إلى الإنسانية جمعاء.

المحور الخامس: توظيف آليات التمويل الاجتماعي من زكاة وصدقات وهبات ووصايا وأوقاف وغيرها في دعم العمل الإنساني وبخاصة مساعدة الأرامل والأيتام في مناطق الصراعات والنزاعات

في خِضمّ تفشي البطالة والفقر والكوارث الطبيعية وغير الطبيعية، ونشوب الحروب الداخلية والخارجية التي تنطوي على مخاطر كثيرة كالقتل والتدمير والتهجير ـ تأتي الحاجة ملّحةً لتوظيف آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي، كالزكاة والصدقات والهبات والوصايا والأوقاف، لدعم العمل الاجتماعي الإنساني في المجتمعات المتضررة ومساعدة الأرامل والأيتام، وخاصة في مناطق الصراعات والنزعات.

فمن المعروف أن منظومة توظيف آليات التمويل الاجتماعي ومؤسساتها قد أسهمت بنصيب معتبر في نهضة الأمة الإسلامية الحضارية؛ حيث تشمل هذه المنظومة فريضة الزكاة، والصدقات غير المفروضة كالوقف، والهبة، والوصية، والنذور، وكذلك الكفارات التي يؤديها بعض المذنبين في شكل إحسانات أو مساعدات مادية للفقراء وذوي الحاجة(١).

ويعتبر الركود الاقتصادي من أخطر المشكلات التي يعاني منها المجتمع، ويرى فقهاء الاقتصاد الإسلامي أن الزكاة هي الحل، لما من لها أثر واضح في توزيع الدخل والثروة، ومحاربة البطالة، كما أن لها تأثيرًا دائمًا نحو الحد من الركود الاقتصادي وتشغيل رأس المال واستثماره.

فالزكاة ـ مثلًا ـ تعمل على سرعة دوران رأس المال؛ إذ إنها تشجع صاحب المال على استثمار أمواله حتى يتحقق فائض يؤدي منه الزكاة، وبذلك فقد استفاد صاحب المال من استثماره بالربح، وأفاد المجتمع بأداء حق المستحقين بالزكاة.

لذا فآليات التمويل الاجتماعي الإسلامي تعد وسيلة فعالة من وسائل إعادة توزيع الثروة بين أفراد المجتمع على أساس عادل(٢)، فلطالما نادى علماء الاقتصاد وفقهائه بضرورة أن يقوم الاقتصاد على الأخلاق الفاضلة، فهي تُؤخذ من الغني وتُعطى للفقير كما قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩].

(١) ينظر: الزكاة: الضمان الاجتماعي الإسلامي، عثمان حسين عبد الله، ص٦٤ - ٧٠.

(٢) ينظر: أحكام الزكاة على ضوء المذاهب الأربعة، عبد الله ناصح علوان، ص١١ - ١٨.

ومما لا شك فيه أن لهذه الآليات أثرًا مهمًّا في علاج الانكماش الاقتصادي؛ حيث يتكرر دفع بعضها سنويًّا، وبعضها غير محدد الزمن لمن يستحقها، فالإسلام قد حرص على عمل الفرد إلى جانب تسديد حاجته ليسر له الحياة الكريمة، ويجعله في وضع معيشي أفضل.

فمنع توظيف هذه الآليات يؤدي إلى خلق مشكلات اقتصادية واجتماعية في المجتمع مثل السرقة والتسول وارتفاع معدل الجريمة.

فإلى جانب أنها تسُد حاجة الفقراء والمساكين والمحتاجين، وتقوي روابط التكافل والتراحم بين المسلمين، فهي كذلك تساهم في تحريك عجلة الحياة الاقتصادية؛ لأنها تساهم في تحريك الأموال وانتقالها بين الناس، وتساهم في زيادة الطلب على المنتجات، وهذا ما يشكل عاملًا مهمًّا في سرعة تصريف هذه المنتجات الصناعية الاستهلاكية، وتحريك الأسواق ومعالجة الركود الاقتصادي، وزيادة الاستثمار في الاقتصاد بدلًا من تراكم الثروات بأيدي فئة قليلة من الأفراد، وهذا ما سوف يحقق عدالة اجتماعية، ويساعد على تدني الجريمة والمشاكل الاجتماعية؛ لأن أكثر هذه المشاكل بسبب الفقر والحاجة، كما أن لها دورًا فعالًا في محاربة البطالة.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن توظيف هذه الآليات هو إعلان حرب على الاكتناز، وحبس الأموال والركود الاقتصادي، ومساهمة في إرساء العدل في المجتمع وتقليل الفوارق بين الطبقات الغنية والفقيرة.

وهي تُعدّ من أفضل الطرق التي تحول المجتمع إلى مجتمع منتج اقتصاديًّا، وخالٍ من البطالة والفقر. ولذلك فإنها إذا استُخدمت بهذه الطريقة فسوف تكون أداة فاعلة في توزيع الثروات والدخل على جميع طبقات المجتمع.

ورغم تنوع الصيغ التي تحتويها هذه المنظومة، ورغم اختلاف مقاصد كل صيغةٍ منها، فإنها تتحدُ في كونها تعبر في جملتها عن عمق الارتباط بين النزعة المادية والنزعة الروحية والأخلاقية في السلوك الاقتصادي المرتكز على مرجعية إسلامية، كما تعبر عن التأثير المتبادل بين ما هو مادي، وما هو معنوي وروحي وأخلاقي في بنية التنظيم الاقتصادي بمستوييه، الكلي العام، والجزئي الخاص.

وآليات التمويل الإسلامي الاجتماعي من أنجع الوسائل وأفضلها وأهمّها لدعم العمل الاجتماعي الإنساني، شُرِعت لمقاصد كثيرة، وغايات نبيلة، تعبدية، واجتماعية، واقتصادية؛ إذ إنها تعتبر من الموارد المالية في النظام المالي الإسلامي، يُتوخى منها تلبية حاجات المجتمع، والقضاء على مشكلاته أو الحدّ من حدّته، فتوظيفها في مساعدة الأرامل والأيتام والقضاء على مشكلاتهم الاجتماعية والاقتصادية ـ

ضروري، والإسلام لم يترك المصابين والمنكوبين بسبب الكوارث الطبيعية والحروب وغيرها تحت رحمة تبرّعات قد تصل إليهم من الخيِّرين، بل دعا إلى مساعدتهم من خلال توظيف بيت مال المسلمين، وفي مال الزكاة بالذات[١]، إضافة إلى بقية آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي، كالوقف الإسلامي الذي رسَم لنا لوحاتٍ تكافليةً زاخرة في التاريخ الإسلامي، من خلال مؤسساته التنموية التكافلية التي تطرّقت إلى جميع أوجه الحياة الاجتماعية مجسدة أسمى الأخلاق الإسلامية من خلال نشر روح الأخوة الإنسانية، والمحبة، والتعاون، والتكافل بين الجميع؛ تحقيقًا لمستوًى معيشي أفضل للفئات الفقيرة والمنكوبة في المجتمعات.

ويمكن توظيف آليات التمويل الاجتماعي في دعم العمل الإنساني في مناطق الصراعات والنزاعات من خلال المجالات الآتية:

أولًا: رعاية الأيتام:

نجد الحرص الكبير من المسلمين على رعاية الأيتام وتربيتهم من خلال الأوقاف بحثًا عن الأجر والمثوبة، وطلبًا لمرافقة نبيهم محمد عليه الصلاة والسلام في الجنة، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرَّج بينهما شيئًا»[٢].

وعند البحث والتنقيب سنرى أن من أشهر هذه الآليات الوقفَ، ومن ذلك ما نُقِل في مآثر صلاح الدين الأيوبي رحمه الله أنه أمر بعمارة مكاتِبَ ألزمها معلِّمين لكتاب الله عز وجل، يُعلمون أبناء الفقراء والأيتام خاصة، ويُجري عليهم الجِراية الكافية لهم، ويُقصد بالجراية الكاملة مأكلُهم، وكُسوتُهم، وأدواتُ دراستهم.

ومن صورة رعاية الأيتام مكتبُ السبيل الذي أنشأه السلطان الظاهر بيبرس بجوار مدرسته، وقرَّر لمَن فيه من أيتام المسلمين الخبزَ في كل يوم، بالإضافة إلى الكُسوة في الشتاء والصيف، وكذلك أنشأ السلطان قلاوون مكتبًا لتعليم الأيتام، ورتَّب لكل طفل كُسوة في الشتاء وأخرى في الصيف.

ولقد استرعت ظاهرة كثرة المدارس التي تُعنى بالأيتام الرحالةَ ابن جبير، فقد عدَّها من أغرب ما يحدث به من مفاخر البلاد الشرقية من العالم الإسلامي[٣].

---

(١) فقه الزكاة: الدكتور يوسف القرضاوي، ج٢، ص٩٠٦ـ ٩٠٩..

(٢) رواه البخاري.

(٣) ينظر: الوقف الإسلامي وأثره في تنمية المجتمع، جمال برزنجي.

ثانيا: رعاية الغرباء والعجزة:

لقد أدت بعض هذه الآليات دورًا مهمًّا في تحقيق الرعاية الاجتماعية الشاملة للغرباء والعَجَزة بشكل عام، فما من مدرسة ينشئها الواقفون إلا ويُوضع بجوارها بيتٌ خاص للطلاب المغتربين ويُجرى عليهم فيها ما يحتاجونه من غذاء.

لذا لا عَجبَ أنْ نجد تلك الحركة البشرية المتواصلة بين المدن والقرى في العالم الإسلامي، طلبًا للعلم في المدارس الوقفية، فلا يُوجد ما يعُوق طلب العلم؛ فالطرق قد أُمِّنت بالأسكنة الوقفية، والمدارس قد تم تجهيزها بالغُرَف الخاصة بالغرباء، وقد تزايدت تلك الظاهرة بشكل لافتٍ للنظر، فقد أبدى ابن جبير إعجابه الشديد لما لمسه في بلاد المشرق الإسلامي من عناية بالغرباء، فقال: «إنّ الوافد من الأقطار النائية يجد مسكنًا يأوي إليه، ومدرِّسًا يعلمه الفن الذي يريد تعلُّمَه، واتسع عناية السلطان بالغرباء حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها، ونصَب لهم مارستانًا لعلاج من مرِض منهم، ولقد عيَّن لهم السلطان خُبزتَين لكل إنسان في كل يوم، وزكاة العيد لهم)[١].

وحسْبُك من هذا أن صلاح الدين قد خصَّص للغرباء من المغاربة جامع ابن طولون في مصر يسكنونه، وأجرى عليهم الأرزاق في كل شهر[٢].

كما تم إعداد أماكن الثغور للمجاهدين لصد هجمات الأعداء، فقد تحولت مع الوقت هي والحانات والتّكايا والزوايا إلى أماكنَ للمتفرغين للعبادة، فكان ينقطع فيها من يرغب التفرغ للعبادة، ويجري عليها الواقفون الجِرايات اليومية من غذاء وكساء.

وهذا النوع من الأوقاف ينتشر بشكل كبير جدًّا في مدن وقرى العالم الإسلامي، فمن يطلع على رحلة ابن بطوطة سيجد العجَبَ، فما مر على قرية أو مدينة في البلدان الإسلامية التي زارها في رحلته إلا ويذكر مثل هذه الأربطة والزوايا، بل كان من المستفيدين منها، وسكن في بعضها، ومع تطور الوقت تحولت بعض هذه الأربطة إلى ملاجئَ مستديمةٍ للذين يستحقون الرعاية، وخاصة أصحاب العاهات، وكبار السن، والعميان، والمطلقات. وهذا التحول أدى بها إلى تحقيق رسالة اجتماعية، ذلك أنها غدَتْ مأوًى للغرباء، والعَجَزة، وضعفاء المجتمع، وجميع هذه المنشآت وَجَدت في نظام الوقف أكبرَ رافدٍ مكَّنَها من مواصلة رسالتها[٣].

---

(١) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ابن بطوطة.

(٢) ينظر: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص٦٤ - ٧٠.

(٣) ينظر: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص١٢٠ - ١٤٧.

ثالثا: رعاية الفقراء والمُعدِمين:

لا شك أن الأوقاف باعتبارها صدقةً جارية قد قامت بدور كبير في مجال الرعاية الاجتماعية، والضمان الاجتماعي في المجتمع المسلم. فمن اللافت للنظر أنّ وثائق الأوقاف في غالبها تنُصّ على مساعدة الفقراء والمحتاجين، بل إن هذا يُعد ركنًا أساسيًّا في الوقف، إلا أن المساعدات تكون بأشكال وأنواع مختلفة، فمن ذلك توزيع المساعدات النقدية، وأحيانًا أخرى العينية. ومما يُذكر في هذا المجال أن السلطان الظاهر بيبرس أوقف وقفًا لشراء الخُبز، وتوزيعه على المُعدِمين، وتجاوز الأمر إلى رعاية أولئك الفقراء حتى بعد وفاتهم، ويكون ذلك بتحمُّل تكاليف تغسيلهم، وتكفينهم، ودفنهم، ومن أشهر هذه الأوقاف (وقف الطرحاء) الذي جعله الظاهر بيبرس برسم تغسيل فقراء المسلمين، وتكفينهم، ودفنهم.

ومن وجوه البر التي اهتم الواقفون بالصرف عليها من رِيع أوقافهم كُسوة العرايا والمُقلّين، وستر عورات الضعفاء والعاجزين، وإرضاع الأطفال عند فقد أمهاتهم، ووفاء دين المَدِينين، وفِكاك المسجونين المُعسِرين، وفك أسرى المسلمين العاجزين، وتجهيز مَن لم يؤدِّ الحج من الفقراء لقضاء فرضه، ومداواة المرضى غير المقتدرين.

كما كان هناك أوقاف خيرية تُنفَق على أسر السجناء وأولادهم؛ حيث يقدم لهم الغذاء والكساء، وكل ما يحتاجونه لحين خروج عائلهم من السجن، كما وجدت مؤسساتٌ وقفية لتجهيز البنات إلى أزواجهن ممن تضيق أيديهم أو أيدي أوليائهم عن نفقات تجهيزهن.

المبحث الثاني
دور النهوض بثقافة التطوع بوصفه آليةً لتعزيز العمل الإسلامي المشترك

المحور الأول : بيان أهمية الأعمال التطوعية ودورها الفعال في استقرار المجتمعات وتضامنها

إن العمل التطوعي يحقق التماسك والترابط والألفة والمحبة بين أفراد المجتمع، فللعمل مكانة عظيمة في الإسلام، والأمة الإسلامية إنما تعمل لبناء دينها، والحفاظ على قيمها، ولا تنتظر الأجر من أحد ما خلا خالقها قال الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨، ٩].

وهو شكل من أشكال الخدمة التي تقدم للإنسانية بدون مقابل، وتنتشر في الأماكن الفقيرة، والتي تحتاج إلى المساعدات، ومناطق الحروب والكوارث، فيقوم بالتطوع لتقديم الخِدْمات أصحابُ المال والنفوذ والقادرون على تقديم هذه الخِدْمات. ويختلف العمل التطوعي من تقديم مساعدات مالية أو مساعدات عينية كالتعليم والمكافحة الأمية، والخِدْمات الطبية، والخِدْمات العسكرية والأمنية، وذلك كله شرط أن يكون دون مقابل.

للعمل التطوعي أهمية كبيرة وجليلة تؤثر بشكل إيجابي في حياة الفرد والأسرة والمجتمع من خلال تحسين المستوى المعيشي والاقتصادي والاجتماعي، والحفاظ على القيم الإسلامية، وتحسين مبدأ التكافل الإسلامي واستثمار أوقات الفراغ بشكل أمثل، ويزيد من لُحمة التماسك الوطني، وهذا دور اجتماعي مهم يقوم به العمل التطوعي، إضافة إلى ذلك إبراز الصورة الإنسانية للمجتمع، وتدعيم التكافل بين الناس، وتأكيد اللَّمسة المجردة من الصراع والمنافسة.

كما ينظر إلى العمل التطوعي أنه قطاع رائد، والسبب يرجع إلى كونه جهازًا مستقلًّا، وصغير الحجم، والأمر الذي يساعده على تجريب أمور جديدة أو تغيير أو تحسين الأمور القائمة بدون أن تكون هناك أي عقبات أو صعوبات، الأمر الذي لا يتوافر في جهاز كبير وبيروقراطي كالجهاز الحكومي[1].

(١) ينظر: استراتيجية مقترحة لتفعيل العمل التطوعي بجامعة بني سويف كقيمة مضافة، ص١٥.

العمل التطوعي[١] في الإسلام:

إن ديننا الإسلامي يحث على العمل التطوعي، ويحمَد من يؤدي هذا الواجب الديني الذي يُحقِّق التآخيَ بين أفراد المجتمع، حتى يكون كما وصفه الرسول ﷺ بالبنيان والجسد، وفي الصحيح عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمّى»[٢].

لم يكن مصطلح العمل التطوعي معهودًا لدى علماء الأمة السابقين، وإن كان مضمون العمل التطوعي موجودًا في حقيقة ما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ، وهناك ألفاظ متقاربة للعمل التطوعي في الإسلام مثل التبرع، والتنفل، والصدقة، والبر، وفي عصرنا الحالي تستعمل مصطلحات عديدة للتعبير عن العمل التطوعي، مثل العمل الخيري، العمل الإنساني، العمل الإغاثي، القطاع غير الربحي[٣].

يقوم دين الإسلام على تعزيز التكافل الاجتماعي، وحثّ عليه في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة؛ حيث أظهر الإسلام أهمية العمل التطوعي من أجل القيام بحضارة إسلامية قوية الأساس، وقائمة على نشر الخير والمساواة بين أفراد المجتمع.

إنّ للعمل التطوعي إيجابياتٍ عديدة تعود بالنفع على الفرد والمجتمع على حدٍ سواء، نذكر منها:

نيل الرضا من الله عز وجل.

البحث عن الراحة النفسية التي تجلبها مساعدة الآخرين.

تعزيز التكاتف في المجتمع.

توطيد العَلاقات مع الآخرين.

اكتساب خبرات جديدة.

---

(١) تجدر الإشارة إلى شكلين أساسيين في العمل التطوعي، أولهما: العمل التطوعي الفردي: وهو عمل أو سلوك اجتماعي يمارسه الفرد من تلقاء نفسه، وبرغبة منه وإرادة، ولا يبغي منه أي مردود مادي، ويقوم على اعتبارات أخلاقية أو اجتماعية أو إنسانية أو دينية. في مجال محو الأمية – مثلًا – قد يقوم فرد بتعليم مجموعة من الأفراد القراءة والكتابة ممن يعرفهم، أو يتبرع بالمال لجمعية تعنى بتعليم الأميين.
آخرهما: العمل التطوعي المؤسسي: وهو أكثر تقدمًا من العمل التطوعي الفردي وأكثر تنظيمًا وأوسع تأثيرًا في المجتمع، في الوطن العربي تُوجد مؤسسات متعددة وجمعيات أهلية تساهم في أعمال تطوعية كبيرة لخدمة المجتمع.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب [رحمة الناس والبهائم] الحديث رقم، ٥٦٦٥.

(٣) ينظر: مجالات العمل التطوعي في السنة النبوية، محمد عبد الرزاق أسود، ص٢٦٩.

يسعى الدين الإسلامي إلى تعزيز التكافل المجتمعي بين كافة الأفراد، ويظهر ذلك جليًّا في العديد من المواضع في القرآن الكريم، نذكر منها:

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٢].

﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ﴾ [البقرة: ١٨٤].

﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧].

﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ۞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥].

أما بالنسبة للأحاديث النبوية الشريفة التي تحث على العمل التطوعي في الإسلام، فمنها:

«مثلُ المُؤمِنين فِي توادِّهِم وتراحُمِهِم وتعاطُفِهِم مثلُ الجسد إذا اشتكى مِنهُ عُضوٌ تداعى لهُ سائِرُ الجسدِ بِالسهرِ والحُمى».

«أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنفعُهُم لِلناس، وأحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ سُرُورٌ تُدخِلُهُ على مُسلِم أو تكشِفُ عنهُ كُربةً، أو تطرُدُ عنهُ جُوعًا، أو تقضِي عنهُ دينًا، ولأن أمشِي مع أخٍ لِي فِي حاجة أحبُّ إلي مِن أن أعتكِف فِي هذا المسجِدِ شهرًا».

«المسلمُ أخو المسلم، لا يظلِمُه، ولا يُسلِمُه، ومن كان فِي حاجةِ أخِيهِ كان اللهُ فِي حاجتِه، ومن فرج عن مُسلمٍ كُربةً فرج اللهُ عنهُ بها كُربةً مِن كُربِ يوم القيامة، ومن ستر مُسلمًا سترهُ اللهُ يوم القِيامةِ».

وقد ورد في الأثر أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يقول: «لأن أعُول أهل بيت من المسلمين شهرًا أو جمعة أو ما شاء الله أحب إليّ من حجّة، ولطبقٌ بدرهم أهديه إلى أخ لي في الله أحب إليّ من دينار أنفقه في سبيل الله».

كما أن الحسن البصري ـ رحمه الله ـ كان يقول: «لأن أقضي حاجة لأخ أحب إلى من أن أصلّي ألف ركعة، ولأن أقضي حاجة لأخ أحب إليّ من أن أعتكف شهرين».

وهذا الزمن مليء بالعمل الخيري التطوعي من أعمال خيرية، ومراكز تحفيظ القرآن الكريم، ورعاية للفقراء، والمساكين، وذوي الحاجة، مما يحقق التماسك والترابط والألفة بين أفراد المجتمع.

وبالنظر للحكم الشرعي للأعمال التطوعية، نجد أن العمل التطوعي مما يُثاب فاعله، ولا يُعاقب تاركه، فحكمه حكم المستحب من حيث إن المشرِّع يحبه ويؤثِره، ومندوب من حيث إن الله سبحانه وتعالى بين

ثوابه وندب العمل فيه ورغب، لكن إذا عظمت المصلحة، واشتدت الحاجة فإنّ المندوب والمستحب والفضيلة والنفل يُصبح إما فرضًا عينيًّا أو كِفائيًّا، ففي صورة الفرض العَيني يحقِّق العمل التطوعي الحدَّ الأدنى من عمل المسلم كالقيام بحقوق الأسرة ومتطلباتها، ومعلوم أنّ باب النفل في هذا القسم مفتوح؛ لأن الحد الأدنى للقيام بهذا القسم مداره على العُرف، أما في جانب الفرض الكِفائي ينقُل المسلم من إطار الأسرة إلى إطار المجتمع الواسع، ومن هنا يتبيّن أنّ تنافس أهل الإسلام على القيام بفروض الكفاية في المنافع المتعددة، صورة من صور العمل التطوعي مثل تغسيل الموتى، ودفنهم، والصلاة عليهم، والعناية باللقيط، وهكذا إذا ينتقل العمل التطوعي من مرحلة إلى أخرى حسب الحاجة والموقف[١].

ضوابط العمل التطوعي:

العمل التطوعي ينضبط بثلاثة ضوابط هي:

أن يكون العمل التطوعي خارجًا عن مسمى الفرض أو الواجب شرعًا.

أن يكون العمل التطوعي خالصًا لله تعالى.

أن يكون العمل التطوعي موافقًا للشريعة الإسلامية أصلًا وصفةً وهيئةً[٢].

أضف إلى ذلك العديد من الصفات العملية التي ينبغي للمتطوع التحلي بها، كالرغبة في العمل والمعرفة والتخطيط، والاستطاعة البدنية، والالتزام بالتعليمات والأنظمة، ومنح الأعمال التطوعية صفة الشخصية الاعتبارية[٣].

تظهر أهمية العمل التطوعي في التنمية الاجتماعية من خلال النقاط التالية:

الاستقرار الاجتماعي بين أفراد المجتمع، والقضاء على الطبقية بكل أشكالها، وخاصة بين الأغنياء والفقراء، والتخفيف من وقوع الجرائم في المجتمع.

الرعاية الاجتماعية بكافة صورها من خلال التطوع بأعمال الخير والإغاثة، ومساعدة المحتاجين.

يساهم العمل التطوعي على نشر التلاحم والتآزر بين أفراد المجتمع، والتواصل بينهم مما يؤدي إلى تمتين أواصر المحبة والإخاء[٤].

---

(١) ينظر: العمل التطوعي نظرة تأصيلية فقهية تاريخية، أحمد بن حسين المباركي، ص٦٢٧ - ٦٢٨، الأحكام الفقهية للأعمال التطوعية وتطبيقاتها المعاصرة، الشريف عمر بن نصير البركاتي، ص٤٩ - ٥٠.

(٢) ينظر: الأعمال التطوعية في الإسلام، إبراهيم البريكان، ص١٨٢.

(٣) ينظر: الأحكام الفقهية للأعمال التطوعية وتطبيقاتها المعاصرة، الشريف عمر بن نصير البركاتي، ص٨٢ - ٨٣، العمل التطوعي نظرة تأصيلية فقهية تاريخية، أحمد بن حسين المباركي، ص٦٤٩.

(٤) مجالات العمل التطوعية في السنة النبوية، محمد عبد الرزاق أسود، ص٢٧٩.

المحور الثاني : تعزيز العمل التطوعي للقيم الاجتماعية وللتكافل الاجتماعي والتلاحم والتآزر بين أفراد المجتمع وحله لكثير من المشكلات والأزمات المجتمعية والاقتصادية وغيرها

ويظهر ذلك في معالجة العمل التطوعي لمشكلة البطالة، وقد جاء ذلك في سنة النبي ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالت الأنصار للنبي ﷺ: «اقسِم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: لا، فقالوا: تكفوننا المَؤونة، ونُشرِككم في الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا»(١).

نقل الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ عن المهلب توضيحًا لهذا الحديث فقال: «إنما قال لهم النبي ﷺ لا؛ لأنه علم أن الفتوح ستفتح عليهم، فكره أن يخرج شيء من عقار الأنصار عنهم، فلما فهِم الأنصار ذلك جمعوا بين المصلحتين، امتثال ما أمرهم به، وتعجيل مواساة إخوانهم المهاجرين»(٢).

إن للعمل التطوعي بمفهومه العام عدّةَ صور منها: العمل الخيري، أو المشاركة في المبادرات المجتمعية، أو مساعدة الآخرين بخِدْمات بسيطة، ولكن تترك الأثر العميق في نفوسهم والعديد من الصور الأخرى.

وبغض النظر عن الطريقة التي يُعبِّر من خلالها الفرد عن رغبته في تقديم يد العون للآخرين، فإنّ للعمل التطوعي بكلّ صوره العديد من الفوائد التي تعود على الفرد والمجتمع بالنفع.

قد يجهل البعض هذا الأمر فيعتقدون أنه فقط مساهمات ومساعدات مجانية تقدّم للغير دون الحصول على أيّ شيء بالمقابل، لكن إن أمعنت في النظر في أهمية التطوّع فستجد أنه يحمل بين ثناياه العديد من الفوائد للأفراد المبادرين ومجتمعهم.

فمن أهم فوائد العمل التطوعي(٣):

تحقيق الذات: وذلك من خلال تقديم الشخص نفسه للمجتمع عن طريق المشاركة في الأعمال التطوعية والمبادرات المجتمعية، فالعمل التطوعي وسيلة تعطي للفرد فرصة للتعرف على شرائح المجتمع المختلفة والانخراط بالمجتمع، فيبني الشخص كِيانه ومكانته الاجتماعية في مجتمعه، ويثبت وجوده كشخص فاعل أثناء المشاركة في الأعمال التطوعية، بما يؤدي هذا إلى شعوره بالانتماء والمسؤولية إزاء مجتمعه، وأنه لا بد من إفادة مجتمعه حتى يترك أثره الإيجابي من خلال ما يقدمه له.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب [إذا قال: اكفني مؤونة النخل أو غيره، وتشركني في الثمر]، الحديث رقم، ٢٢٠٠.

(٢) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ٥/ ٨ – ٩.

(٣) ينظر: العمل التطوعي نظرة تأصيلية فقهية تاريخية، أحمد بن حسين المباركي، ص٦٥٥ – ٦٥٧.

فرصة للتخلي عن العادات السلبية: تعتبر الأعمال التطوعية بكافة أشكالها واحدة من أهمّ العادات الإيجابية التي قد يضيفها الفرد في حياته اليومية لإقلاعه عن العادات السلبية مثل التدخين. فالمشاركة في الأعمال التطوعية تزيد من فرصة الاستثمار الأمثل لوقت الشخص حيث يوفر للشخص المساحةَ التي يمكنه من خلالها تقديمَ خِدْماته للمجتمع، من خلال مشاركة الأشخاص الذين يجمعه بهم صفات مشتركة، فيقضي معهم جزءًا كبيرًا من يومه، فيقتدي الشخص بالعادات الجيدة للأفراد الذين يشاركونه العمل التطوعي، بما يعزز عنده الشعور بتغيير ذاته للأفضل والإقلاع عن عادته السلبية كالتدخين، أو إهدار الوقت في ألعاب الفيديو، أو غيرها من العادات غير الصحية.

وسيلة للإعمار وإسعاد الغير: إحدى الأسباب التي تجعل الشخص موفقًا في حياته هي تقديم المساعدة للأشخاص بلا مقابل؛ لذلك فإن العمل التطوعي وسيلة لكسب مرضاة الله عزّ وجلّ، لأن ذلك العمل يدخل ضمن الأعمال التي يتقرب بها الشخص إلى الله، من خلال إعمار مجتمعه، وبنائه، وتقديم يد العون والمساعدة للآخرين، حتى بأبسط الإمكانيات التي يمتلكها؛ فيترك ذلك أثرًا كبيرًا في نفوسهم عندما يُدخل عليها الفرحة، ويجبر خواطرهم، وينعكس ذلك على المتطوّع بالتوفيق والتيسير في حياته.

الشعور بالسعادة والرضا: أحد أسباب الشعور بالسعادة خلال اليوم هو إفادة الشخص لمحيطه بالمهارات التي يمتلكها، والتطوع هو أحد السبل للقيام بذلك.

إن كنت تبحثُ عن شعور دائم بالسعادة والرضا، فمساعدة الغير وتقديم العون لهم دون مقابل هو الحلّ لذلك. وهذا بالضبط ما يوفّره لك التطوع. ممّا سبق نجد أنّ العمل التطوعي يشكّل بيئة حاضنة تساعد الشخص على تطوير ذاته واكتساب خبرات جديدة تسهم في تحقيق أهدافه من ناحية، وترك أثره الإيجابي في المجتمع من ناحية أخرى. لذلك فعلى الفرد أن يكون على يقين بأنه سيحصد ثمار ما زرعه خلال مشاركته في العمل التطوعي والأعمال الخيرية، وأنّ تعبه لن يذهب أدراج الرياح.

مجالات العمل التطوعي:

مجالات العمل الخيري متعددة وواسعة، ويمكن حصرها في النقاط التالية:

أولًا: المجال الاجتماعي؛ السجون والإصلاح الاجتماعي، والإرشاد والنصح الاجتماعي.

ثانيًا: المجال الصحي؛ مثل: المستشفيات والمراكز الصحية.

ثالثا: المجال التربوي التعليمي؛ المدارس على اختلاف مراحل التعليم وبرامج محو الأمية، وإلقاء المحاضرات، والمشاركة في الندوات، لترسيخ القيم والمفاهيم الاجتماعية والمكتبات العامة.

رابعًا: المجال البيئي؛ الإرشاد البيئي، والعناية بالغابات ومكافحة التصحر، والعناية بالشواطئ والمنتزهات، ومكافحة التلوث.

تحديات العمل التطوعي:

يوجد بعض التحديات التي تفسد العمل التطوعي، وتعيق نجاحه، وتتمثل في بعض العناصر الهامة الآتية:

أولًا: التحدي الشخصي؛ ويتمثل ذلك في جهل بعض الأشخاص بفكرة العمل التطوعي، وكيفية القيام به، وجهلهم بأهميته للمجتمع وللأشخاص، على المستوى الشخصي والمستوى المجتمعي.

ثانيا: التحدي الاجتماعي؛ ويتمثل في جهل المجتمع بالأعمال التطوعية، واستغلال التطوع لتحقيق أهداف غير مشروعة، والاعتقادات الخاطئة السائدة بين البشر في نظرية وفكرة العمل التطوعي.

ثالثا: التحدي الاقتصادي؛ وهو عدم توفر الأموال اللازمة لإنجاز هذه الاعمال التطوعية، وعدم القدرة بذلك على دعم المؤسسات الخيرية والجمعيات التي تعمل على المشاركة المادية، مثل تقديم خِدْمات الاسكان، والمساعدات المادية في القيام بتجهيز الطرق، وتوصيل المياه للأماكن الفقيرة، وعلاج الحالات الحرجة بسفرها خارج البلاد إلى دول أخرى، قد تكون أكثر نفعًا في هذه الحالات.

رابعًا: التحدي التنظيمي؛ ويتمثل في إهمال المتطوعين، وعدم انتمائهم لمجموعات العمل التطوعي، ووجود أشخاص غير مؤهلين لهذا العمل في الجمعيات القائمة على العمل التطوعي[١].

آليات تعزيز قيمة العمل التطوعي في المجتمع:

يساعد العمل التطوعي في تحقيق الاستقرار والتماسك الاجتماعي للمجتمع من ناحية، كما يؤدي إلى تنمية المجتمع وتحديثه من ناحية ثانية، ولإنجاز ذلك توجد آليات عديدة يمكن أن تحقق ذلك نعرض فيما يلي لبعض منها:

نشر ثقافة التطوع.

تأسيس مؤسسات تنظيم العمل التطوعي.

تطوير الإطار التشريعي للعمل التطوعي.

مسح بيئي للبيئة الخارجية للتعرف على الاحتياجات الضرورية للمجتمع.

---

(١) ينظر: أحمد مخير، العمل التطوعي وأثره في التنمية الشاملة نقلًا من موقع: https://www. alukah. net/culture/0/42021

المحور الثالث : اقتراحات لتعزيز وترسيخ ثقافة العمل التطوعي في نفوس الناشئة والشباب من خلال المناهج الدراسية ووسائل الإعلام

أصبح العمل التطوعي ركيزة أساسية في بناء المجتمع ونشر التماسك الاجتماعي بين المواطنين لأي مجتمع، والعمل التطوعي ممارسة إنسانية ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بكل معاني الخير والعمل الصالح عند كل المجموعات البشرية منذ الأزل، ولكنه يختلف في حجمه وشكله واتجاهاته ودوافعه من مجتمع إلى آخر، ومن فترة زمنية إلى أخرى؛ فمن حيث الحجم يقِلّ في فترات الاستقرار والهدوء، ويزيد في أوقات الكوارث والنَّكْبات والحروب، ومن حيث الشكل فقد يكون جهدًا يدويًّا وعضليًّا أو مِهْنيًّا أو تبرعًا بالمال أو غير ذلك، ومن حيث الاتجاه فقد يكون تلقائيًّا أو موجهًا من قبل الدولة في أنشطة اجتماعية أو تعليمية أو تنموية، ومن حيث دوافعه فقد تكون دوافع نفسية أو اجتماعية أو سياسية.

وبما أن العمل التطوعي هو مجال خيري محض فينبغي أن يسعى فيه المرء لنيل ابتغاء ما عند الله سبحانه وتعالى؛ ولذا تحتاج الأمة إلى التعريف بهذا السلوك النبيل، وتسويقه بين الناس، وبخاصة عند الشباب، في عدة مجالات من خلال العملية التعليمية في البلد، وإدراج أهمية ذلك في المناهج الدراسية، ويمكن أن يتم ذلك من خلال:

الاهتمام بتنشئة الأبناء تنشئة اجتماعية سليمة، وذلك من خلال قيام وسائط التنشئة المختلفة، كالأسرة والمدرسة والإعلام بدور منسق ومتكامل الجوانب في غرس قيم التضحية والإيثار، ورُوح العمل الجماعي في نفوس الناشئة منذ مراحل الطفولة المبكرة.

الإدراج في البرامج الدراسية للمؤسسات التعليمية المختلفة بمفاهيم العمل الاجتماعي التطوعي وأهميته، ودوره التنموي ويقترن ذلك ببعض البرامج التطبيقية، بما يثبت هذه القيمة في نفوس الشباب، مثل حملات تنظيف محيط المدرسة، أو العناية بأشجار المدرسة، أو خدمة البيئة.

تخصيص مدة زمنية محددة أسبوعية أو شهرية لممارسة الأعمال التطوعية في المدارس، كغرس الأشجار التي رغَّبت بها الشريعة الإسلامية، وإماطة الأذى عن الطريق، وجلب المياه إلى الفصول الدراسية، وتنظيف ساحة المدرسة، وداخل الفصول الدراسية، وإعانة المحتاج، ونحو ذلك.

تدعيم جهود الباحثين لإجراء المزيد من الدراسات والبحوث العلمية حول العمل الاجتماعي التطوعي، بما يُسهم في تحسين واقع العمل الاجتماعي بشكل عام، والعمل التطوعي بشكل خاص.

السعي لدعم المؤسسات والهيئات التي تعمل في مجال العمل التطوعي ماديًّا ومعنويًّا بما يمكنها من تأدية رسالتها وزيادة خِدْماتها.

ضرورة إدراج ما يبرز أهمية الأعمال التطوعية وما يرجوه المسلم من جراء ذلك في المناهج الدراسية الأساسية؛ حتى يشب المتعلم وهو يحمل هَمَّ العمل التطوعي، ومن ثَم السعي والاجتهاد لتحويل ذلك سلوكًا وعملًا في المدرسة وخارجها.

إقامة دورات تدريبية للعاملين في هذه الهيئات والمؤسسات التطوعية، بما يؤدي إلى إكسابهم الخبرات والمهارات المناسبة، ويساعد على زيادة كفاءتهم في هذا النوع من العمل، وكذلك الاستفادة من تجارب الآخرين في هذا المجال.

تحفيز وتكريم المتعلمين المتميزين والمتحمسين للأنشطة التطوعية في المدرسة في الحفل الختامي السنوي للمدرسة أمام أولياء أمورهم وزملائهم بما يحفِزهم على هذا العمل بشكل منتظم وبصورة رائعة، ويشجع من عداهم للِّحاق بركبهم والانضمام بصفهم.

استخدام العمل التطوعي في المعالجة النفسية والصحية والسلوكية لبعض المتعاطين للمخدرات والمدمنين أو العاطلين أو المنحرفين اجتماعيًّا.

استخدام التكنولوجيا الحديثة لتنسيق العمل التطوعي بين الجهات الحكومية والأهلية، لتقديم الخِدْمات الاجتماعية، وإعطاء بيانات دقيقة عن حجم واتجاهات وحاجات العمل التطوعي الأهم للمجتمع.

أما فيما يتعلق بالجانب الإعلامي، فقد يتم ذلك في النقاط التالية:

مطالبة وسائل الإعلام المختلفة بدور أكثر تأثيرًا في تعريف أفراد المجتمع بماهية العمل التطوعي، ومدى حاجة المجتمع إليه، وتبصيرهم بأهميته ودوره في عملية التنمية، وكذلك إبراز دور العاملين في هذا المجال بطريقة تكسبهم الاحترام الذاتي واحترام الآخرين.

استضافة رواد الأعمال المتطوعين في البلد في برامج مخصصة للتعريف بأنشطتهم وأعمالهم ليكونوا قدوة ومثلًا يحتذى بهم من قبل الآخرين.

نقل بعض الأعمال التطوعية التي تمارسها الجهات التطوعية في الوسائل الإعلامية، ليكون ذلك بمثابة التشجيع للقائمين على تلك الأنشطة ويلحق بهم من خلفهم.

عقد لقاءات وندوات تعرف الناس بأهمية الأعمال التطوعية، ومجالاتها، وكيفية ممارستها في البرامج المرئية والمسموعة.

مشروع قرار وتوصيات للموضوع

أولًا: ضرورة التدريب والتأهيل من أجل إعداد متخصصين في مجال التمويل الاجتماعي الإسلامي لتسهيل عمليات الانخراط في العمل الإسلامي.

ثانيًا: السعي للعمل الجماعي لتكوين فريق مؤثر يهدف إلى تهيئة المناخ العام للتمويل الاجتماعي الإسلامي، من خلال تحديث القوانين التشريعية، بهدفِ سد الفجوات التنظيمية والتشريعية التي تواجه العمل الإنساني.

ثالثًا: ضرورة مواكبة مؤسسات العمل الاجتماعي الإسلامي لأنظمة التمويل الإسلامي وآلياته، عبر توفير الخبرات والكفاءات التي تتميز في العلم بفقه العمل الاجتماعي وبفقه الأموال، وتمتلك خبرة قانونية ومهنية مرتبطة بالمعاملات المالية المعاصرة.

رابعًا: الحث على زيادة الاهتمام بمراجعة اللوائح والتنظيمات التي تحدد صلاحيات كلٍّ من مجلس الإدارة والهيئات التي تسعى لتطبيق الحوكمة كهيئة الرقابة الشرعية والإدارات التنفيذية ومختلف اللجان الأخرى في مجال التمويل الاجتماعي الإسلامي.

خامسًا: ضرورة بذل مجهودات إعلامية وترويجية مكثفة، وعقد ندوات ومؤتمرات وبرامج تعليمية؛ لزيادة نشر الوعي بالتمويل الاجتماعي الإسلامي، وآلياته، وقدراته على التكيف والعمل في البيئات المختلفة.

سادسًا: مناشدة الدول الإسلامية الرائدة في التمويل الإسلامي أن تواصل جهودها الحثيثة لنشر ثقافة التمويل الاجتماعي الإسلامي إقليميًّا وعالميًّا، عن طريق نشر تجاربها الناجحة، ووضع خبراتها تحت تصرف الدول التي تبدي استعدادًا لتبني هذا النمط من التمويل.

سابعًا: تشجيع إدماج برامج التمويل الإسلامي المتخصصة في المعاهد والجامعات لضمان التكوين المتكامل، وإنشاء مراكز أبحاث متخصصة في هذا الفن لمتابعة المستجدات في الساحة.

ثامنًا: الاهتمام بجوهر الإسلام، وتفعيل منظومة القيم التي حثّ عليها الإسلام، والوصول إلى أوضاع مالية واقتصادية تلائم كل أطياف المجتمع بغض النظر عن انتماءاتها.

تاسعًا: ضرورة الاعتماد الذاتي في بناء التجارب التنموية التي تتحقق في ظل الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

عاشرًا: تنفيذ حملة إرشاد وتوعية تهدف إلى إبراز قيمة الصدقات وأجر الإنفاق في سبيل الله، وبخاصة ما كان منها صدقة جارية (الوقف) للإقبال على إحياء هذا النظام وجعله يؤدي دوره.

حادي عشر: استمرار عقد الندوات العلمية المتخصصة في الأوقاف وطرحها بشكل موسع، بحيث تكون المشاركات من دول العالم الإسلامي وعدم قصرها على المستوى المحلي.

ثاني عشر: إبراز دور الوقف الاجتماعي في النهضة الإسلامية، وطرحه عبر القنوات الإعلامية، مع التركيز على ضرورة التنوع في مصارف غلال الأوقاف، وَفق حاجات المجتمع التي تسد الثُّغرات الاجتماعية.

ثالث عشر: طباعة أبحاث الندوات التي أقيمت عن الوقف في كتب، وطرحها في الأسواق للبيع، وعدم الاقتصار على التوزيع المجاني لها.

رابع عشر: تحويل آليات التمويل الاجتماعي من مبادرات فردية إلى عمل مؤسسي منظم، من خلال إنشاء صناديق اقتصادية متخصصة مطلعة على المستجدات المالية في الساحة، مع العلم بأنه لا يمكن أن تنهض برسالتها إلا في ظل موارد مالية مناسبة ودائمة.

قائمة المصادر والمراجع

ـ **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**

ـ **صحيح البخاري**، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري الجُعفي (ت **٢٥٦**هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، ط، الخامسة، سنة النشر، **١٤١٤**هـ، تحقيق مصطفى ديب البغا.

ـ **صحيح مسلم**، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت **٢٦١**هـ)، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط، **١**، سنة النشر، **١٣٧٤**هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت **٨٥٢**هـ)، ط **١**، سنة النشر **١٣٧٩**هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت.

ـ **القاموس المحيط**، للفيروزآبادي، تحقيق مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العِرقسوسي، ط**١**، مؤسسة الرسالة، سنة: **١٩٩٨**م.

ـ **لسان العرب**، ابن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف.

ـ **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، ط**٤**، مكتبة الشروق الدولية، مصر، سنة: **٢٠٠٠**م.

ـ **التمويل الإسلامي المشروعات المصغرة**، إعداد محمد عبد الحميد محمد قرحان، الأكاديمية العربية للعلوم المالية المصرفية.

ـ **العمل الاجتماعي في الإسلام**، عبد القادر ط**١**، المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا، سنة: **٢٠٢٢**م.

ـ **فقه الزكاة**، يوسف القرضاوي، ج**٢**، ط**٢**، مؤسسة الرسالة، بيروت، **١٩٧٣**م.

ـ **الأعمال التطوعية في الإسلام**، إبراهيم بن محمد البريكان، بحث مقدم إلى اللقاء السنوي الرابع للجهات الخيرية بالمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية، عام **٢٠٠٥**م.

ـ **الزكاة: الضمان الاجتماعي الإسلامي**، عثمان حسين عبد الله، ط**١**، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة، **١٤٠٩**هـ/ **١٩٨٩**م.

ـ **أحكام الزكاة على ضوء المذاهب الأربعة**، عبد الله ناصح علوان، ط**١**، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، (د. ت).

الرسائل العلمية:

ـ **واقع التمويل الأصغر الإسلامي وآفاق تطويره في فلسطين**، رسالة ماجستير بإعداد محمد مصطفى غانم، الجامعة الإسلامية كلية التجارة قسم المحاسبة والتمويل، غزّة، سنة: **٢٠١٠**م.

ـ **الأحكام الفقهية للأعمال التطوعية وتطبيقاتها المعاصرة**، المؤلف عمر بن نصير البركاتي الشريف، بحث مقدم للمعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض لنيل درجة الماجستير، عام **١٤٢٦**هـ ـ **١٤٢٧**هـ.

الدوريات:

ـ **التمويل الاجتماعي الإسلامي والتمكين الاقتصادي**، بإعداد الدكتور أشرف محمد دوابة، مجلة إسرا الدولية الإسلامية، المجلد الثاني عشر، العدد الأوّل، سنة: **٢٠٢١**م.

ـ **مجالات العمل التطوعي في السنة النبوية**، للمؤلف محمد عبد الرزاق أسود، بحث منشور في حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية، السنة السابعة، العدد **(٢٥)**.

ـ **العمل التطوعي نظرة تأصيلية فقهية تاريخية**، المؤلف أحمد بن حسين بن أحمد المباركي، بحث منشور في مجلة مركز البحوث والدراسات الإسلامية، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، العدد (٣٥).
ـ **العمل الاجتماعي التطوعي تأصيل وتوصيف**، الحسن ميادة محمد، ص٦، مجلة البحوث والدراسات الشرعية مصر، العدد الخامس والعشرون، المجلد الثالث، سنة: ٢٠١٤م.

بحث فضيلة الدكتور مطلق جاسر مطلق الجاسر

الأستاذ المشارك في قسم الفقه المقارن

والعميد المساعد للشؤون الطلابية

كلية الشريعة بجامعة الكويت، دولة الكويت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مضلّ له، ومن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد،

فإن نعمة الإسلام من أعظم نعم الله تعالى على المسلم، ويجب على كل مسلم أن يحمد الله تعالى ليل نهار على هذه النعمة الكبرى والمنة العظمى؛ إذ جعله من أهل التوحيد الخالص، والدين الحق؛ فالإسلام هو الدين الذي رضِيَه الله تعالى لعباده، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، فالله تعالى قد رضِيَ لعباده هذا الدين الأغرَّ الخاتَم، وهو سبحانه لا يرضى لعباده إلا ما فيه الخير الكامل والصلاح الأتم لهم.

ومن كمال هذا الدين العظيم والشريعة السمحة شمولُها لجميع مناحي الحياة، كيف لا ولم يترك لنا النبي ﷺ خيرًا إلا ودلّنا عليه، ولا شرًّا إلا وحذّرنا منه، كما قال أبو ذر الغِفاري رضي الله عنه: لقد تركنا رسولُ الله ﷺ وما يتقلب في السماء طيرٌ إلا ذكرنا منه علمًا[1].

ومن ذلك الجانب الاقتصادي، ومن أخص خصائص الاقتصاد الإسلامي أنه نظام إلهيّ، أي أنّ أصول ومبادئ هذا النظام ليست مستمَدّة من نتاج عقول البشر، والتي مهما بلغت من كمال فهي قاصرة، وإنما هي مستمَدّة من خالق السماوات والأرض، وخالق البشر وعقولهم؛ فمصادر الاقتصاد الإسلامي هي مصادر التشريع في الإسلام، وهي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والإجماع، والقياس، ومقاصد الشريعة.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢١٢٥٨) وأبو داود الطيالسي في مسنده (١/ ٣٨٥) (٤٨١)، وقال الإمام الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني وزاد فقال النبي ﷺ: ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بين لكم، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله بن يزيد المقري وهو ثقة، وفي إسناد أحمد من لم يُسمَّ». مجمع الزوائد (٨/ ٢٦٧).

ومن خصائصه كذلك أنه اقتصاد أخلاقي، أي أنه يقوم على الحوافز الذاتية للفرد أولًا قبل التدخل الحكومي[١].

ومن خصائص الاقتصاد الإسلامي كذلك أنه اقتصاد عالمي لا يختص بالمسلمين وحدهم؛ فالقضايا المالية الأساسية لا تختص بالمسلمين، وهذا يفسّر حماس كثير من غير المسلمين للاقتصاد والتمويل الإسلامي[٢].

كل هذه الخصائص تؤكد عناية الشريعة الإسلامية بإغاثة الملهوفين، وإنقاذ المنكوبين، ودعم العمل الخيري الإنساني بشتى مجالاته.

وهذا العمل الخيري لن يُؤتيَ ثماره بشكل جيّد إذا لم يكن مستدامًا راسخًا، من خلال التمويل الاجتماعي وآلياته.

ومن هنا تأتي أهمية هذا الموضوع الذي نحن بصدده، وهو: دور آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي في دعم العمل الإنساني في مناطق الصراعات والكوارث ودور النهوض بثقافة التطوع لتعزيز العمل الإسلامي المشترك.

وينتظم هذا البحث في الخطة التالية:

المقدمة

المبحث الأول: دور التمويل الاجتماعي الإسلامي وآلياته في دعم العمل الإنساني:

وتحته ستة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم التمويل الاجتماعي الإسلامي وخصائصه.

المطلب الثاني: آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي.

المطلب الثالث: العمل الاجتماعي الإنساني ومكانته في الإسلام.

المطلب الرابع: الحاجة إلى دعم العمل الاجتماعي الإنساني وخاصة في مناطق الكوارث والأوبئة دون النظر إلى دين أو مذهب.

المطلب الخامس: دور المنظمات والهيئات العاملة في العمل الاجتماعي الإنساني، وأهمية دعمها.

---

(١) مدخل إلى أصول التمويل الإسلامي، د. سامي السويلم، (ص ٢٧).

(٢) مدخل إلى أصول التمويل الإسلامي، د. سامي السويلم، (ص ٢٨).

المطلب السادس: توظيف آليات التمويل الاجتماعي في دعم العمل الاجتماعي الإنساني في مناطق الكوارث والأوبئة.

المبحث الثاني: دور النهوض بثقافة التطوع بوصفه آلية لتعزيز العمل الإسلامي المشترك وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهمية الأعمال التطوعية ودورها الفعال في استقرار المجتمعات وتضامنها.

المطلب الثاني: تعزيز العمل التطوعي للقيم الاجتماعية والتكافل الاجتماعي والتلاحم والتآزر بين أفراد المجتمع وحله للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

المطلب الثالث: اقتراحات لتعزيز وترسيخ ثقافة العمل التطوعي في نفوس الناشئة.

الخاتمة

وأسأل الله أن أكون قد وُفقت فيما كتبت، وأن يرزقنا السداد في القول والعمل، ويجنبنا شَطَطَ الفكر والقلم.

وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول
دور التمويل الاجتماعي الإسلامي وآلياته في دعم العمل الإنساني

حتى يتضح دور التمويل الاجتماعي الإسلامي يجب أن نتبين معناه وخصائصه وآلياته، وسيكون ذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول: مفهوم التمويل الاجتماعي الإسلامي وخصائصه

مصطلح التمويل الاجتماعي (Social finance) من المصطلحات الحديثة نسبيًّا، فلم أجد له ذِكرًا في كُتب فقهاء الإسلام المتقدمين حسب اطّلاعي القاصر، وهو مصطلح مركب من كلمتين: التمويل والاجتماعي.

أما مصطلح التمويل فهو مصدر مَوَّل يُموِّل تمويلًا، وهو مشتَّق من المال، والمالُ في اللغة العربية ما يملِكُه الإنسان من كل شيء[١].

قال ابن الأثير رحمه الله: «المال في الأصل ما يُملك من الذهب والفضة، ثم أُطلق على كل ما يُقتنى ويُملك من الأعيان، وأكثر ما يُطلق المال عند العرب على الإبل؛ لأنها كانت أكثر أموالهم، ومال الرجلُ وتموَّل إذا صار ذا مال»[٢].

ويغلِب إطلاق كلمة المال اليوم على الذهب والفضة والعملات النقدية التي قامت مقامهما[٣].

أما التمويل في الاصطلاح فبعض الباحثين يَقصُره على تقديم المال بقصد الاسترباح، فعُرِّف بأنه: تقديم ثروة نقدية أو عينية بقصد الاسترباح من مالكها إلى شخص آخر يديرها ويتصرّف فيها لقاءَ عائدٍ مُحدد، ويُضاف إلى التعريف التقيد بالحدود والأحكام الشرعية إذا أردنا تعريف التمويل الإسلامي[٤].

---

(١) القاموس المحيط، للفيروزآبادي، (٤/ ٥٢)، ولسان العرب، لابن منظور (١٤/ ١٥٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٩/ ٤٠٢٠).

(٣) انظر: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، للدكتور محمد عمارة (ص ٥٠٣).

(٤) مفهوم التمويل في الاقتصاد الإسلامي: تحليل فقهي واقتصادي، للدكتور منذر قحف (ص ١٢).

وعرَّفه بعض الباحثين بأنه: توفير الأموال (السيولة النقدية) من أجل إنفاقها على الاستثمارات وتكوين رأس المال الثابت بهدف زيادة الإنتاج والاستهلاك»[١].

ولكن المعنى الأقرب للصواب في مفهوم التمويل هو: تقديم المال من (المموِّل) إلى من ينتفع به وهو (المتموِّل) سواء كان بقصد الاسترباح أو غيره[٢].

أما مصطلح التمويل الاجتماعي فهو نهج لإدارة الأموال التي توفر عوائدَ اجتماعية وعائداتٍ اقتصادية.

وغالبًا ما يُستخدم التمويل الاجتماعي لوصف الإقراض والاستثمار في الشركات التي تَعتبر نفسَها مؤسساتٍ اجتماعيةً، وجمعياتٍ خيريةً، وتعاونياتٍ، وغيرِها من المنظمات التي تركِّز على التأثير في المجتمع، ويمكن أن يشمل المصطلح الاستثمار المجتمعي، والإقراض الأصغر، والاستثمار في أعمال تجارية مستدامة ومسؤولة اجتماعيًّا، وسَنَدات التأثير الاجتماعي، وإقراض المشاريع الاجتماعية.

كما تندرج الاستثمارات الخيرية بالنتائج والاستثمارات ذات الصلة بالبرنامج، والتي يُشار إليها أحيانا باسم الأعمال الخيرية، تحت مِظلة التمويل الاجتماعي[٣].

وحتى يتبين معنى التمويل الاجتماعي بشكل دقيق لا بد من بيان قِسميه، وهما:

القسم الأول: التمويل الاجتماعي المباشر (غير الرِّبحي)، وهو التمويل القائم على التبرعات والبر والإحسان، كالقرض الحسن، والصدقات التطوعية، والزكاة، والوقف دون مردود مادي.

القسم الثاني: التمويل الاجتماعي غير المباشر (الرِّبْحي)، وهو التمويل القائم على الربحية المتواضعة التي تراعي الجوانب الاجتماعية، وتسعى في الوقت نفسه لضمان استدامة التمويل، ويكون إما بالمعاوضة، كالبيع الآجل، وبيع السَّلَم، وبيع الاستصناع، والتأجير، ونحو ذلك، وإما بالمشاركة: وهو كالمشاركة المؤقتة، والمشاركة المتناقصة، والمضاربة، والمزارعة، والمساقاة، والمغارسة ونحوها[٤].

فتبين من ذلك أن التمويل الاجتماعي هو: آلية لإدارة الأموال التي تقدم عوائد مالية ذات طابع اقتصادي ومجتمعي[٥].

---

(١) دراسات في التنمية الاقتصادية، للدكتور عبد اللطيف مصطيفي والدكتور عبد الرحمن بن سانية (ص ٢٠٩).

(٢) انظر: العقود المبتكرة للتمويل والاستثمار، د. خالد الرشود (ص ٥٤).

(٣) انظر: https://www. cafonline. org/charities/borrowing/social - investment

(٤) انظر: التمويل الاجتماعي الإسلامي، د. أشرف دوابة، مجلة المجتمع، https://mugtama. com/articles/item/109285 - 59. html - 08 - 07 - 09 - 08 - 2020 -، بتاريخ 9/8/2020م.

(٥) دور التمويل الاجتماعي الإسلامي في تحقيق أهداف التنمية المستدامة: الزكاة نموذجًا، حبيب الله زكريا، INTERNATIONAL JOURNAL OF ZAKAT AND ISLAMIC PHILANTHROPY (MARCH 2020)، (ص ٢٣٨)

ويمكن من خلال ما سبق تعريف التمويل الاجتماعي الإسلامي بأنه: الدعم المادي للمشاريع الخيرية والأعمال الاجتماعية، بشكل مباشر غير رِبحي، أو بشكل غير مباشر، وَفق آليات معينة، بما يحقق الفوائد الاقتصادية والاجتماعية المطلوبة شرعًا.

ويتسم التمويل الاجتماعي الإسلامي بخصائص متعددة، من أهمها:

أنه تمويل ذو أبعاد اجتماعية، فهو جزء لا ينفصم من طبيعة التمويل ذاته، سواء كان ربحيًّا أم غير ربحي.

أنه تمويل يتفق وأحكامَ مقاصد الشريعة الإسلامية، فلا يَعرِف للربا والنشاط المحرم سبيلًا، ولا للحيل المذمومة في المعاملات المالية طريقًا.

أنه تمويل يهدف إلى التمكين الاقتصادي، وتنمية المجتمع، وعمارة الكون، فهو منهج عملي لمفهوم الاستخلاف في المال، وما يتطلبه من مسؤولية استخلافية.

أنه تمويل يقوم على أساس دراسات الجدوى من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، وهذا يعني أن المشروعات عند دراستها تخضع للأولويات الإسلامية من ضروريات وحاجيات وتحسينات؛ بما يحقق تخصيصًا أمثل للموارد، وتنمية اقتصادية واجتماعية مستدامة.

أنه تمويل يعمل على بناء الإنسان من خلال قدرته على التمكين الاقتصادي، ومن ثم بناء رجال وسيدات أعمال في المجتمع، والانتقال بالمحتاجين من كونهم اليد السفلى لتكون يدهم عليا، تعطي ولا تأخذ[١].

المطلب الثاني: آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي

سبق في تعريف التمويل الاجتماعي الإسلامي أنه الدعم المادي للمشاريع الخيرية والأعمال الاجتماعية، وَفق آليات معينة، بما يحقق الفوائد الاقتصادية والاجتماعية المطلوبة، وهذا يعني أن هناك آلياتٍ معينة للتمويل الاجتماعي الإسلامي، وهي متفاوتة فيما بينها من حيث أهميتها وفائدتها، وفي هذا المطلب نستعرض أهم هذه الآليات، والتي تستند جميعها إلى قيم الإيمان والشمولية لتعزيز الثقة المجتمعية والتعاون والتضامن في مكافحة الفقر والجوع، بما يتماشى مع أهداف التنمية المستدامة[٢].

---

(١) التمويل الاجتماعي الإسلامي، د. أشرف دوابة، مجلة المجتمع، - https://mugtama. com/articles/item/109285 - 59. html - 08 - 07 - 09 - 08 - 2020، بتاريخ ٩/ ٨/ ٢٠٢٠م.

(٢) انظر: تقرير البنك الإسلامي للتنمية عن التمويل الاجتماعي الإسلامي - https://www. isdb. org/ar/news/altmwyl - alajtmay - alaslamy - ldm - jhwd - altafy - waadt - albna - bd - jayht - kwfyd - 19

الفرع الأول: الزكاة والصدقات:

الزكاة علاوة على أنها من شرائع الإسلام وأركانه العِظام، فهي كذلك من أعظم آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي، وفيها من الفوائد الاقتصادية والاجتماعية الشيء الكثير.

الزكاة في اللغة مشتقة من الجذر اللغوي زكا، قال ابن فارس رحمه الله: «الزاء والكاف والحرف المعتل أصل يدل على نماء وزيادة، ويقال: الطهارة زكاة المال... قالوا: وحجة ذلك قوله جل ثناؤه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، والأصل في ذلك كله راجع إلى هذين المعنيَين، وهما النماء والطهارة. ومن النماء: زرعٌ زاكٍ، بيِّنُ الزَّكاء، ويقال هو أمر لا يزكو بفلان، أي لا يليق به»(١).

وسُميت الزكاةُ زكاةً لأنها سبب زيادة المال بالخُلف في الدنيا والثواب في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩]. وقيل أيضًا: إنها عبارة عن الطُّهْر، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤]، أي: تطهر، وإنما سُمي الواجب زكاة؛ لأنها تطهر صاحبها عن الآثام، قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣](٢).

أما الزكاة في الاصطلاح فهي: حقٌ واجب في مالٍ مخصوص لطائفة مخصوصة، وهم الأصناف الثمانية المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] في وقت مخصوص، وهو تمام الحول في الماشية، والأثمان، وعروض التجارة(٣).

وقد تُسمى الزكاة صدقة؛ لأنها دليل لصحة إيمان مؤديها وتصديقه(٤)، فهي من التصديق الذي هو الإيمان؛ لأن دافعها مُصدِّق بوجوبها(٥).

وللزكاة فوائد اقتصادية كثيرة، من ذلك أنها تُعتبر أداة تمويلية للفقراء لاستئناف العمل أو النشاط، كما أن الزكاة من أعظم أدوات إعادة التوزيعن وتفتيت الثروات المتكدسة، وهي علاج فعال لمصيدة السيولة (liquidity trap) وغيرها من الفوائد الاقتصادية(٦)، كما أن الزكاة تزيد من المَيْل الحِدِّيّ للاستهلاك عند الفقراء مما يزيد الطلب الفعّال الذي ينعش الاقتصاد(٧).

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ١٧).
(٢) المبسوط للسرخسي (٢/ ١٤٩).
(٣) كشاف القناع عن متن الإقناع، للبهوتي (٢/ ١٦٦).
(٤) انظر: الفروع، لابن مفلح (٣/ ٤٣٧).
(٥) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي (١/ ٢٥٠).
(٦) انظر: مدخل إلى أصول التمويل الإسلامي، للسويلم (ص ٥٠ - ٥٢).
(٧) مقال بعنوان: الآثار الاقتصادية للزكاة، د. إبراهيم فؤاد، مجلة الوعي الإسلامي، (ص ١٧٧).

ويدخل فيها صدقة التطوّع غير الواجبة.

الفرع الثاني: الأوقاف:

الوَقْف مصدر وقَفَ الشيء بمعنى حبَسَه، فالوقف التحبيس[١]، والواو والقاف والفاء: أصل واحد يدل على تمكُّثٍ في شيء[٢].

أما الوقف في الاصطلاح فهو: «تحبيس مالك مطلق التصرف في ماله المنتفع به مع بقاء عينه بقطع تصرفه وغيره في رقبته، يُصرف رِيعه إلى جهة بِرّ تقربًا إلى الله تعالى»[٣].

وقيل: هو «عبارة عن حبس العين على ملك الواقف، والتصدق بالمنافع على الفقراء مع بقاء العَيْن»[٤].

وقد دلّ على مشروعيته الكتاب والسنة والإجماع، فمن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وهذه الآية وإن كان سببها خاصًّا لكن لفظها عام، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[٥].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصاب أرضًا بخَيْبر، فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله، إني أصبت أرضًا بخَيْبر لم أصب مالًا قط أنفسَ عندي منه، فما تأمر به؟ قال: «إن شئت حبّست أصلها، وتصدّقت بها» قال: فتصدق بها عمر، أنه لا يباع ولا يوهب ولا يورث، وتصدق بها في الفقراء، وفي القربى وفي الرقاب، وفي سبيل الله، وابن السبيل، والضيف، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، ويطعم غير متمول[٦].

الفرع الثالث: الهبات والوصايا:

الهِبة من هبوب الريح، أي: مروره. يُقال وَهَبْت له شيئًا وَهْبًا بإسكان الهاء.

والهبة شرعًا: التبرع من جائز التصرف بتمليك ماله المعلوم الموجود في حياته غيره[٧].

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (١٥/ ٢٦٣).

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس (٦/ ١٣٥).

(٣) هداية الراغب، لابن قائد النجدي (٣/ ٩٩).

(٤) أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، للقونوي (ص ٧٠)، وانظر: الإسعاف في أحكام الأوقاف، لحسام المعاني الطرابلسي الحنفي (ص ٣).

(٥) نظام الوقف والاستدلال عليه، للشيخ محمد بخيت المطيعي (ص ٢٥).

(٦) أخرجه البخاري (٢٧٣٧)، مسلم (١٦٣٢)، وغير متمول: أي لا يأخذ فوق حاجته.

(٧) الروض المربع، للبهوتي (٢/ ٤٨٧).

وقد فرّق الإمام النووي رحمه الله بين الهبة والهدية وصدقة التطوع بتفريق لطيف؛ حيث قال: «الهبة والهدية وصدقة التطوع أنواع من البِرّ متقاربة، يجمعها تمليك عين بلا عوض، فإن تمحّض فيها طلب التقرب إلى الله تعالى بإعطاء محتاج فهي صدقة، وإن حُمِلت إلى مكان المهدى إليه إعظامًا وإكرامًا وتوددًا فهي هدية، وإلا فهبة فكل هدية وصدقة تطوع هبة ولا ينعكس»(١).

أما الوصية فهي من وَصَيْت الشيء بالشيء أَصِيه من باب وَعَد: وصَلْته(٢)، فالوصية الصلة، وقد سُميت الوصية وصيةً؛ لأنّ الميت لمّا أوصى بها وصَل ما كان فيه من أيام حياته بما بعده من أيام مماته(٣).

والوصية اصطلاحًا: تمليك مضاف لما بعد الموت(٤).

الفرع الرابع: التمويل الأصغر:

التمويل الأصغر أو التمويل المتناهي الصغر (Microfinance) من المصطلحات الاقتصادية المعاصرة، ويُقصد به تقديم قروض صغيرة جدًا للعائلات الفقيرة التي لا تتمكن من الحصول على هذه القروض من القطاع المصرفي، لمساعداتهم في الانخراط بنشاطات مُنتجة أو لتنمية مشاريعهم المتناهية الصغر.

وأحيانًا ما يعرف التمويل الصغير أو الأصغر بأنه تقديم الخِدْمات المالية المختلفة (قروض وادخار وتحويلات وتأمين وغيرها) للفئات التي لا تتمكن من الحصول على هذه الخِدْمات من القطاع المصرفي.

والهدف من التمويل الأصغر هو إعطاء الأشخاص ذوي الدخل المنخفض فرصة لتحقيق الاكتفاء الذاتي.

لقد شهدت السنوات الخمسة والعشرين الماضية توسعًا سريعًا لعدد مؤسسات التمويل الأصغر وحجمها في أنحاء عديدة من العالم، وفي بعض البلدان بات عدد هذه المؤسسات مرتفعًا، وهي تقدّم خِدْمات لأعداد كبيرة من الزبائن، كما أنها تدير محفظة كبيرة من القروض، وتتمتع بحصّة مهمة من الأصول المالية العائدة للفقراء.

ما يميّز مؤسسات التمويل الأصغر هو توجهها لمَلء الفراغ الذي تركته المؤسسات التقليدية التجارية أو تلك التي ترعاها الحكومة على صعيد تقديم الخِدْمات المالية للأسر الفقيرة وللمؤسسات الصغيرة(٥).

---

(١) تحرير ألفاظ التنبيه (ص ٢٣٩ - ٢٤٠).

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي (٢/ ٦٦٢).

(٣) المطلع على ألفاظ المقنع، للبعلي (ص ٣٥٦).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي (ص ٣٣٨).

(٥) مؤسسات التمويل الأصغر والسياسة العامة، ورقة عمل صندوق النقد الدولي دائرة شؤون النقد والصرف، إعداد: دانيال س. هاردي وبول هولدن وفاسيلي بروكوبنكو (ص ٤).

ويشكل التمويل الأصغر فرصة ذهبية رائعة أمام التمويل الإسلامي حتى يعكس جوهر منظومة قيمه ومكنون رسالته، في الوقت نفسه يمكن أن يساعد الامتثال لأصول الشريعة الإسلامية وقواعدها، مؤسسات التمويل الأصغر على الوصول إلى عدد كبير من المسلمين الذين يفضلون أشكال الأنشطة المالية الممتثلة لأحكام الشريعة الإسلامية، وتتمثل إحدى الإمكانيات في التنسيق بين المانحين؛ لأن المؤسسات المالية الإسلامية ترى أن تخفيف حدة الفقر يُعد عاملًا مركزيًا في صميم المسؤوليات الاجتماعية المؤسسية.

المطلب الثالث : العمل الاجتماعي الإنساني ومكانته في الإسلام

هناك فرق بين العمل الاجتماعي، والعمل الجمعي، فالجمعي من النشاط ما صدر عن جماعة، والاجتماعي ما صدر عن المجتمع، أو نسب إليه[١].

الفرع الأول: تعريف العمل الاجتماعي:

يمكن تعريف العمل الاجتماعي بأنه: الأداء المناط بكِيانات إدارية، حكومية كانت أم غير حكومية تعمل على تحقيق الرفاه الاجتماعي، وهو في المحصل النهائي عمل خيري بالمفهوم الشامل للعمل الخيري وإن تعددت أهدافه ووظائفه[٢].

كما عُرّف بأنه: نظام قانوني تكافلي عقلاني ومنظم يعمل على مساعدة الأفراد والجماعات والمجتمعات الإنسانية في المجالات المتعددة والمتجددة؛ إذ يقوم على تحسين أحوال الأفراد ماديًا ومعنويًا وفكريًا وتنمية قدراتهم للاعتماد على أنفسهم[٣].

وتعرفه الرابطة الدولية لمدارس الخدمة الاجتماعية IASSW: «العمل الاجتماعي هو مهنة قائمة على الممارسة، ونظام أكاديمي يعزز التغيير الاجتماعي والتنمية والتماسك الاجتماعي وتمكين الناس وتحريرهم. تُعتبر مبادئ العدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان والمسؤولية الجماعية واحترام التنوعات أساسية في العمل الاجتماعي مدعومة بنظريات العمل الاجتماعي والعلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية والمعارف الأصلية والعمل الاجتماعي إشراك الناس والهياكل لمواجهة تحديات الحياة وتعزيز الرفاهية»[٤].

---

(١) مناهج البحث في اللغة (ص ٣٨).

(٢) العمل الاجتماعي والخيري: التنظيم والتحديات والمواجهة، علي بن إبراهيم النملة (ص ١٧).

(٣) الواجب الكفائي والعمل الاجتماعي، أية علاقة؟ علي زروقي، (ص ٨٨).

(٤) https://www. iassw - aiets. org/ar/global - definition - of - social - work - review - of - the - global - definition /-

إن العمل الاجتماعي التطوعي دِعامة أساسية للمجتمعات المتحضرة والمتطورة، فهو يؤكد في مضمونه على وعي أفراد المجتمعات المختلفة بأهمية دورهم وقوته في النهوض بالمجتمعات وكذلك يدعم إحساس الانتماء والمواطنة لدى الأفراد بأنهم جزء من هذا المجتمع.

حتى إن عدد الجمعيات الاجتماعية والأدوار التي تقوم بها في المجتمع وكفاءتها في أداء هذه الأدوار تُعد من المعايير الأساسية في تقييم الدول والمجتمعات.

الفرع الثاني: مكانة العمل الاجتماعي في الإسلام:

أما عن مكانة العمل الاجتماعي في الإسلام فهي عظيمة جدًّا؛ لأنه يُحقق مقصدًا من أهم مقاصد الشريعة، وهو اجتماع القلوب وعدم التنازع. قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «الشارع أمر بالاجتماع على إمام واحد في الإمامة الكبرى، وفي الجمعة والعيدين والاستسقاء وصلاة الخوف، مع كون صلاة الخوف بإمامين أقرب إلى حصول صلاة الأمن، وذلك سدًّا لذريعة التفرق والاختلاف والتنازع، وطلبًا لاجتماع القلوب وتآلف الكلمة، وهذا من أعظم مقاصد الشرع، وقد سدّ الذريعة إلى ما يُناقضه بكل طريق، حتى في تسوية الصف في الصلاة؛ لئلا تختلف القلوب، وشواهِدُ ذلك أكثر من أن تُذكر»[(١)].

بل إن العمل الإسلامي الاجتماعي في الإسلام يُعد عبادة من العبادات الواجبة، قد تأخذ صفة الوجوب العيني أو الوجوب الكفائي، ويتمثل ذلك في عدة نماذج منها:

أن الإسلام أوجب إنقاذ المهددين بالموت أو الغرق أو الحريق وغير ذلك من الكوارث، بل يجب عليه الفطر في رمضان إن احتاج ذلك، كما قال الشيخ منصور البهوتي رحمه الله: «ويجب الفطر على من احتاجه لإنقاذ معصوم من هَلَكة كغرق»[(٢)].

بل يجب الحلف كذبًا لإنقاذه من الموت، كما في شرح منتهى الإرادات: «ويجب الحلف لإنجاء معصوم من هلكة ولو نفسه كتوجُّه أيمان القَسامة عليه، وهو محق»[(٣)].

كما أوجب الإسلام التقاط اللقيط، والعناية به إذا خُشِي على الطفل من الهلاك، بأن كان في بحر يُخاف عليه من الغرق، أو كان في مفازة منقطعة، أو أرض ذات سباع؛ فقد ذهب عامة الفقهاء إلى أن التقاطه وأخذه فرضُ عين إن لم يكن هناك أحد غيره[(٤)]؛ لأن ذلك مندرج تحت قاعدة حفظ النفوس المُجمع عليها في سائر الملل، فأخذُه فيه إحياء نفس من الهلاك، فكان واجبًا، كإطعامه إذا اضطر، وقد

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٥/ ٢٨).
(٢) الروض المربع شرح زاد المستقنع، للبهوتي (١/ ٤١٨).
(٣) شرح منتهى الإرادات، للبهوتي (٣/ ٤٤١).
(٤) انظر: أحكام اللقيط في الفقه الإسلامي، د. وليد الربيع (ص ٦ – ٧).

قال الله تعالى: (ومن أحياها فكأنّما أحيا النّاس جمِيعًا)، قال الإمام ابن حزم رحمه الله: «ولا إثمَ أعظمُ من إثم من أضاع نَسَمة مولودة في الإسلام، صغيرةً لا ذنبَ لها حتى تموت جوعًا وبردًا، أو تأكله الكلاب، هو قاتل نفس عمدًا بلا شك»[١].

المطلب الرابع: الحاجة إلى دعم العمل الاجتماعي الإنساني وخاصة في مناطق الكوارث والأوبئة دون النظر إلى دين أو مذهب

بعد أن عرفنا أهمية العمل الاجتماعي وقيمته الكبيرة في الإسلام، فإن أهميته تزيد وقيمته تتأكد في حالات الكوارث والأوبئة.

الفرع الأول: مفهوم الكوارث والأوبئة:

أما الكوارث في اللغة فهي جمع كارثة، وهي مصدر كَرَثَ يكرُث، يُقال: كرَثه الغَمُّ، أي بلغ منه المشقة[٢].

والكارثة هي: النازلة العظيمة الشاقة التي تنزِل بالأقوام، كنقص الأموال والأنفس والثمرات والأوبئة، وجريان السيول العظيمة، ووقوع الحروب المهلكة، وتغلُّبِ العدوِّ، ونحو ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥، ١٥٦].

وقد عرّفت هيئة الأمم المتحدة الكارثة بقولها: هي حالة مفجعة يتأثر من جرائها نمط الحياة اليومية فجأة، ويصبح الناس يعانون من ويلاتها، ويصيرون في حاجة إلى حماية، وملابس، وملجأ، وعناية طبية، واجتماعية، واحتياجات الحياة الضرورية الأخرى[٣].

أما الوباء ـ بالقصر والمد والهمز ـ فهو المرض العام[٤]، وأرض وَبِيئةٌ ووَبِيّة ومَوْبوءة: كثُر مرضُها[٥].

وقد فسّر بعض العلماء الوباء بالطاعون، فقال الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله: «الوباء مهموز: الطاعون، وهو أيضًا كل مرض عام»[٦].

---

(١) المحلى، لابن حزم (٨/ ٢٧٣).
(٢) تاج العروس، للزبيدي (٥/ ٣٣٣).
(٣) مقال بعنوان: تاريخ الكوارث الكبرى، لأحمد محمد كنعان، (ص ٢٩).
(٤) فتح الباري، لابن حجر (٤/ ١٠١).
(٥) المغرب في ترتيب المعرب، للمطرزي (ص ٤٧٥)؛ النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥/ ١٤٤).
(٦) كتاب العين، للخليل (٤/ ٣٤٣)؛ وانظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة: وبأ (١/ ٨٩).

ووفّق بين القولين الإمام ابن القيم رحمه الله فقال: «لما كان الطاعون يكثر في الوباء، وفي البلاد الوَبِيئة، عُبر عنه بالوباء، كما قال الخليل: الوباء الطاعون، وقيل: هو كل مرض يعُمّ، والتحقيق أن بين الوباء والطاعون عمومًا وخصوصًا، فكل طاعون وباء، وليس كل وباءٍ طاعونًا، وكذلك الأمراض العامة أعم من الطاعون، فإنه واحد منها»(١).

وقد فسّر الإمام أبو الوليد الباجي رحمه الله الوباء بقوله: «هو مرض يعُمّ الكثير من الناس في جهة من الجهات دون غيرها بخلاف المعتاد من أحوال الناس وأمراضهم، ويكون مرضهم غالبًا مرضًا واحدًا بخلاف سائر الأوقات، فإن أمراض الناس مختلفة»(٢).

ووافقه على ذلك الإمام النووي رحمه الله فقال: «والصحيح الذي قاله المحققون أنه مرض الكثيرين من الناس في جهة من الأرض دون سائر الجهات...»(٣) إلى آخر تعريف الباجي.

ونقله أيضًا مُقرًّا له القاضي عياض رحمه الله في شرحه على صحيح مسلم(٤).

وهذه الأوبئة والكوارث تقدير من رب العالمين سبحانه وتعالى، فالله سبحانه وتعالى الخلّاق العليم الفعال لما يريد، يُقدِّر بعلمه ما يريد، ويمضيه بقوّته تحقيقًا لما أراده من الحكمة في ذلك، وما قدّره الله وأمضاه: منه ما تظهر وتُعلم حكمته، ومنه ما لا تُعلم حكمته، والمسلم الموقن بدينه الراضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا، يقبل ما قدّره الله ويسلِّم بذلك تسليمًا على أي وضع جاء.

الفرع الثاني: وجوب العمل الاجتماعي وأهميته في الكوارث والأوبئة دون النظر إلى دين المتضررين ومذاهبهم:

إنّ الإسلام دينُ الرحمة، والنبيّ محمدًا ﷺ نبيُّ المرحمة، كما قال عنه ربه سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال سبحانه: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومن صور رحمة هذا الدين التكافل والتضامن لإنقاذ المتضررين وحفظ الأنفس والأرواح ويصبح فرض عين على الأغنياء القادرين.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم (٤/ ٣٥).
(٢) المنتقى شرح الموطأ، للباجي (٧/ ١٩٨).
(٣) شرح صحيح مسلم، للنووي (١٤/ ٢٠٤).
(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض (٧/ ١٣٢).

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمّى»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من لا يرحم لا يُرحم»(٢).

وقال الإمام ابن حزم رحمه الله: «وفُرِض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك، إن لم تقم الزكوات بهم، ولا في سائر أموال المسلمين، فيُقام لهم بما يأكلون من القُوت الذي لا بد منه، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك، وبمسكن يَكِنُّهم من المطر، والصيف والشمس، وعيون المارة»(٣).

بل يتعدى الأمر إلى الكفار كذلك، فتجوز الصدقة عليهم ومساعدتهم بالمال إن لم يكونوا من الحربيين، ويدل على ذلك الأدلة التالية:

عن عائشة رضِي الله عنها أنّ امرأةً يهوديةً سألتها فأعطتها، فقالت لها: أعاذكِ الله من عذاب القبر، فأنكرت عائشةُ ذلك، فلمّا رأتِ النبيّ ﷺ قالت له، فقال: لا، قالت عائشة: ثم قال لنا رسولُ اللهِ ﷺ بعد ذلك: إنّه أُوحِيَ إليّ أنكم تُفتنون في قُبوركم»(٤).

والشاهد من الحديث أن النبي ﷺ أقرَّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على الصدقة على هذه اليهودية.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي. فنزل البئر فملأ خُفّه، ثم أمسكه بفيه، فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له» قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرًا؟ فقال: «في كل ذات كبد رطبة أجر»(٥).

قال الإمام ابن بطال رحمه الله: «وقد استَدل بهذا الحديث من أجاز صدقة التطوع على المشركين، لعموم قوله عليه السلام: في كل كبد رَطْبة أجر»(٦).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) واللفظ له، أما لفظ البخاري فهو: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٩٩٦) ومسلم (٢٣١٨).

(٣) المحلى بالآثار (٤/ ٢٨١).

(٤) رواه أحمد (٦/ ٢٣٨) (٢٦٠٥٠) واللفظ له، وهو بنحوه في البخاري (١٠٤٩)، ومسلم (٩٠٣).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥).

(٦) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٦/ ٥٠٣).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلمٍ يغرسُ غرسًا أو يزرعُ زرعًا فيأكلُ منه طيرٌ أو إنسان أو بهيمةٌ إلّا كان له به صدقة»(١).

قال ابن بطال رحمه الله: «في هذه الأحاديث الحض على استعمال الرحمة للخلق كلِّهم، كافرهم ومؤمنهم، ولجميع البهائم والرفق بها، وأن ذلك مما يغفر الله به الذنوب ويكفر به الخطايا، فينبغي لكل مؤمن عاقل أن يرغب في الأخذ بحظه من الرحمة، ويستعملها في أبناء جنسه وفى كل حيوان، فلم يخلقه الله عبثًا، وكل أحد مسؤول عما استُرعِيَه وملكه من إنسان أو بهيمة لا تقدر على النطق، وتبيين ما بها من الضر، وكذلك ينبغي أن يرحم كل بهيمة، وإن كانت في غير ملكه»(٢).

عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، قالت: قدِمَت عليّ أمي، وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ، فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: قدِمَت عليّ أمي وهي راغبة، أفأَصِلُ أمي؟ قال: «نعم، صِلِي أمَّك»(٣).

روى الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام بسنده إلى عن جسر أبي جعفر قال: شهِدت كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عَدِيّ بن أَرْطاة، قُرئ علينا بالبصرة، وجاء فيه: «وانظر من قِبلك من أهل الذمة قد كبِرت سِنّه، وضعُفت قوته، وولّت عنه المكاسب، فأجرِ عليه من بيت مال المسلمين ما يُصلحه، فلو أنّ رجلًا من المسلمين كان له مملوك كبِرت سِنّه، وضعُفت قوّته، وولّت عنه المكاسب كان من الحق عليه أن يَقُوته حتى يفرق بينهما موت أو عتق، وذلك أنه بلغني أن أمير المؤمنين عمر مرّ بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس، فقال: «ما أنصفناك، أن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك، ثم ضيَّعناك في كبرك» قال: ثم أجرى عليه من بيت المال ما يُصلحه(٤).

فعلى هذه النصوص وغيرها استند العلماء في مشروعية الصدقة حتى على الكفار.

قال الإمام محمد بن حسن رحمه لله: الصدقة على الكافر، ولو كان حربيًّا توجب الأجر والثواب(٥).

وقال إمام الحرمين الجويني رحمه الله: «اتفق المسلمون قاطبة على أن لآحاد المسلمين وأفراد المستقلين بأنفسهم من المؤمنين ـ أن يأمروا بوجوه المعروف، ويسعَوْا في إغاثة كل ملهوف، ويُشمّروا

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٢٣٢٠) ومسلم (١٥٥٢).
(٢) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٩/ ٢١٨).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٦٢٠)، ومسلم (١٠٠٣)، بلفظ: قدمت عليّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ، فاستفتيت رسول الله ﷺ، قلت: وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: نعم، صلي أمك.
(٤) الأموال للقاسم بن سلام (ص ٥٧).
(٥) العرف الشذي شرح سنن الترمذي (٤/ ٤٤).

في إنقاذ المشرفين على المهالك والمناوي والحتوف، وكذلك اتفقوا على أن من رأى مضطرًا مظلومًا مضطهدًا مهضومًا، وكان متمكنًا من دفْع مَن ظلمه، ومنْع مَن غشَمه فله أن يدفعَ عنه بكُنْهِ جهده، وغاية أيده، كما له أن يدفع عن نفسه، ولو همّ رجلٌ بأخذ مقدار نزْرٍ من مال إنسان فله أن يدفعه باليد واللسان، وإن أتى الدفع على القاصد ظلمًا كان دمه مهدرًا محبطًا مطلولًا مُسقطًا»[١].

المطلب الخامس: دور المنظمات والهيئات العاملة في العمل الاجتماعي الإنساني، وأهمية دعمها

لا شك أن الإسلام قد عُني عناية كبيرة في الترغيب بالخير بشتى أنواعه، بدءًا من إدخال السرور إلى النفوس وانتهاءً بتفريج الكرب وقضاء الحوائج. انطلاقًا من مبدأ التعاون على البر والتقوى، كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: ٢] ومن هذا المنطلق أيضًا فإن العمل الاجتماعي التطوعي المنظّم والذي تقوم به المنظمات والهيئات الخيرية الوطنية له أهمية كبرى خاصة في هذا العصر؛ إذ تُعد الأعمال التطوعية الخيرية من أهمِّ العوامل التي تهتم بها الدول؛ لأنّ تلك الجمعيات والمؤسسات الخيرية تنظم تلك الأعمال، وتسهل تطويرها، واستمرارها، وحمايتها من الانحراف أو الاستغلال، في عصرٍ قلّ فيه أثر الاجتهادات الفردية، وحل محلها العمل الجماعي المنظّم، بما يُهيئ فرصًا واسعة لترشيد أعمال الخير وحمايتها، لاسيِّما أنّها تتمتع بالثقة والنّزاهة والسُّمعة الحسنة؛ حيث إنّ القائمين على هذه الجمعيات والمؤسسات الخيرية يتمّ اختيارهم بعناية فائقة، جعلتهم محل ثقة.

والمتابع لمناشط الجمعيات والمؤسسات الخيرية الوطنية يدرك الدور الكبير الذي تقدِّمه هذه الجمعيات في تخفيف المعاناة عن المحتاجين والفقراء والمساكين.

وما وصل إليه العمل الخيري التطوعي من تطور، تحقيقًا لمبدأ التكافل الاجتماعي وخدمة للمجتمع، فلا شكّ أنّه ستنتج حالة إيجابية اجتماعية تدعو إلى التعاون والتآلف والتآزر تُسهم في تحقيق الأمن والاستقرار لأبناء المجتمع، لا سيما وأنّ العمل التطوعي يلعب دورًا مركزيًّا في بناء مجتمع متماسك ومترابط، ينطوي على المشاركة الشعبيّة العريضة لأفراد المجتمع، ويقدم شبكة من العَلاقات الاجتماعية تربط الأفراد بمجتمعاتهم المحليّة يمثل رابط حيوي وضروري لبناء مجتمعات ديمقراطية سليمة آمنة معتدلة قادرة على البقاء والاستمرار[٢].

لذلك يجب دعم هذه المنظمات ماديًّا ومعنويًّا لتقوم بهذا الدور البنّاء على أكمل الوجوه.

---

(١) غياث الأمم في التياث الظلم، لإمام الحرمين (ص ٢٤٠ - ٢٤١).

(٢) العمل الخيري التطوعي وأثره في تحجيم السّلوك المنحرف، للدكتور أحمد عبد الكريم الكبيسي، مقال منشور في شبكة ضياء الإلكترونية https://diae. net/54356/.

المطلب السادس : توظيف آليات التمويل الاجتماعي في دعم العمل الاجتماعي الإنساني في مناطق الكوارث والأوبئة

سبق أن بيّنا في المطلب الثاني آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي، وذكرنا منها: الزكاة والصدقات، والأوقاف، والهبات والوصايا، والتمويل الأصغر.

وفي هذا المطلب نسلّط الضوء على كيفية توظيف هذه الآليات في دعم العمل الاجتماعي الإنساني في مناطق الكوارث والأوبئة.

الفرع الأول: توظيف الزكاة والصدقات:

في حال حصول الكوارث والأوبئة يمكن الاستفادة من الزكاة والصدقات في التمويل الاجتماعي من خلال:

التمويل المباشر بالزكاة والصدقات، أي: دفع الزكاة والصدقات للمتضررين والمحتاجين.

أما الصدقات فالأمر في مصارفها واسع كما هو معلوم؛ لأن مصارفها غير محددة وغير محصورة.

أما الزكاة فلها مصارف محددة، وهي ثمانية، بيّنها الله تعالى بيانًا شافيًا، وأخبر عز وجل أن ذلك فريضة، وأنه مبني على العلم والحكمة، فقال جل ذكره: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٦٠] فهؤلاء ثمانية أصناف، هم أهل الزكاة الذين تُدفع إليهم.

ويمكننا الاستفادة من الزكاة في التمويل الاجتماعي في الكوارث من خلال عدة مصارف، منها:

أولًا: الفقراء والمساكين: أما الفقير فهو الذي لا كَسْبَ يحقق كفايته من طعام وشراب وملبس ومسكن، أما المسكين هو الذي يقدر على كَسْبِ ما يسُدّ حاجته لكن لا يكفيه، ولا شك أن الكوارث تُخلّف عددًا من الفقراء والمساكين إذا ما اجتاحت أموالهم وأذهبتها، فيستحقون الزكاة بذلك.

أما عن ماهية ما يُعطون فقد قرّر مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي في قراره رقم ١٦٥ (١٨/ ٣) أنه يصرف للفقراء والمساكين ما يسدّ حاجتهم، ويحقق لهم الكفاية ولمن يعولون ما أمكن، وذلك وَفق ما تراه الجهات المسؤولة عن الزكاة.

ويصرف للفقير ـ إذا كان عادته الاحتراف ـ ما يشتري به أدوات حرفته، وإن كان فقيرًا يُحسن التجارة أُعطي ما يتَّجِر به، وإن كان فقيرًا يُحسن الزراعة أُعطي مزرعة تكفيه غلَّتُها على الدوام، واستئناسًا بذلك

يمكن توظيف أموال الزكاة في مشروعات صغيرة، كوحدات النسيج والخياطة المنزلية، والورش المهنية الصغيرة، وتكون مملوكة للفقراء والمساكين(١).

ثانيًا: الغارمون: وهم المدينون، سواء استدان المَدِين لنفسه أو لغيره، وسواء كان دَيْنه في طاعة أو معصية.

وأخَصُّ من ينطبق عليهم وصف الغارمين هم أولئك الذين فاجأتهم كوارث الحياة، ونزلت بهم جوائح اجتاحت مالهم واضطرتهم إلى الاستدانة لأنفسهم وأهليهم(٢).

فعن مجاهد، قال: «ثلاثة من الغارمين: رجل ذهب السَّيْل بماله، ورجل أصابه حريق فذهب بماله، ورجل له عيال وليس له مال، فهو يُدان ويُنفق على عياله»(٣).

وعن قبيصة بن مُخارِق الهلالي، قال: تحمّلتُ حَمَالة، فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها، فقال: أقِمْ حتى تأتيَنا الصدقة، فنأمرَ لك بها، قال: ثم قال: «يا قبيصة، إنّ المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمّل حَمالة، فحلّت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله، فحلّت له المسألة حتى يصيب قِوامًا من عيش ـ أو قال سِدادًا من عيش ـ ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحِجَا من قومه: لقد أصابت فلانًا فاقة، فحلّت له المسألة حتى يصيب قِوامًا من عيش ـ أو قال سِدادًا من عيش ـ فما سواهن من المسألة يا قبيصة سُحتًا يأكلها صاحبها سُحتًا»(٤).

وهذا الحديث نص واضح في دور الزكاة والصدقات في الجوائح والكوارث.

قال الإمام الخطابي ـ رحمه الله: «والجائحة في غالب العرف هي ما ظهر أمره من الآفات، كالسيل يغرق متاعه، والنار تحرقه، والبرد يفسد زرعه وثماره في نحو ذلك من الأمور، وهذه أشياء لا تخفى آثارها عند كونها ووقوعها، فإذا أصاب الرجل شيء منها، فذهب ماله، وافتقر ـ حلّت له المسألة، ووجب على الناس أن يعطوه الصدقة من غير بينة، يطالبونه بها على ثبوت فقره، واستحقاقه إياها»(٥).

---

(١) قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، الإصدار الرابع، ١٤٤٢هـ (ص ٥٥٨).

(٢) انظر: دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية، د. يوسف القرضاوي، ضمن كتاب اقتصاديات الزكاة إصدار البنك الإسلامي للتنمية، (ص: ٥٨١).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٤٢٤)، وابن زنجويه في الأموال (٢٠٤٦).

(٤) رواه مسلم (١٠٤٤).

(٥) معالم السنن، للخطابي (٢/ ٦٧).

وعن بَهْزِ بن حكيم، عن أبيه، عن جده قال: قلت: يا رسول الله إنا قوم نتساءَلُ أموالَنا[١]. قال: «يتساءل الرجل في الجائحة أو الفَتْقِ[٢] ليُصلح به بين قومه، فإذا بلغ أو كَرَبَ[٣] استعفّ»[٤]

ثالثًا: ابن السبيل: كذلك يُستفاد من الزكاة في الكوارث من خلال مصرف ابن السبيل، وهو المسافر الذي انقطع به السفر، أي ليس معه من النفقة ما يكفيه لسفره، فيعطى من الزكاة ما يبلغه مقصده، ولا يخفى أن كثيرًا من الكوارث تضطر الناس إلى الخروج عن ديارهم، واللجوء إلى دول ومناطق أخرى، فيكونون في هذه الحالة أبناء سبيل، فيُعطون من الزكاة ما يبلّغهم مأمنهم.

٢. التمويل غير المباشر بالزكاة والصدقات: وهذا التمويل يتم بشكل غير مباشر، وذلك من خلال توظيف أموال الزكاة في مشاريع معينة تساهم في الحد من الآثار السلبية للجوائح والكوارث، ولها صور:

الصورة الأولى: توظيف أموال الزكاة والصدقات في مشاريع استثمارية عامة تهدف لإنتاج سلع تخدم المتضررين من الكوارث، كالأدوية والملابس والخيام ونحوها، ثم توزّع على مستحقيها.

وهذا لا حرج فيه، وقد جاء في كلام العلماء ما يدل على جوازه عند الحاجة إليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والأظهر في هذا: أنّ إخراج القيمة لغير حاجة ولا مصلحة راجحة ممنوع منه؛ ولهذا قدر النبي ﷺ الجُبْران بشاتين أو عشرين درهمًا ولم يعدِل إلى القيمة، ولأنه متى جوّز إخراج القيمة مطلقًا، فقد يعدل المالك إلى أنواع رديئة، وقد يقع في التقويم ضرر، ولأن الزكاة مبناها على المواساة، وهذا مُعتَبر في قدر المال وجنسه، وأما إخراج القيمة للحاجة أو المصلحة أو العدل فلا بأس به: مثل أن يبيع ثمرَ بستانه أو زرعه بدراهم، فهنا إخراج عشر الدراهم يجزئه، ولا يكلف أن يشتري ثمرًا أو حنطة؛ إذ كان قد ساوى الفقراء بنفسه، «وقد نص أحمد على جواز ذلك. ومثل أن يجب عليه شاة في خمس من الإبل وليس عنده من يبيعه شاة، فإخراج القيمة هنا كافٍ، ولا يُكلّف السفرَ إلى مدينة أخرى ليشتري شاة، ومثل أن يكون المستحقون للزكاة طلبوا منه إعطاء القيمة لكونها أنفع فيُعطيهم إياها أو يرى الساعي أن أخذها أنفع للفقراء»[٥].

---

(١) أي: يسأل بعضنا مال بعض في الحاجات.

(٢) الفتق بفتح فسكون، قيل: أي: الحرب تكون بين القوم، ويقع فيها الجراحات والدماء.

(٣) كرب بفتحات، أي: دنا وقرب.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٣/ ٢٣٤) (٢٠٠٣٣) وقال محققوه: إسناده حسن.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥/ ٨٢).

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: «ويجوز أن يخرج عن النقود عروضًا من الأقمشة والأطعمة وغيرها، إذا رأى المصلحة لأهل الزكاة في ذلك مع اعتبار القيمة، مثل أن يكون الفقير مجنونًا، أو ضعيف العقل، أو سفيهًا، أو قاصرًا، فيخشى أن يتلاعب بالنقود، وتكون المصلحة له في إعطائه طعامًا، أو لباسًا ينتفع به من زكاة النقود بقدر القيمة الواجبة، وهذا كله في أصح أقوال أهل العلم»[١].

الصورة الثانية: توظيف أموال الزكاة والصدقات في مشاريع استثمارية واقتصادية في البلدان المنكوبة بهدف تحريك عجلة الاقتصاد من جهة، وتنمية أموال الزكاة من جهة أخرى ليستفيد منها أكبر قدر ممكن من مستحقي الزكاة.

وقد بحث مجمع الفقه الإسلامي هذه النازلة في دورة مؤتمره الثالث بعمّان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية، من ٨ إلى ١٣ صفر ١٤٠٧/ ١١ إلى ١٦ أكتوبر ١٩٨٦م. وتوصّل إلى أنه: «يجوز من حيث المبدأ توظيف أموال الزكاة في مشاريع استثمارية، تنتهي بتمليك أصحاب الاستحقاق للزكاة، أو تكون تابعة للجهة الشرعية المسؤولة عن جمع الزكاة وتوزيعها، على أن تكون بعد تلبية الحاجة الماسة الفورية للمستحقين، وتوافر الضمانات الكافية للبعد عن الخسائر»[٢].

الصورة الثالثة: توظيف أموال الزكاة في تشغيل مستحقي الزكاة وحثهم على العمل والاستثمار، وذلك من خلال:

التمويل عن طريق توفير رأس المال: ويتم هذا النوع من التمويل في شكل تقديم رأس المال اللازمة للمشروع، سواء في شكل أموال أو في شكل عيني عن طريق شراء المعدات والآلات أو مستلزمات الإنتاج، ويدخل ضمن هذا التمويل سهمُ الفقراء والمساكين. وقد وردت نصوص عدة حول تحديد القدر الذي يجب أن يستفيد منه الفقير أو المسكين، ومن بين هذه النصوص نجد أنه إنْ كان للفقير أو المسكين حرفة يزاولها فإنه يُعطى له ما يشتري به آلة حرفته، وإن كانت تجارة فيعطى رأس مال يكفيه لذلك؛ ويكون هذا التمويل مجانيًّا لا يُرد ولا يحمل أية تكاليف.

التمويل عن طريق ضمان مخاطر الاستثمار: من مصارف الزكاة المنصوص عليها في القرآن نجد مصرف «الغارمين»، والغارم هنا أعم من المدين فهو يشمل أيضًا من تعرض في تجارته أو حرفته إلى مخاطر أو كوارث ذهبت بموارده، ومن هذا المنطلق يمكن استخدام الزكاة في ضمان المخاطر التي يتعرض لها أصحاب المشروعات الصغيرة سواء كانت مخاطر طبيعية من حريق وغيره، أو مخاطر تجارية

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز (١٤/ ٢٥٣).

(٢) قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، الإصدار الرابع، ١٤٤٢هـ (ص ٦٩).

وسوقية من ديون ركبته بسبب نشاطه وبهذا يمكن حل مشاكل العسر الذي تواجهه المشروعات الصغيرة والمتوسطة وبالتالي مواصلة نشاطها.

التمويل عن طريق القروض الحسنة: يتم هذا التمويل من خلال تخصيص جزء من أموال الزكاة لمنحها في شكل قروض حسنة، من خلال تكليف هيئات أو صناديق مؤهلة لهذا الغرض بدراسة المشاريع وآليات السداد، هذا النوع من التمويلات يسمح للمشروعات الصغيرة من الصمود وزيادة قدرتها كون أنّ مؤسسات التمويل الأخرى تتفادى تقديم التمويل لهذه المشروعات، نظرًا للمخاطر الكبيرة المحيطة بها، لذلك فإن تخصيص جزء من أموال الزكاة من أجل مساعدة المشروعات الصغيرة والمتوسطة قد يساهم بشكل كبير في تخطي العديد من المشاكل التمويلية، خاصة وأن هذا النوع من القروض يكون بدون فوائد(١).

الفرع الثاني: توظيف الأوقاف:

للوقف في تاريخنا الإسلامي العظيم دور حضاري كبير ومهم، فغير الوقف على القرآن والحديث والمساجد والعلم، وما يتعلق به من إنشاء المدارس، والجامعات، والمكتبات، وصرف الرواتب على الطلبة والمعلمين ـ كان هناك وقفٌ حتى على تزويج الفقيرات، والمكفوفين، وتوزيع الخبز المجاني، وإيواء الفقراء، وغير ذلك(٢).

ولا شك أن للوقف دورًا كبيرًا أيضًا في التمويل الاجتماعي الإسلامي في دعم العمل الإنساني في مناطق الصراعات والكوارث، فهي من آليات التمويل الاجتماعي الرحبة والثرية، وذلك من خلال:

إنشاء صندوق وقفي كبير للإغاثة من الكوارث والأوبئة.

ومن أمثلته الرائدة: الصندوق الوقفي للدعوة والإغاثة التابع للأمانة العامة للأوقاف في دولة الكويت. وتتلخص فكرته الرئيسية في الدعوة والإغاثة، ويُخصص رِيعه لدعم وتقديم مختلف جهود الإغاثة الموجهة للمنكوبين من الكوارث الطبيعية من الدول والأفراد والمجتمعات الإسلامية، وتقديم الغوث للمحتاجين شعوبًا وجماعات حيثما وجدوا حين تحل بهم الكوارث، ودعم وتنسيق الجهود الدعوية التي تقوم بها مختلف الجهات الرسمية والأهلية في مجال الدعوة إلى الإسلام والتعريف به(٣).

---

(١) دور أموال الزكاة في تمويل المشروعات الصغيرة والمتوسطة، للدكتور كامل رزيق، (ص ١٩ – ٢٠).

(٢) انظر: الوقف ودوره في التنمية الاجتماعية، د. سليم هاني منصور، (ص ٣١ – ٣٨).

(٣) موقع الأمانة العامة للأوقاف https://www. awqaf. org. kw/AR/Pages/Funds. aspx NO=7

إنشاء صندوق وقفي لتمويل المشاريع الصغيرة التي يضطلع بها المتضررون من الكوارث، بحيث تُحقق كفايتهم مع المحافظة على كرامتهم.

الفرع الثالث: الهِبات والوصايا:

لا يختلف توظيف الهبات والوصايا عن توظيف الزكاة والصدقات الآنف ذكرها.

لكن يمكن توجيه الوصايا والأثلاث لا سيما في أوقات الكوارث والأوبئة إلى دعم المتضررين منها.

الفرع الرابع: التمويل الأصغر:

يمكن توظيف آلية التمويل الأصغر من خلال إنشاء مؤسسات تمويلية، يمكن تسميتها (بيوت التمويل الاجتماعي)، تتدفق فيها أموال المنح والهبات من الدول أو الأفراد، وتستقبل أيضًا الصدقات والأوقاف، ثم تقوم بتقديم خِدْمات تمويلية للمتضررين من الكوارث، من خلال تقديم قروض حسنة، أو مشاركات بمختلف أنواعها.

المبحث الثاني
دور النهوض بثقافة التطوع
بوصفه آلية لتعزيز العمل الإسلامي المشترك

العمل التطوعي هو العمل الذي يشارك فيه الفرد أو الجماعة لتحقيق النفع للمجتمع، ويتم ذلك دون مقابل مادي؛ حيث إنه يقوم بالعمل التطوعي بكامل إرادته وبناءً على رغبته، دون إجبار أو تكليف من أحد.

ومن أهم ما يسعى الدين الإسلامي لتعزيزه التكافل المجتمعي بين كافة الأفراد.

المطلب الأول: أهمية الأعمال التطوعية ودورها الفعال في استقرار المجتمعات وتضامنها

وتظهر أهمية العمل التطوعي جليًّا في النصوص الواردة في القرآن والسنة في الحث على التعاون على البر والتقوى والعمل التطوعي، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٢]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ﴾ [البقرة: ١٨٤] وغيرها من الآيات.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلًا جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تُدخِله على مسلم، أو تكشف عنه كُربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرُد عنه جوعًا، ولأن أمشيَ مع أخ لي في حاجة أحبّ إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد ـ يعني مسجد المدينة ـ شهرًا، ومن كفَّ غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه، ولو شاء أن يُمضِيه أمضاه، ملأ الله عز وجل قلبه أمنًا يوم القيامة، ومن مشَى مع أخيه في حاجة حتى أثبتها له أثبت الله عز وجل قدمه على الصراط يوم تزِلُّ فيه الأقدام»(١).

وتظهر أهمية التطوع والحاجة إليه كلما تقدم المجتمع وتعقّدت العَلاقات الاجتماعية، فكلما كانت العَلاقات بسيطة ومباشرة كانت الجهود التطوعية فردية ومباشرة أيضًا، وترتبط بالموقف ذاته، وتكون إحدى سمات العَلاقات الاجتماعية، فمجتمع القرية لقلة حجمه، وتداخل عَلاقاته يتصف بالتساند والترابط، والتطوع فيه يؤدي وظيفة ضرورية، ويرتبط ذلك عند الناس بقيم الشهامة والمروءة والكرم.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٦/ ١٣٩) (٦٠٢٦) وفي المعجم الصغير كذلك (٨٦١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٠٦).

أما مجتمع المدينة فاتساعه يُضعف العَلاقات الاجتماعية؛ لأن احتياجات الناس تشبع من خلال المنظمات والهيئات، وعلى الرغم من توفر تلك الخِدْمات فإنّ ذلك قد أظهر حاجة تلك المجتمعات أكثر إلى التطوع، والذي يكون في صورة نشاط مؤسسي، يتم من خلال المؤسسات الاجتماعية، فالدول مهما كانت إمكانياتها المادية لا تستطيع إشباع كل احتياجات أفرادها، حتى مع اتساع أنشطتها وتعدد مجالاتها، خصوصًا في ظل تزايد الاحتياجات، فما كان ينظر إليه على أنه كمالي في وقت من الأوقات، قد يصبح ضروريًّا في وقت لاحق.

المطلب الثاني: تعزيز العمل التطوعي للقيم الاجتماعية والتكافل الاجتماعي والتلاحم والتآزر بين أفراد المجتمع وحله للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية وغيرها

تكمن الأهمية الكبرى للتطوع في تنمية الإحساس لدى المتطوع، ومن يستفيد من خِدْماته، بالانتماء وتقوية الترابط الاجتماعي بين فئات المجتمع، والتي تأثرت تأثرًا سلبيًّا ظاهرًا بعوامل التغير الاجتماعي والحضاري، كما أن الأعمال التطوعية تكون لونًا من ألوان المشاركة الإيجابية ليس في تقديم الخدمة فحسب، بل في توجيه ورسم السياسات التي تقوم عليها تلك المؤسسات الاجتماعية، ومتابعة تنفيذ برامجها وتقويمها بما يعود على المجتمع ككل بالنفع العام، وكلما كثر عدد المتطوعين كلما دل على وعي الأفراد وحسن تجاوبهم مع هيئات ومنظمات المجتمع[١].

وتظهر أهمية العمل التطوعي في منح الفرد الشعور برضا الله عز وجل، لِما سبق ذكره من النصوص الحاثة عليه، كما يساعد في منح الثقة بالنفس وتقوية الشخصية، وفي تقوية العَلاقات بين الأفراد وتعزيز الشعور بالانتماء الوطني والاجتماعي، ويساعد الفرد على التعرف على إمكانياته ومهاراته، كما يمنحه الشعور بأهميته وفعاليته في المجتمع، ويساعد الفرد في تكوين عَلاقات جديدة من خلال مشاركته في مجالات متعددة، ويحول الطاقات المكبوتة إلى طاقات منتجة، وينزع الشعور بالكسل عن الإنسان.

كما أن العمل التطوعي يساعد الأفراد على الاستفادة المثلى من أوقات الفراغ ومنح الشخص الشعور بالراحة النفسية، وتعليم الفرد تحمل المسئولية والقدرة على اتخاذ القرارات والاعتماد على النفس.

أما أثر العمل التطوعي على المجتمع فظاهر لأنه يساهم في تنمية المجتمع والارتقاء به وتوفير جهود الحكومات لإنجاز مهام أكبر، والاعتماد في إنجاز بعض المسئوليات على الأفراد، كما يساعد في سد احتياجات المجتمعات في مختلف المجالات، وتحقيق التكافل الاجتماعي في مختلف المجالات.

---

(١) الأثر الاقتصادي للأعمال التطوعية، لعمر بن نصير البركاتي الشريف، بحث مقدم لندوة، العمل التطوعي وتأثيره في التنمية الاقتصادية، (ص ٤).

المطلب الثالث : اقتراحات لتعزيز وترسيخ ثقافة العمل التطوعي في نفوس الناشئة

هناك عدة أفكار ومقترحات لتعزيز وترسيخ ثقافة العمل التطوعي في نفوس الناشئة، منها:

إدراج ثقافة التطوع والعمل التطوعي في المناهج الدراسية في مختلف المراحل الدراسية، مع دمج ذلك بتكليف الطلاب بأعمال تطوعية مدرسية تدريبًا لهم على هذه الثقافة.

جعل العمل الخيري والتطوعي تخصصًا جامعيًّا معتبرًا، مع فتح المجال لكتابة رسائل الدراسات العليا فيه الماجستير والدكتوراه.

تأليف المزيد من الكتب والمؤلفات الداعمة والحاثة على ثقافة العمل التطوعي ونشرها بين الناس.

إنتاج البرامج الإعلامية في مختلف وسائل الإعلام، تحث وتشجع وتعلم ثقافة العمل التطوعي.

وضع الجوائز التشجيعية للأعمال التطوعية، تشجيعًا للناس على هذه الثقافة.

تكريم رواد الأعمال الخيرية والتطوعية، بمختلف أنواع التكريم، كتسمية المرافق بأسمائهم ونحو ذلك.

جعل بعض الأعمال التطوعية بديلًا عن كثير من العقوبات الإصلاحية، وإدراج ذلك ضمن فقه التعزير.

ولعلي أختم هذه المقترحات وهذا البحث بفكرة أحسبها جديدة، ولعلها ترى النور قريبًا إن شاء الله، وهي فكرة: بنك الأعمال التطوعية، وهي فكرة تقوم على معاملة طاقات الناس لا سيما الشباب كأرصدة بنكية، تُصنّف حسب أهميتها، وتُدّخر، ثم تُستعمل هذه الطاقات وَفق الحاجة لها.

كما يكون لكل مشترك أو عضو في هذا البنك رصيد من أعماله التطوعية، يزيد كلما زادت أعماله التطوعية، فيترقّى بعد ذلك، ويصبح تحت قيادته فريق تطوعي.

وهذه الفكرة تحتاج مزيدًا من التأمل والتخطيط والدراسة، ولعل الله ييسر إفراد بحث خاص بها.

الخاتمة

بعد إتمام مباحث هذا البحث ومطالبه نستعرض خلاصته وأهم نتائجه، وهي:

التمويل الاجتماعي الإسلامي هو الدعم المادي للمشاريع الخيرية والأعمال الاجتماعية، بشكل مباشر غير ربحي، أو بشكل غير مباشر، وَفق آليات معينة، بما يحقق الفوائد الاقتصادية والاجتماعية المطلوبة.

ينقسم التمويل الاجتماعي قسمين: الأول: التمويل الاجتماعي المباشر (غير الربحي)، والثاني: التمويل الاجتماعي غير المباشر (الربحي).

آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي كثيرة، منها: الزكاة والصدقات، والهبات والوصايا، والأوقاف والتمويل الأصغر.

مكانة العمل الاجتماعي في الإسلام عظيمة جدًّا؛ لأنه يُحقق مقصدًا من أهم مقاصد الشريعة، وهو اجتماع القلوب وعدم التنازع.

لا يفرق الإسلام في العمل الاجتماعي في الكوارث والأوبئة بين المسلمين وغير المسلمين، بل يساعد الجميع دون النظر إلى دين المتضررين ومذاهبهم.

للمنظمات والهيئات العاملة في العمل الاجتماعي الإنساني دور مهم، ويجب دعمها ومساندتها.

يتم توظيف الزكاة والصدقات في التمويل الاجتماعي من خلال:

أولًا: التمويل المباشر بالزكاة والصدقات: للمتضررين من الكوارث، من الفقراء والمساكين، والغارمين، وابن السبيل.

ثانيًا: التمويل غير المباشر بالزكاة والصدقات، من خلال:

الصورة الأولى: توظيف أموال الزكاة والصدقات في مشاريع استثمارية عامة تهدف لإنتاج سلع تخدم المتضررين من الكوارث، كالأدوية والملابس والخيام ونحوها، ثم توزّع على مستحقيها.

الصورة الثانية: توظيف أموال الزكاة والصدقات في مشاريع استثمارية واقتصادية في البلدان المنكوبة بهدف تحريك عجلة الاقتصاد من جهة، وتنمية أموال الزكاة من جهة أخرى ليستفيد منها أكبر قدر ممكن من مستحقي الزكاة.

الصورة الثالثة: توظيف أموال الزكاة في تشغيل مستحقي الزكاة وحثهم على العمل والاستثمار، من خلال:

التمويل عن طريق توفير رأس المال.

التمويل عن طريق ضمان مخاطر الاستثمار.

التمويل عن طريق القروض الحسنة.

يتم توظيف الأوقاف في التمويل الاجتماعي الإسلامي من خلال:

إنشاء صندوق وقفي كبير للإغاثة من الكوارث والأوبئة.

إنشاء صندوق وقفي لتمويل المشاريع الصغيرة التي يضطلع بها المتضررون من الكوارث، بحيث تُحقق كفايتهم مع المحافظة على كرامتهم.

لا يختلف توظيف الهبات والوصايا عن توظيف الزكاة والصدقات الآنف ذكرها.

يمكن توظيف آلية التمويل الأصغر من خلال إنشاء مؤسسات تمويلية، يمكن تسميتها (بيوت التمويل الاجتماعي)، تتدفق فيها أموال المنح والهبات من الدول أو الأفراد، وتستقبل أيضًا الصدقات والأوقاف، ثم تقوم بتقديم خِدْمات تمويلية للمتضررين من الكوارث، من خلال تقديم قروض حسنة، أو مشاركات بمختلف أنواعها.

تتمتع الأعمال التطوعية بأهمية وعظمى، وتضطلع بدور فعال في استقرار المجتمعات وتضامنها، وتعزيز القيم الاجتماعية والتكافل الاجتماعي والتلاحم والتآزر بين أفراد المجتمع وحل للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

ـ **ابن الأثير**، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: د. أحمد بن محمد الخراط، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

ـ **ابن باز**، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت: ١٤٢٠هـ)، مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

ـ **ابن بطال**، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت٤٤٩هـ)، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

ـ **ابن تيمية**، أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٨هـ)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وتحقيق: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، الناشر مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

ـ **ابن حجر**، أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، إخراج وتصحيح: محب الدين الخطيب، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

ـ **ابن حزم**، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ)، المحلى بالآثار، دار الفكر، بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ.

ـ **ابن حنبل**، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، المسند، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

ـ **ابن فارس**، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

ـ **ابن قيم الجوزية**، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ت: ٧٥١هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، ١٩٧٣م.

ـ **ابن قيم الجوزية ـ محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ت: ٧٥١هـ)**، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢٥، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

ـ **ابن منظور**، جمال الدين محمد بن مكرم بن على الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

ـ **الآثار الاقتصادية للزكاة**، د. إبراهيم فؤاد، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ١٣٤، سنة ١٣٩٦هـ الموافق ١٩٧٦م، نُشر ضمن مجموعة مقالات اقتصادية.

ـ **الألباني**، محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

ـ **إمام الحرمين**، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبو المعالي، (ت: ٤٧٨هـ)، غياث الأمم في التياث الظلم، لإمام الحرمين، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم، د. مصطفى حلمي، الناشر: دار الدعوة، الاسكندرية، ١٩٧٩م.

ـ **البخاري**، محمد بن إسماعيل بن المغيرة، (ت ٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، دار الشعب، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

ـ **البركاتي**، عمر بن نصير البركاتي الشريف، الأثر الاقتصادي للأعمال التطوعية، بحث مقدم لندوة العمل التطوعي وتأثيره في التنمية الاقتصادية، الرياض، ٦/ ٤/ ١٤٢٩هـ.

ـ **البعلي**، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين (المتوفى: ٧٠٩هـ)، المطلع على ألفاظ المقنع، المحقق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣ م.

ـ **ابن سلام**، أبو عُبيد القاسم بن سلّام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، كتاب الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، الناشر: دار الفكر، بيروت.

ـ **البهوتي**، منصور بن يونس (ت١٠٥١هـ)، الروض المربع شرح زاد المستقنع، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ١٣٩٠هـ.

ـ **البهوتي**، منصور بن يونس (ت١٠٥١هـ)، شرح منتهى الإرادات، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥ م.

ـ **البهوتي**، منصور بن يونس (ت١٠٥١هـ)، كشاف القناع عن متن الإقناع تحقيق لجنة من المحققين، الناشر: وزارة العدل في المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

ـ **التمويل الاجتماعي الإسلامي**، د. أشرف دوابة، مجلة المجتمع، https://mugtama.com/articles/item/109285-2020-08-09-07-08-59.html، بتاريخ ٩/ ٨/ ٢٠٢٠م.

ـ **الخطابي**، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، معالم السنن شرح سنن أبي داود، المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م.

ـ **الخليل**، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، كتاب العين، تحقيق وترتيب: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

ـ **الربيع**، وليد، أحكام اللقيط في الفقه الإسلامي، بحث منشور في الشبكة العنكبوتية.

ـ **رزيق**، كامل رزيق، دور أموال الزكاة في تمويل المشروعات الصغيرة والمتوسطة، مجلة الاقتصاد والتنمية البشرية.

ـ **الرشود**، خالد بن سعود بن عبد الله، العقود المبتكرة للتمويل والاستثمار بالصكوك الإسلامية، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط١، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

ـ **الزبيدي**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، (ت: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الكويت، ط ١، ١٩٦٥م.

ـ **زروقي**، علي، الواجب الكفائي والعمل الاجتماعي، أية عَلاقة؟ مجلة الفقه والقانون، العدد الثامن، يونيو ٢٠١٣م.

ـ **زكريا**، حبيب الله، دور التمويل الاجتماعي الإسلامي في تحقيق أهداف التنمية المستدامة: الزكاة نموذجًا، INTERNATIONAL JOURNAL OF ZAKAT AND ISLAMIC PHILANTHROPY (MARCH 2020)

ـ **السرخسي**، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت: ٤٨٣هـ)، المبسوط، دار المعرفة، بيروت، بدون طبعة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

ـ **السويلم**، سامي بن إبراهيم السويلم، مدخل إلى أصول التمويل الإسلامي، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.

ـ **الطرابلسي**، حسام المعاني النعمان بن إبراهيم بن موسى الطرابلسي الحنفي، الإسعاف في أحكام الأوقاف، ١٣٢٠هـ.

ـ **الطيالسي**، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (ت: ٢٠٤هـ)، المسند، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر، مصر، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

ـ **عمارة**، الدكتور محمد، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

ـ **عياض**، القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي، (ت: ٥٤٤هـ)، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: الدكتور يحيى إسماعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

ـ **غياث الأمم والتياث الظلم**.

ـ **الفيروزآبادي**، مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، المطبعة المصرية، الطبعة الثالثة، ١٣٥٣هـ ١٩٣٥م.

ـ **الفيومي**، أحمد بن محمد، «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير»، ط. دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

ـ **قحف**، منذر، مفهوم التمويل في الاقتصاد الإسلامي: تحليل فقهي واقتصادي، البنك الإسلامي للتنمية، المعهد الإسلامي للبحوث، جدة، ط٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

ـ **القرضاوي**، يوسف، دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية، ضمن كتاب اقتصاديات الزكاة إصدار البنك الإسلامي للتنمية، ١٤١٧هـ.

ـ **قلعه جي**، محمد رواس قلعه جي، باحث في الاقتصاد الإسلامي من أصوله الفقهية، ط. دار النفائس، بيروت، ط٥، ٢٠٠٤م.

ـ **القونوي**، قاسم بن عبد الله بن أمير علي الرومي الحنفي (المتوفى: ٩٧٨هـ)، أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، تحقيق: يحيى حسن مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م ـ ١٤٢٤هـ.

ـ **الكبيسي**، أحمد عبدالكريم، العمل الخيري التطوعي وأثره في تحجيم السّلوك المنحرف، مقال منشور في شبكة ضياء الإلكترونية https: //diae. net/54356/.

ـ **الكشميري**، محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، العرف الشذي شرح سنن الترمذي، تصحيح: الشيخ محمود شاكر، الناشر: دار التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

ـ **كنعان**، أحمد محمد، تاريخ الكوارث الكبرى، مجلة الفيصل، عدد ٤٤، سبتمر ٢٠١٠م.

ـ **مجمع الفقه**، قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، الإصدار الرابع، ١٤٤٢هـ.

ـ **مسلم**، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ) صحيح مسلم، دار الجيل، بيروت، ١٣٣٤هـ.

ـ **مصطيفي**، عبد اللطيف مصطيفي وعبد الرحمن بن سانية، دراسات في التنمية الاقتصادية، مكتبة حسن العصرية، ط١، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

ـ **المطيعي**، محمد بخيت بن حسين (ت: ١٣٥٤هـ)، نظام الوقف والاستدلال عليه، عناية: محمود الكبش، الوعي الإسلامي، الكويت، ط١، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣ م

ـ **المناوي**، محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ.

ـ **المنتقى شرح الموطأ**، أبو الوليد سليمان بن خلف القرطبي الباجي (ت: ٤٧٤هـ)، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٣٢هـ.

ـ **منصور**، هاني سليم، الوقف ودوره في التنمية الاجتماعية، دار البشائر، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

ـ **النجدي**، عثمان بن أحمد بن سعيد، هداية الراغب لشرح عمدة الطالب، تحقيق: عبد الله التركي، ط١، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م

ـ **النملة**، علي بن إبراهيم، العمل الاجتماعي والخيري: التنظيم والتحديات والمواجهة، بيسان للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م.

ـ **النووي**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحرير ألفاظ التنبيه، المحقق: عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ.

ـ **النووي**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

ـ **هولدن**، دانيال س. هاردي وبول هولدن وفاسيلي بروكوبنكو مؤسسات التمويل الأصغر والسياسة العامة، ورقة عمل صندوق النقد الدولي دائرة شؤون النقد والصرف.

ـ **الهيثمي**، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

المواقع الإلكترونية:

ـ https://www. isdb.org/ar/news/altmwyl-alajtmay-alaslamy-ldm-jhwd-altafy-waadt-albna-bd-jayht-kwfyd-19

ـ https://www.cafonline.org/charities/borrowing/social-investment-

ـ **موقع الأمانة العامة للأوقاف**

ـ https://www.awqaf.org.kw/AR/Pages/Funds. aspx?NO=7

مسودة مشروع قرارات وتوصيات
بشأن دور التمويل الاجتماعي في دعم العمل الإنساني
في مناطق الكوارث والصراعات والأوبئة، ودور النهوض بثقافة التطوع

التمويل الاجتماعي الإسلامي بأنه: الدعم المادي للمشاريع الخيرية والأعمال الاجتماعية، بشكل مباشر غير ربحي، أو بشكل غير مباشر، وَفق آليات معينة، بما يحقق الفوائد الاقتصادية والاجتماعية المطلوبة.

ينقسم التمويل الاجتماعي قسمين: الأول: التمويل الاجتماعي المباشر (غير الربحي)، والثاني: التمويل الاجتماعي غير المباشر (الربحي).

آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي كثيرة، منها: الزكاة والصدقات، والهبات والوصايا، والأوقاف والتمويل الأصغر.

مكانة العمل الاجتماعي في الإسلام عظيمة جدًا، لأنه يُحقق مقصدًا من أهم مقاصد الشريعة، وهو اجتماع القلوب وعدم التنازع.

لا يفرق الإسلام في العمل الاجتماعي في الكوارث والأوبئة بين المسلمين وغير المسلمين، بل يساعد الجميع دون النظر إلى دين المتضررين ومذاهبهم.

للمنظمات والهيئات العاملة في العمل الاجتماعي الإنساني دور مهم، ويجب دعمها ومساندتها.

يجب توظيف الزكاة والصدقات والهبات والوصايا في التمويل الاجتماعي من خلال:

أولًا: التمويل المباشر بالزكاة والصدقات: للمتضررين من الكوارث، من الفقراء والمساكين، والغارمين، وابن السبيل.

ثانيًا: التمويل غير المباشر بالزكاة والصدقات.

يتم توظيف الأوقاف في التمويل الاجتماعي الإسلامي من خلال:

إنشاء صندوق وقفي كبير للإغاثة من الكوارث والأوبئة.

إنشاء صندوق وقفي لتمويل المشاريع الصغيرة التي يضطلع بها المتضررون من الكوارث، بحيث تُحقق كفايتهم مع المحافظة على كرامتهم.

تتمتع الأعمال التطوعية بأهمية وعظمى، وتضطلع بدور فعال في استقرار المجتمعات وتضامنها، وتعزيز القيم الاجتماعية والتكافل الاجتماعي والتلاحم والتآزر بين أفراد المجتمع وحل للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

ويوصي المجمع بما يأتي:

إنشاء مؤسسات تمويلية، يمكن تسميتها (بيوت التمويل الاجتماعي) تتدفق فيها أموال المنح والهبات من الدول أو الأفراد، وتستقبل أيضًا الصدقات والأوقاف، ثم تقوم بتقديم خِدْمات تمويلية للمتضررين من الكوارث، من خلال تقديم قروض حسنة، أو مشاركات بمختلف أنواعها.

مخاطبة وزارات الإعلام للدول الإسلامية بإدراج مادة ثقافة التطوع والعمل التطوعي في المناهج الدراسية في مختلف المراحل الدراسية، مع دمج ذلك بتكليف الطلاب بأعمال تطوعية مدرسية تدريبًا لهم على هذه الثقافة.

مخاطبة الجامعات بجعل العمل الخيري والتطوعي تخصصًا جامعيًّا معتبرًا، مع فتح المجال لكتابة رسائل الدراسات العليا فيه الماجستير والدكتوراه.

تأليف المزيد من الكتب والمؤلفات الداعمة والحاثة على ثقافة العمل التطوعي ونشرها بين الناس.

إنتاج البرامج الإعلامية في مختلف وسائل الإعلام، تَحُث وتشجع وتعلم ثقافة العمل التطوعي.

وضع الجوائز التشجيعية للأعمال التطوعية، تشجيعًا للناس على هذه الثقافة.

تكريم رواد الأعمال الخيرية والتطوعية، بمختلف أنواع التكريم، كتسمية المرافق بأسمائهم ونحو ذلك.

جعل بعض الأعمال التطوعية بديلًا عن كثير من العقوبات الإصلاحية، وإدراج ذلك ضمن فقه التعزير.

دراسة فكرة: بنك الأعمال التطوعية، وهي فكرة تقوم على معاملة طاقات الناس لا سيّما الشباب كأرصدة بنكية، تُصنّف حسب أهميتها، وتُدّخر، ثم تُستعمل هذه الطاقات وَفق الحاجة لها.

بحث فضيلة الدكتور عبد القاهر محمد أحمد قمر

مدير إدارة البحوث والدراسات والموسوعات والترجمة

مجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم، واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

وبعد،

لقد بات مفهوم العمل الاجتماعي الإنساني اليوم أحدَ أهم المفاهيم المتداولة عالميًّا على صُعُد عدة، سياسية واقتصادية وقانونية واجتماعية وأكاديمية، إنه وإن تبلور ونضج في العقود الأخيرة، إلا أن جذوره ضاربة عبر التاريخ، وقد نادت به جميع الرسالات السماوية وأصحاب الضمائر الحية وعمل به المتمسكون بالقيم العليا على اختلاف المجتمعات الإنسانية، جغرافيًّا واقتصاديًّا، بالرغم من التفاوت والتسابق الحضاري الحادث بين الأمم والشعوب في القرون الحديثة.

ومع تطور الحياة حدثت قضايا وتصورات جديدة لم تكن معهودة من قبل، فتعقدت أساليبها وطرقها، وأصبحت معها المسائل الفقهية المدوّنة في الكتب الفقهية قليلة الشبه بالواقع، ولم يعد بمقدور الفقيه المجتهد المتخصص أن يفصل في قضية من القضايا المتداخلة تداخلًا شرعيًّا واقتصاديًّا أو طبيًّا أو غير ذلك، وأضحت الحاجة مُلِحّةً في زماننا إلى اجتهاد جماعي يضم إلى المتخصصين في علوم الشريعة نُظَراءهم من ذوي الاختصاص في العلوم الأخرى أثناء دراسة القضية المطروحة.

وإن مجمع الفقه الإسلامي الدولي الذي يُعتَبر أحد أهم مراكز الاجتهاد الجماعي في عالم اليوم، بل هو المرجعية الفقهية للأمة الإسلامية، والذي قد تمكن خلال أربعة عقود مضت من تبيين أحكام كثير من النوازل والمستجدات بكل اقتدار وكفاءة، فهو بذلك قد ساهم في تجديد قدر مهم من الفقه الإسلامي.

وقد سرتني الدعوة الكريمة من معالي الأمين العام للمجمع الأستاذ الدكتور قطب مصطفى سانو ـ حفظه الله ـ لتقديم بحث حول موضوع: «دور آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي في دعم العمل الإنساني في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث، ودور النهوض بثقافة التطوُّع لتعزيز العمل الإسلامي المشترك»، والمشاركة به في مؤتمر دورة المجمع الخامسة والعشرين، فاستجبت شاكرًا، وتوكَّلتُ على الله عز وجل، وسألته العون والسداد.

وأصل هذا البحث محاضرة شَرُفت بإلقائها بتكليف من معالي الأمين العام للمجمع ـ أيضًا ـ بعنوان «أدوات التمويل الاجتماعي الإسلامي، ودورها في دعم العمل الإنساني»، وذلك في ندوة أقامتها المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (UNCHR) عبر الفضاء الافتراضي بتاريخ ٢ ذي الحجة ١٤٤٢هـ الموافق ١٢ يوليو ٢٠٢١م.

وقد اقتضت طبيعة هذه الورقة العلمية – مع الالتزام بالمحاور التي وضعتها الأمانة العامة الموقرة للمجمع ـ أن تكون في مبحثين:

المبحث الأول: دور آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي في دعم العمل الإنساني في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث.

المطلب الأول: تحديد المراد بالعمل الاجتماعي الإنساني. وفيه:

أولًا: المقصود بالعمل الاجتماعي الإنساني من وجهة النظر الإسلامية.

وثانيًا: ما يتميز به العمل الاجتماعي الإنساني في الإسلام.

وثالثًا: خصائص العمل الاجتماعي الإسلامي.

ورابعًا: المقصود بالعمل الاجتماعي الإنساني من وجهة نظر المنظمات الدولية، وخطط الاستجابة الإنسانية وأشكال التمويل المرتَّب لها حاليًا من قبل هذه المنظمات.

المطلب الثاني: التمويل الاجتماعي الإسلامي. وفيه:

أولًا: المقصود بالتمويل الاجتماعي.

وثانيًا: أدوات التمويل الاجتماعي الإسلامي:

وفيها: (أ) الأدوات الإلزامية: وهي زكاة الأموال وزكاة الفطر، وزكاة الثمار والزروع والأنعام وعروض التجارة وزكاة المعادن والركاز.

(ب) الأدوات غير الإلزامية المجانية القائمة على التبرع والارتفاق: وهي القرض، والعارية، وصدقة التطوع، والوقف، والوصايا، والرقبى والعمرى.

(ج): الأدوات الاستثمارية: وهي المرابحة، والمشاركة، والمضاربة، والتورُّق، والسلم، والاستصناع والإجارة، والجعالة، والمزارعة والمساقاة.

المبحث الثاني: دور النهوض بثقافة التطوع لتعزيز العمل الإسلامي المشترك.

المطلب الأول: بيان أهمية الأعمال التطوعية ودورها الفعال في استقرار المجتمعات، وتضامنها. وفيه:

أولًا: تحديد المراد بثقافة التطوع، وما هي الأعمال التي تندرج ضمن الأعمال التطوعية؟

ثانيًا: الحضور المَكين والمتميز لثقافة التطوع في الواقع العملي للمسلمين وفي أدبياتهم.

ثالثًا: مكانة العمل التطوعي في الإسلام، وحكمه الشرعي.

رابعًا: ميزات العمل التطوعي وخصائصه في الإسلام.

المطلب الثاني: تعزيز العمل التطوعي للقيم الاجتماعية وللتكافل الاجتماعي والتلاحم والتآزر بين أفراد المجتمع، وحله لكثير من المشكلات، والأزمات المجتمعية، والاقتصادية وغيرها.

المطلب الثالث: اقتراحات لتعزيز وترسيخ ثقافة العمل التطوعي في نفوس الناشئة والشباب من خلال المناهج المدرسية ووسائل الإعلام المختلفة.

ووضعت في نهاية البحث خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلتُ إليها، وقد صغتها بما يكون صالحًا لمشروع للقرار المقترح إصداره من المجمع.

وما كان من صواب في هذا البحث فمن توفيق الله عز وجل وفضله، فله الحمد على عظيم نعمائه، وما كان من خطأ فأسأل المولى الهداية والمغفرة والرضوان، ولوالِدِيَّ وللمؤمنين والمؤمنات.

ختامًا أسأل الله العلي القدير أن ينفع بهذا البحث، فهو ولي التوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

د. عبد القاهر محمد أحمد قمر

المبحث الأول
دور آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي في دعم العمل الإنساني في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث

المطلب الأول : تحديد المراد بالعمل الاجتماعي الإنساني

أولًا: المقصود بالعمل الاجتماعي الإنساني من وجهة النظر الإسلامية:

يقصد بالعمل الإنساني (Humanitarian work)، أو العمل الاجتماعي الإنساني: العمل الذي لا يعتمد على تحقيقِ أية أرباح أو أي مردودٍ مادي؛ بل يعتمد على تقديم المساعدة والخدمات الإنسانية التي يحتاجها الأفراد ذوو الحاجات المختلفة من طعام ودواء ومأوى وغيرها مما يحقق سلامة البشر وكرامتهم وحقهم في الازدهار(١).

والمسؤولية الاجتماعية هي الأساس الذي يرتكز عليه العمل الاجتماعي، وهذه المسؤولية يتحملها كل واحد، سواء أكان فردًا أم مؤسسة أم منظمة أو حكومة، تجاه نفسها ومجتمعها، وقد ذكرت هذه المسؤولية بمعانيها الشاملة في الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ألا كُلُّكُم راعٍ، وكلُّكُم مسؤولٌ عن رعيَّتِه، فالأميرُ الذي على الناس راعٍ، وهو مسؤولٌ عن رعيَّتِه، والرجلُ راعٍ على أهلِ بيتِه، وهو مسؤولٌ عنهم، والمرأةُ راعيةٌ على بيتِ بَعلِها وولدِه، وهي مسؤولةٌ عنهم، والعبدُ راعٍ على مالِ سيِّدِه وهو مسؤولٌ عنه، ألا فكُلُّكُم راعٍ، وكُلُّكُم مسؤولٌ عن رعيَّتِه»(٢).

ويراد بالعمل الإنساني في الأدبيات الإسلامية: التبرع وبذل الخير.

والتبرع لغة: مأخوذ من برع الرجل وبرُع بالضم ـ أيضًا ـ براعةً، أي: فاق أصحابه في العلم، وفي كل فضيلة وجمال، فهو بارعٌ، وتبرَّع بالعطاء: تفضّل بما لا يجب عليه، وفعله متبرِّعًا: متطوِّعًا (٣)، وغير طالب عوضًا.

---

(١) ينظر: تعريف العمل الإنساني، ما هو العمل الإنساني؟ لمحمد سليمان، مقال على صفحة: https://wikiwic.com/
وينظر كذلك مقال: إعداد خطة العمل الإنساني، أنطوان جيرار، على رابط الأمم المتحدة: https://www.un.org/ar/chronicle/article/20183

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، رقم: ٣٣١٦.

(٣) القاموس المحيط والقابوس الوسيط في جميع لغات العرب التي ذهبت شماطيط، لمجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب الناشر، الطبعة الثانية، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ)، باب العين، فصل الباء، ص٩٠٧.

ومن التعريفات الجامعة للعمل الاجتماعي الإنساني، سواء كان جهدًا أو بذلًا للمال، تعريف الإمام الطاهر ابن عاشور من خلال تعريفِه التبرع، فقد عرَّفه بقوله: «بذلُ المُكلَّفِ مالًا أو منفعة لغيره في الحال، أو في المآل، بلا عِوَض، بقصد البر والمعروف غالبًا»(١).

وهذا يعني: أن يخرج المرء من ماله على سبيل المساعدة والتبرع أو يقدِّم خدماته على سبيل المواساة، ودون انتظار العوض والرد، وكل ذلك يعتبر خلقًا إسلاميًّا نبيلًا، تحصل به الأُلفة وسَدُّ الحاجة والبِرِّ والمودة.

ثانيًا: ما يتميز به العمل الاجتماعي الإنساني في الإسلام:

أ ـ يتميز بكونه عملًا دينيًّا مؤصَّلًا عقائديًّا، ولقد وردت كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة مُعزِّزة من قيمة العمل الاجتماعي الإنساني (الخيري)، منها:

ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠].

ـ وقوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

ـ يرى القرآن الكريم أن من لا يقوم بالعمل الخيري في أي شكل من أشكاله بمثابة المُكذِّب بالدين، يقول تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۞ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١ - ٣].

ـ جعل الإسلام إنفاق الأموال ـ وهي قوام غالب أعمال الخير ـ من الواجبات المفروضة على المسلمين، ورتَّب العقاب على من لم يبذلها في أعمال الخير، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠]. وهناك آيات كريمة أخرى كثيرة تحض على بذل الأموال والإنفاق في أعمال الخير.

---

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر ابن عاشور التونسي، تحقيق: أ. د. محمد الحبيب ابن الخوجة، (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م) ج٢ ص ٤٢٩. وإن كان الفقهاء السابقون لم يضعوا تعريفًا للتبرع، وإنما عرفوا أنواعه كالوصية والوقف والهبة وغيرها، وكل تعريف لنوع من هذه الأنواع يحدد ماهيته فقط، ومع هذا فإن معنى التبرع عند الفقهاء كما يؤخذ من تعريفهم لهذه الأنواع، لا يخرج عن كون التبرع بذل المكلف مالًا أو منفعة لغيره في الحال أو المآل بلا عوض بقصد البر والمعروف غالبًا. [الموسوعة الفقهية الكويتية: ١١/ ٥٧].

كما أن في سنة رسول الله ﷺ القولية والفعلية ترغيبٌ وحض على العمل الاجتماعي الإنساني، وبيان لأهميته في حياة المسلمين، وقد جسَّد صحابة رسول الله ﷺ هذه الأعمال وطبقوها واقعًا، وقدموها نماذج مشرقة ومشرفة، تجسيدًا للقوة الإيمانية التي كانوا يتحلون بها، ومن ذلك:

ـ ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «مَن نفَّس عن مُؤمِنٍ كُربةً مِن كُرَبِ الدُّنيا، نفَّسَ الله عنهُ كُربةً مِن كُربِ يومِ القِيامة، ومَن يسَّر على مُعسِرٍ، يسّر الله عليهِ فِي الدُّنيا والآخِرة، ومن ستَر مُسلِمًا سترهُ الله فِي الدُّنيا والآخِرة، والله فِي عونِ العبدِ ما كان العبدُ فِي عونِ أخِيه، ومَن سلَك طرِيقًا يلتمِسُ فِيهِ عِلمًا، سهَّل الله لهُ بِهِ طرِيقًا إِلى الجنّة، وما اجتمع قومٌ فِي بيتٍ مِن بُيُوتِ الله، يتلُون كِتاب الله، ويتدارسُونهُ بينهُم، إِلَّا نزلت عليهِمُ السّكِينة، وغشِيتهُمُ الرحمة، وحفَّتهُمُ الملائِكة، وذكَرَهُمُ الله فِيمن عِنده، ومن بطَّأ بِهِ عملُه، لم يُسرِع بِهِ نسبُه»(١).

ـ وفي الصحيحين عن عبدِ الله بنِ عُمر أخبره: أنّ رسُول الله ﷺ قال: «المُسلِمُ أخُو المُسلِمِ لا يظلِمُهُ ولا يُسلِمُه، ومن كان فِي حاجةِ أخِيهِ كان الله فِي حاجتِه، ومَن فرَّج عن مُسلِمٍ كُربة، فرَّج الله عنهُ كُربةً مِن كُرُباتِ يومِ القِيامة، ومن ستر مُسلِمًا سترهُ الله يوم القِيامةِ»(٢).

وإن فعل الخيرات وخاصة في المجال الاجتماعي الإنساني ليمثِّلَ الفَهم الدقيق لمفهوم الإيمان بالله تعالى، وذلك فيما أوردناه من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة المتنوعة في دلالتها، وغيرها من النصوص التي لم يتسع المجال لذكرها، والتي تدل على أهمية فعل الخير ووجوب تكافل أفراد المجتمع فيما بينهم، وإن التاريخ الإسلامي لمليء، والحضارة الإسلامية لشاهدة بالوقائع والحوادث العريقة الأصيلة، والتي كانت لها آثار اجتماعية جليلة محليًّا، وعلى الأمم والمجتمعات التي عاشت في ظل الدولة الإسلامية وحضارتها المجيدة، وعلى الأمم التي تواصلت مع الدولة الإسلامية.

ومما يعدّ من أبرز صور البر التي أمرنا الباري سبحانه بفعلها وتلبيتها، ما ورد في قوله: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، كما أن هذه الآية تأكيد على اقتران فعل البر بأنواعه بالعبادة ورضى الله سبحانه، وأعظم بهذا الاقتران.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم: ٢٦٩٩.
(٢) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم: ٢٤٤٢.

ب ـ مفهوم العمل الاجتماعي في الإسلام يتعدى دائرة الأخوة الإسلامية إلى دائرة الأخوة الإنسانية والإحسان إلى الكافة:

إن مفهوم العمل الاجتماعي يتعدى دائرة الأخوة الإسلامية إلى دائرة الأخوة الإنسانية، بل إلى دائرة أشمل هي دائرة الخير المُطلَق والإحسان، من ذلك قولُه تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، والمراد وجوب بذل الإحسان للكافة، بل ويرغب الإسلام في الإحسان حتى إلى الحيوان، وفي المحافظة على البيئة كلها من حوله.

ج ـ دعا الإسلام إلى العدالة في الحقوق والواجبات بين الجميع، ودون تفريق على أساس ديني:

لقد حمّل الإسلام أتباعه مسؤوليات دينية واجتماعية وسياسية عديدة، وأوجب عليهم العدالة في الحقوق وفي الالتزامات الدينية؛ من حب، وموالاة، وتكافل، ومناصرة، وتعاضُدٍ، ومؤازرة وغيرها بين الجميع، ودون أي تفريق على أساس ديني أو غيره.

د ـ العمل الاجتماعي الإنساني في الإسلام قربة إلى الله تعالى:

العمل الاجتماعي في الإسلام ليس عملًا إنسانيًّا فحسب، بل إنه عمل ديني مرتَّب عليه ثواب أخروي، وقربة يتقرب بها إلى الله عز وجل، وينبني على أدلة شرعية عديدة من الكتاب والسنة،، وهو أيضًا من المقاصد التي خلق الإنسان من أجلها، فأي عمل يقدمه الإنسان من أجل إعمار الأرض، ويصد عما يؤدي إلى خرابها، فإن الإسلام يوليه عناية وأهمية؛ فتندرج تحت باب العمل الاجتماعي الإنساني كل الأمور المتعلقة بمساعدة الناس وسد احتياجاتهم، وإغاثتهم بما فيها ما يكون أثناء الكوارث، وفي زمن الأوبئة وخلال وقوع النزاعات، وغير ذلك، والأدلة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومنها:

ـ قال تعالى: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]. والخير كلما كان عامًّا ويتعدى نفعه لأكثر الناس، كان أفضل من الخير المخصوص على فاعله، فالصوم نفعه خاص على الفاعل، أما مساعدة الناس، فيتعدى إلى الآخرين، وهو أفضل، والأجر يكون فيه أكثر، وعلى قدر النفع والإفادة يعظم الأجر والمثوبة.

ـ ولتشجيع المسلمين على دعم العمل الخيري وحثهم عليه أوصل الإسلام درجته إلى درجة العبادات، ورتب عليها الأجور والثواب إذا فعلها المسلم بنية القربة، ونفع الناس وخدمتهم. قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ [الحديد: ١١]، ويدخل في ذلك كل معروف وإحسان إلى من يستحقونه من ذوي الحاجات وتوفير المساعدة لهم.

ـ وسَّع الإسلام دائرة المستفيدين بالعمل الخيري، وجعل الأجر مرتَّبًا حتى حينما يتصدق المسلم على كل ذي كبد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسُول الله ﷺ قال: «بينما رجُلٌ يمشِي بطريقٍ اشتدَّ عليهِ العطش، فوجد بِئرًا فنزل فِيها فشرِب، ثُمّ خرج فإِذا كلبٌ يلهثُ يأكُلُ الثرى مِن العطش، فقال الرجُل: لقد بلغ هذا الكلبُ مِن العطشِ مِثل الذِي كان قد بلغ مِنِّي، فنزل البِئر فملأ خُفَّه ماءً ثُمّ أمسكه بِفيه، حتّى رقِي فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له». قالُوا: يا رسول الله، إِنَّ لنا في البهائِم أجرًا؟ فقال: «في كُلِّ كبِدٍ رطبةٍ أجرٌ». متفقٌ عليه[١].

هـ ـ مضاعفة الأجر عند دعم العمل الإنساني في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث:

يعتبر دعم العمل الإنساني في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث هو السبيل الأفضل لمضاعفة الحسنات والأجور والتقرب إلى الله؛ لأنه كلما تحرى الإنسان في إعانة ذوي الحاجة والعوز وبذل لمن حاجته أشد، فالأجر عند ذلك يكون أكثر، بل أضعافًا مضاعفة، وأسرع قبولًا، فقد أخرج الطبراني بسنده إلى النبي ﷺ قال: «أحبُّ النّاسِ إِلى الله أنفعهُم لِلنّاس، وأحبُّ الأعمالِ إِلى الله سُرُورٍ تُدخِلُهُ على مُسلِمٍ، أو تكشِفُ عنهُ كُربة، أو تقضِي عنهُ دِينًا، أو تطردُ عنهُ جُوعًا، ولأن أمشِي مع أخٍ لِي فِي حاجةٍ أحبُّ إِليّ مِن أن أعتكِف فِي هذا المسجِد، يعنِي مسجِد المدِينة، شهرًا، ومن كفَّ غضبهُ ستر الله عورتَه، ومن كظَم غيظَه، ولو شاء أن يُمضِيهُ أمضاه، ملأ الله عزَّ وجلَّ قلبَهُ أمنًا يوم القِيامة، ومَن مشى مع أخِيهِ فِي حاجةٍ حتّى أثبتها له، أثبت الله عزّ وجلّ قدَمَهُ على الصِّراطِ يوم تزِلُّ فِيهِ الأقدامُ»[٢].

ومن خلال ما أوردناه من الآيات الكريمات والأحاديث النبوية الشريفة يتبين لنا أن الإسلام يحث الناس على العمل الاجتماعي الإنساني الخيري؛ خدمة للمحتاجين إليه، بغض النظر عن دينهم أو انتماءاتهم أو أفكارهم أو أجناسهم، ودون تفريق بين لون أو جنس؛ ذكر وأنثى أو بين صغير وكبير، بل يحث على العون ابتغاء وجهه الكريم سبحانه، فالمسلم يقوم بالعمل الخيري لأهداف تتعلق بالآخرة؛ ابتغاء الثواب من الله، والدخول في جنات النعيم، فضلًا عما يناله في الحياة الدنيا من بركة وسكينة.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار (٤/ ١٧٣)، رقم: (٣٤٦٧). ومسلم، كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها (٤/ ١٧٦١)، رقم: (٢٢٤٥).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» [المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني، ط٢، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي (القاهرة: مكتبة ابن تيمية)، (رقم الحديث: ١٣٦٤٦)]، وأخرجه في «الأوسط» [المعجم الأوسط، تحقيق: أبي معاذ طارق بن عوض الله وأبي الفضل عبد المحسن الحسيني، (القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)، (رقم الحديث٦٠٦٢)].

و ـ وجوب سلوك أسباب الخير، وتجنب سلوك سبيل الشر، وأداء الأمانات لأهلها والتزام الشفافية، والتحذير من الغلول والخيانة والغش والخداع والخيانة:

ـ لقد أرشد الله سبحانه وتعالى المسلمين إلى بذل الجهد في سلوك أسباب الخير، وتجنب سلوك سبيل الشر، وسؤاله عز وجل الإعانة والتوفيق والهداية في أعمالهم، فهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير، وهو الذي يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٤]، ويقول تبارك اسمه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ـ وحرم سبحانه الغلول والسرقة من الأموال العامة، قال جل جلاله: ﴿وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١]، وحرَّم ظلم الضعفاء وهضم حقوقهم، وحذر من الخيانة، وأوجب أداء الأمانات لأهلها، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وقال عز وجل في صفة أهل الجنة: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

ـ وأوجب الالتزام بالشفافية والعدالة، وحرم الغش والخداع، فهي من صفات المنافقين، وقد وصف الله جل وعلا أهل النفاق بالخداع، فقال: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: ١٤٢].

وعن أبي هُريرة رضي الله عنه أنّ رسُول الله ﷺ قال: «مَن حمَلَ علينا السِّلاح، فليس مِنّا، ومَن غشّنا، فليس مِنّا»(١).

ثالثًا: خصائص العمل الاجتماعي الإسلامي:

يتسم العمل الاجتماعي الإسلامي من وجهة النظر الشرعية بعدة خصائص، ومن جملتها ما يلي:

الخصيصة الأولى: الإخلاص لله عز وجل:

لما كان العمل الاجتماعي الإنساني عبادة يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى، فإنه لا بد وأن يكون طيبًا خالصًا لوجه الكريم؛ ولا يكون للرياء والسمعة، أو أجل الحصول على مكاسب مادية (سواء أكانت مباشرة، أو تعويضية، أو إسقاط لالتزامات مالية أخرى)، أو حتى للحصول على مصالح معنوية (دعائية كانت أو للحصول على المجاملات والمكافآت، وغير ذلك)، دليل قوله عليه أطيب الصلاة والسلام: «إنّما الأعمالُ بالنيات، وإنما لكلِّ امرئٍ ما نوى»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم، ج١ ص١٥٧٩.

(٢) رواه البخاري بسنده إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، (١/ ٦) رقم: (١).

وفي هذا المعنى يذكر ابن القيـم رحمه الله: «فأما النية فهي رأس الأمر وعموده، وأساسه وأصله الذي يُبنى، فإنها روح العمل وقائده وسائقه، والعمل تابع لها وعليها يبنى، يصح بصحتها، ويفسد بفسادها، وبها يُستجلب التوفيق، وبعدمها يحصُل الخِذلان، وبحسبها تتفاوت الدرجات في الدنيا والآخرة»(١).

الخصيصة الثانية: الشمولية العامة في الخير والرحمة والأخوة:

أما شمولية الخير، فالمطلوب من المسلم أن يفعل الخير لكل أحد، ودون تفريق بين الناس على أساس الدين أو الجنس أو العرق، ويسوي في ذلك بين الذكر والأنثى، والكبير والصغير، والقريب وذي الرحم، والصديق والغريب، والمسلم وغير المسلم، فإن الإسلام دين يروم الانفتاح والتعارف، ويأمر بالبر والقسط مع بني البشر كلهم، ويوجب مزيدًا من العناية والرعاية لذوي الإعاقة(٢) والمرضى والمصابين بالاضطرابات العقلية والنفسية، وهو دين أنزله الله تعالى لمصلحة البشرية كافة، وبعث نبيه رحمة للعالمين، وهاديًا الناس إلى التكافل والتعاون، وزارعًا في النفوس المحبة والأخوة، قال تعالى في كتابه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. وقال سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥].

وأما شمولية الرحمة، فدليلها قولُ النبي ﷺ: «والذي نفسي بيدِه لا تدخلوا الجنة حتى تراحَموا»، قالوا: بلى يا رسول الله كلنا رحيم. قال: «إنه ليس برَحمةِ أحدِكُم صاحبَه، ولكن رحمةُ العامة»(٣)، والمراد أن الرحمة في الإسلام اتَّسعت لتشمل الجميع، ودون خصوصية لأحد، ودون تفريق أيضًا(٤).

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، تقديم وتعليق وتخريج: مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٢٣ هـ)، ج٦ ص١٠٦.

(٢) تثبت بعض الدراسات أن ١٥٪ من سكان العالم يعانون من الإعاقة، ويعيش ٨٠٪ منهم في البلدان النامية، وهي الفئة الأكثر هشاشة التي تتعرض إلى الإهمال وسوء المعاملة وهي الأقل حظًّا في التعليم. [مقال أهمية العمل الانساني على المجتمع في اليوم العالمي للعمل الإنساني، لرنا الطوسي، نشر بتاريخ ١٩ أغسطس ٢٠٢١م في موقع: https://www.sayidaty.net/node/1263631].

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م)، ج٨ ص٣٠.

(٤) ينظر: العمل الخيري «دراسة تأصيلية تاريخية»، للدكتور: محمد صالح جواد مهدي، مجلة سر من رأى، المجلد ٨، العدد ٣٠، السنة الثامنة، تموز ٢٠١٣م، ص٢١٨.

الخصيصة الثانية: التنوع في أصناف الخير وأساليبه:

من تجليات اهتمام الإسلام بالعمل الاجتماعي الإنساني (الخيري): الترغيب في شتى أنواعه وصوره، ومن هذه الصور: مواساة الفقير والمسكين واليتيم، وإدخال السرور عليهم، وزرع الثقة ونشر التفاؤل، وإشاعة التوكل في نفوس الناس، مع قضاء حوائجهم ومساعدة المحتاج منهم، والقيام بما يجب على المرء من مسؤولياته الاجتماعية تجاه غيره، يؤكد ذلك حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «على كُلِّ مُسلمٍ صدَقةٌ». قال: أرأيت إن لم يجد؟ قال: «يَعمَلُ بيدَيه فينفَعُ نفسَه ويتصدق»، قال: أرأيتَ إن لم يستطع؟ قال: «يُعين ذا الحاجةِ المَلهوف»، قال: «أرأيت إن لم يستطع؟» قال: يأمر بالمعروف أو الخير. قال: «أرأيت إن لم يفعل؟» قال: «يُمسِكُ عن الشَّرّ، فإنها صدقة»(١).

وإن تسهيل الأساليب واتخاذ أفضل السبل وأيسرها مع إتاحة الفرص للراغبين في فعل الخير، ومع الاستغلال الأفضل للأدوات والتقنيات في سبيل إنجاز العمل الاجتماعي الإنساني؛ تلبية لحاجات المعوزين وسدًّا لعوز الفقراء والمساكين، كل ذلك مرغوب إليه في الإسلام.

ومن أمثلة التقنيات والأساليب الحديثة التي يُحبَّذ الاستفادة منها في العمل الإنساني الاجتماعي، ما يلي:

ـ استخدام الإنترنت، وتطبيقات الأجهزة الذكية، ووسائل التواصل الاجتماعي في تقديم المساعدات المالية، وتوزيع وجبات الطعام، وفي خدمات النقل، والخدمات الصحية، والتدريس والتعليم والتدريب عن بعد.

ـ استخدام البطاقات الإلكترونية؛ لتقديم المساعدات المالية.

ـ استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي.

ـ استخدام طائرات «الدرون» المجازة من قِبَل الدول، ووسائل النقل المعتمدة على الطاقة البديلة في النقل(٢).

رابعًا: المقصود بالعمل الاجتماعي الإنساني من وجهة نظر المنظمات الدولية، وخطط الاستجابة الإنسانية وأشكال التمويل المرتب لها حاليًا من قِبَل هذه المنظمات:

١ـ العمل الاجتماعي الإنساني والأمم المتحدة:

في تقرير نشره الأمين العام للأمم المتحدة عام **٢٠١٦**، جاء فيه: «يدعو الأمين العام إلى ضرورة وضع العمل الإنساني ـ أي: سلامة البشر وكرامتهم وحقهم في الازدهار ـ نُصبَ الأعين في عملية صنع

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب: كل معروف صدقة (٨/ ١١)، رقم: (٦٠٢٢)؛ ومسلم، كتاب الكسوف، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (٢/ ٦٩٩)، رقم: (١٠٠٨).

(٢) ينظر: مقال: أهمية العمل الإنساني على المجتمع، لرنا الطوسي، مصدر سابق.

القرار على الصعيد العالمي ويطرح خطة للعمل الإنساني يحدد فيها الإجراءات الرئيسية والتحولات الاستراتيجية الضرورية لتحقيق هذه الرؤية. ويهيب بالدول الأعضاء والأمم المتحدة والمنظمات الإنسانية وسائر الجهات المعنية أن تنهض بخمس مسؤوليات أساسية، ألا وهي:

١ـ كفالة توافر القيادة السياسية القادرة على منع نشوب النزاعات وإنهائها.

٢ـ التمسك بالقواعد التي تكفُل صون الإنسانية.

٣ـ إلحاق الجميع بالركب.

٤ـ تغيير حياة الناس، من إيصال المعونة إلى إنهاء الحاجة.

٥ـ الاستثمار في العمل الإنساني.

والواقع أن المسؤوليات الأساسية الخمس المنصوص عليها في خطة العمل الإنساني يمكن، متى ما أُديت مجتمعة، ستغير حياة الناس وستحدث تحولا هائلا في أسلوب تعامل المجتمع العالمي مع معاناة البشر، وذلك عن طريق التأهب للأزمات والتصدي لها[١]. وعندما يكون النظام الإنساني ممولا تمويلا كافيا، فإنه يكون فعالا يؤدي إلى تحقيق النتائج[٢].

ومما سبق تهمنا في ورقتنا العلمية هذه، مما ورد في حديث الأمين العام للأمم المتحدة؛ النقطة الرابعة، وكذلك النقطة الخامسة.

وإذا اطلعنا على التقارير الصادرة من الأمم المتحدة ومنظماتها المتفرعة عنها نجد أن الخدمات الإنسانية لدعم الأشخاص المتضررين بالكوارث والأوبئة والنزاعات تقدم في الدول الإسلامية بشكل كبير.

وإن أشكال التمويل المُخطَّط لها (= خطط الاستجابة الإنسانية) من قبل الأمم المتحدة وهيئاتها في العمل الإنساني تتمثل فيما يأتي:

أ ـ تنادي المنظمات الدولية بتقوية الكفاءة المالية للنظام الدولي للعمل الإنساني (وخاصة آثار خصائص تمويله) ومدى فعالية العمل الإنساني، وذلك بتحسين الصلات بين شركاء العمل الإنساني والشركاء الإنمائيين للعمل معا بشكل أوثق؛ لتحقيق تحسينات ملموسة في حياة الناس.

---

(١) تقرير الأمين العام للأمم المتحدة إلى مؤتمر القمة العالمي للعمل الإنساني بعنوان «إنسانية واحدة: مسؤولية مشتركة». وذلك على الرابط: https://www.un.org/ar/chronicle/article/20183

(٢) ينظر: https://www.humanitarianresponse.info/sites/ www.humanitarianresponse.info/files/ documents/files/gho_2018-22122017-ar_0.pdf

ب ـ ترغب في أن يكون التمويل متعدد السنوات، طويل الأمد، وسريع الاستجابة المبكرة.

ج ـ تحقيق مكاسب ذات فعالية وكفاءة في العمليات الإنسانية، وخاصة في سياق الأزمات الممتدة.

د ـ يعتبر متخصصو الإغاثة الإنسانية الإسهامات المالية المُقدَّمة إلى وكالات المعونة التي تتمتع بسمعة جيدة بمثابة الشكل الأكثر قيمة وفعالية للاستجابة لحالات الطوارئ الإنسانية. سواء كان ذلك للصناديق القُطرية أو للمؤسسات في خطط الاستجابة الإنسانية أو من خلال الصندوق المركزي لمواجهة الطوارئ(١).

٢ـ العمل الإنساني ومنظمة التعاون الإسلامي:

كونت منظمة التعاون الإسلامي مجلسًا للمنظمات الإنسانية باتفاق من المنظمات الإنسانية غير الحكومية الحائزة على الصفة الاستشارية في منظمة التعاون الإسلامي، منها مجالس تعمل في دول إسلامية، وأخرى خارجها، ويشارك في المجلس ممثلون لمنظمات المجتمع المدني في الدول الأعضاء والأقليات المسلمة خارج العالم الإسلامي، وسيؤدي دورًا مُهمًّا في دعم العمل الإنساني(٢).

وفي برنامج العمل لمنظمة التعاون الإسلامي حتى عام **٢٠٢٥** (٣) نجد أنه ذُكِر العمل الإنساني خمس مرات، وفي أكثرها ربطها بالعمل الإسلامي، وذلك من أجل إبراز أنها تدخل ضمن الأعمال الخيرية؛ فذكر: العمل الإنساني الإسلامي المشترك، وتعزيز التعاون والتنسيق مع الشركاء على المستويين الإقليمي والدولي، وخاصة وكلاء الأمم المتحدة، بشأن اللاجئين والنازحين في الدول الأعضاء. ونبه إلى أنه يقتضي تزايد عبء الكوارث الطبيعية والصراعات المختلفة في العديد من الدول الأعضاء في المنظمة تعزيز العمل الإنساني الإسلامي المشترك، وتطوير آليات مناسبة للاستجابة للكوارث، وتعزيز قدرة الدول الأعضاء على مواجهة الكوارث، وذلك من خلال تطوير تدابير متكاملة وشاملة تقلِّص من الهشاشة في مواجهة الكوارث وتعزِّز الجاهزية للاستجابة والتعافي.

---

(١) يراجع: **٢٠** لمحة عامة عن العمل الإنساني العالمي **٢٠١٨**، نداء موحد لدعم الأشخاص المتضررين بالكوارث والنزاعات، وثيقة صادرة عن الأمم المتحدة. [https://www.humanitarianresponse.info/sites/www.humanitarianresponse.info/files/documents/files/gho_2018-22122017-ar_0.pdf]

(٢) يراجع:
https://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=08042014&id=07d57a56-2dba-41dd-98a8-a0485fc9d2a8&fb_comment_id=613750748695327_5116787

(٣) يراجع: OIC/SUM-13/POA-Final.

ولدى منظمة التعاون الإسلامي جهاز متخصص يشارك في كثير من الأعمال الإنسانية، وأنجز مشاريع عديدة بصفة دورية، وهو صندوق التضامن الإسلامي، (Islamic Solidarity Fund)[١].

والجدير بالملاحظة بأن منظمة التعاون الإسلامي حينما تذكر في وثائقها جملة «العمل الإنساني الإسلامي»، فإن المراد بالإسلامي فيها النسبة إلى الدول الإسلامية، ويسكنها المسلمون وغيرهم، ولا يراد بالإسلامية اقتصار الأعمال الإنسانية بالمسلمين دون غيرهم. كما أن الفائدة الأخرى هي توجيه النظر إلى ربط هذه الأعمال بالدين؛ لتشجيع الناس عليه رغبة في الثواب ونيل مرضاة الله عز وجل.

٣ـ العمل الاجتماعي الإنساني ومجموعة البنك الإسلامي للتنمية:

إن مجموعة البنك الإسلامي للتنمية (IsDB) هو الآخر لديه جهاز خاص باسم صندوق التضامن الإسلامي للتنمية يقدم خدمات استثمارية تخدم الفقراء، وتعمل على معالجة الفقر وتقديم الحلول الاقتصادية المبكرة الفعالة قبل وقوع المشاكل [٢].

وقد شدّد الدكتور بندر بن محمد حمزة حجار، رئيس المجموعة، على أهمية الحوار الدولي حول دور التمويل الاجتماعي الإسلامي، قائلًا: فيما يعمل العالم للتعايش مع الهشاشة الواضحة في أنظمتنا الاقتصادية والاجتماعية، فإن آليات التمويل الإسلامي الاجتماعي تتيح فرصةً لتحقيق المرونة التي نحتاج اليها. وقال: إنني على ثقة بأن آليات الزكاة والصدقة والوقف والتمويل الإسلامي الأصغر ستقدم منهجية تنموية ذات طبيعة قاعدية تتسم بالشمول والمرونة، وأتطلع إلى العمل مع شركائنا في الأمم المتحدة لتعميم هذه الأدوات لتلبية الاحتياجات الملحة وتحقيق أهداف التنمية المستدامة[٣].

٤ـ العمل الاجتماعي الإنساني ومجمع الفقه الإسلامي الدولي:

مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي، انطلاقًا من اختصاصاته في بحث الأحكام الشرعية للقضايا المستجدة الإقليمية والدولية، بذل عنايةً جليلة في بحث الأحكام المتعلقة بالعمل الاجتماعي الإنساني، ومن ذلك ما يلي:

---

(١) يراجع: موقع صندوق التضامن الإسلامي بمنظمة التعاون الإسلامي: http://www.isf-fsi.org/ar/?lang=ar

(٢) يراجع: تقرير سير العمل في صندوق التضامن الإسلامي للتنمية، ومجموعة البنك الإسلامي للتنمية، يعرض على الدورة الثالثة والثلاثين لاجتماع الكومسيك (إسطنبول تركيا، ٢٠-٢٣ نوفمبر ٢٠١٧)، منشور على الرابط:
http://www.comcec.org/ar/wp-content/uploads/2017/11/33-IS-ISFD-A.pdf

(٣) هذا ما ذكره خلال حفل إطلاق المبادرة العالمية: «الحوار الدولي حول دور التمويل الاجتماعي الإسلامي في تحقيق أهداف التنمية المستدامة» بتاريخ ١١ مايو ٢٠٢١، ينظر موقع البنك على الرابط:
https://www.isdb.org/ar/news/altmwyl-alajtmay-alaslamy-ldm-jhwd-altafy-waadt-albna-bd-jayht-kwfyd-19.

أ ـ الدعوة لمحاربة الفقر، والجوع، والمرض، وتنمية موارد الثروة والاستثمارات والمشروعات المشتركة التي تعود بالنفع على الإنسانية، وذلك في القرار رقم ١٥٠ (٨/ ١٦) بشأن نحن والآخر، الصادر في الدروة السادسة عشرة بدبي (دولة الإمارات العربية المتحدة) خلال الفترة (٣٠ صفر – ٥ ربيع الأول) ١٤٢٦هـ، الموافق (٩- ١٤) إبريل ٢٠٠٥م، فقد جاء في التوصية الأولى منه: «يدعو المجمع الدول الأعضاء والمنظمات والجامعات والمراكز الإسلامية المختصة إلى إعداد خطط لإصدار مؤلفات ونشر دراسات وبحوث، بمختلف اللغات الحية، في مختلف الموضوعات المتصلة بالحوار لإظهار حقائق الإسلام دين الكون والحياة، وعدم الكراهية للآخر، والتأكيد على قيم الإسلام والأمن والتعاون في محاربة الفقر، والجوع، والمرض، وتنمية موارد الثروة والاستثمارات والمشروعات المشتركة التي تعود بالنفع على الإنسانية».

ب ـ بيان ضرورة تبني برنامج إسلامي واسع للإغاثة، وإجازة تمويل صندوقه من أموال الزكاة والتبرعات والأوقاف الخيرية، وذلك في القرار رقم ٢٥ (١٣/ ٣) بشأن توصيات الدورة الثالثة لمجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي الصادر في الدورة الثالثة بعمّان، المملكة الأردنية الهاشمية، خلال الفترة (٨- ١٣) صفر ١٤٠٧هـ، الموافق (١١- ١٦) أكتوبر ١٩٨٦م، والذي استمع فيه إلى بيان سمو ولي عهد المملكة الأردنية الهاشمية الأمير الحسن بن طلال، حول المشكلات المُلِحّة التي يعاني منها المسلمون في مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وضرورة التوجه لتلبية الحاجات الملحة للمسلمين في مواجهة آثار الفقر والمرض والجهل، وتحقيق الحياة الكريمة للإنسان. وأوصى في الفقرة أولًا منه بما يلي: «ضرورة تبني برنامج إسلامي واسع للإغاثة يُنفَق عليه من صندوق مستقل ينشأ لهذا الغرض ويُموَّل من أموال الزكاة والتبرعات والأوقاف الخيرية».

ج ـ بيان حكم دفع الزكاة لدعم العمل الاجتماعي الإنساني للمسلمين وغير المسلمين، مبينًا جواز ذلك لغير المسلمين أيضًا، وذلك في الدورة التي عقدها في بوتراجايا، ماليزيا، قبل ثلاثة عشر عامًا، في عام ١٤٢٨هـ، الموافق ٢٠٠٧م، وسيأتي بيان التفاصيل والأحكام عند ذكر التفصيل لها.

د ـ بيان أن حكم أموال جمعيات ومؤسسات العمل الاجتماعي الإنساني وأسهمها إذا كانت مملوكة لدى شخص، فإنها لا تجب فيها الزكاة عند حلول الحول، وذلك في قراره رقم: ٢٨ (٣/ ٤) بشأن زكاة الأسهم في الشركات، فقد ورد في الفقرة «ثانيًا» منه ما نصه: «... الأسهم التي لا تجب فيها الزكاة: أسهم الخزانة العامة، وأسهُم الوقف الخيري، وأسهم الجهات الخيرية، وكذلك أسهم غير المسلمين».

وبهذا يتبين أن الأهداف والغايات والرؤى بين منظمة الأمم المتحدة ومنظمة التعاون الإسلامي والبنك الإسلامي للتنمية ومجمع الفقه الإسلامي الدولي بشأن العمل الإنساني والتمويل الاجتماعي الإسلامي متفقة،

بيد أن منظمة التعاون الإسلامي تركِّز على العمل داخل الدول الإسلامية وتضع الخطط والاستراتيجيات وتنسق بين الجهات، والبنك يقوم بالتمويل ويهيئ خطط الاستجابة ومشاريعها وينفذها؛ للاستفادة من أدوات التمويل الاجتماعي الإسلامي في مجال العمل الإنساني، والمَجمَع يمد الجميع بالأحكام الشرعية والقرارات المجمعية وبالتوصيات المفيدة، والأمم المتحدة تقوم بعدة أدوار بما لديها من إمكانات هائلة، وهي تعمل حول العالم، وهذه المنظمات مجتمعة في نهاية المطاف تشترك في بذل ما في وُسعها.

المطلب الثاني: التمويل الاجتماعي الإسلامي

بعد أن تحدثنا في المطلب الأول عن المقصود بالعمل الاجتماعي الإنساني من وجهة النظر الإسلامية، وعن مكانته، وعما يتميز به في الإسلام، وأهميته وخصائصه وذكرنا الأدلة على ذلك من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، كما قد تحدثنا عن المقصود بالعمل الاجتماعي الإنساني من وجهة نظر المنظمات الدولية (الأمم المتحدة ومنظمة التعاون الإسلامية، والبنك الإسلامي للتنمية، ومجمع الفقه الإسلامي الدولي)، وخطط الاستجابة الإنسانية وأشكال التمويل المطلوبة حاليًا، وذكرنا عددًا من قرارات المجمع بشأن قضايا تتعلق بالعمل الاجتماعي الإسلامي، فإننا نهدف في هذا المطلب إلى تحديد المراد بالتمويل الاجتماعي الإسلامي، وبيان دور آلياته في دعم العمل الإنساني، وخصوصًا في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث؛ بغية تحقيق وصول الصدقات والزكوات والتبرعات العينية والمالية بأفضل الطرق وأيسرها وأسرعها إلى المستحقين لها في المناطق تلكم المناطق ذات الأولوية والحاجة المُلِحّة، وليُستفاد منها بالطرق المنظمة الشفافة، وبأفضل الأوجه.

ولنتمكن من تجلية الأمر بشكل أفضل فإننا سوف نعرِّف بالمقصود بالتمويل الاجتماعي وبالعمل الإنساني فيما يلي:

أولًا: المقصود بالتمويل الاجتماعي:

المال: ما ملكته من كل شيء، واستملت: كثر مالك، وتموّل الرجل: كَثُر مالُهُ ونما[١].

ويُعرَّف «التمويل» بمفهومه البسيط جدًّا، على أنه: حصول الأفراد والشركات على الأموال (السيولة النقدية) من مصادر تمويلية مرخصة ونظامية، ومن أفراد آخرين؛ لسد احتياجاتهم من السيولة، وذلك عند حدوث عجز في السيولة النقدية لديهم[٢].

---

(١) ينظر: القاموس المحيط، باب اللام، فصل الميم، ص١٣٦٨.

(٢) ينظر: مفهوم التمويل، لطلحة الأنصاري، مقال بصحيفة الرياض، منشور بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى ١٤٣٨هـ، الموافق ٢٢ فبراير ٢٠١٧م، ومنشور على الرابط: https://www.alriyadh.com/1572838

وبصيغة أخرى، التمويل هو: «توفر النقود في الوقت المناسب، أي: في الوقت الذي تكون فيه المؤسسة في أمس الحاجة للأموال، كما يوفر التمويل الوسائل التي تمكن الأفراد والمؤسسات على الاستهلاك والإنتاج على الترتيب، وذلك في فترات معينة»(١).

والتمويل الاجتماعي (Social Finance) هو نهج لإدارة الأموال التي توفر عوائد اجتماعية وعائدات اقتصادية، وغالبًا ما يستخدم التمويل الاجتماعي لوصف الإقراض والاستثمار في الشركات التي تعتبر نفسها مؤسسات اجتماعية، وجمعيات خيرية، وتعاونيات، ويمكن أن يشمل هذا المصطلح: الاستثمار المجتمعي، والإقراض الأصغر، والاستثمار في أعمال تجارية مستدامة ومسؤولة اجتماعيًّا، وإقراض المشاريع الاجتماعية. كما تندرج الاستثمارات والأعمال الخيرية تحت مظلة التمويل الاجتماعي(٢).

ومن النماذج القائمة التي تعمل حاليًا في التمويل الاجتماعي هو البنك البريطاني (CAF) المملوك لهيئة خيرية، فهو يقدِّم قروضًا مضمونة للجمعيات الخيرية سواء لشراء المساكن أو للمعاقين، وغير ذلك من المجالات الاجتماعية الإنسانية، إضافة إلى منحها قروضًا بلا فوائد، وذُكِر في الموقع الإلكتروني لهذا البنك بأن قروضه المضمونة قد تم تصميمها للجمعيات الخيرية والمؤسسات ذات الأغراض النفعية للمجتمع، وتبدأ هذه القروض الخيرية من ١٥٠ ألف جنيه إسترليني، وتصل إلى ٥ ملايين لخطط الإسكان الاجتماعي، وإن أي فائض يحققه هذا البنك فإنه يعاد استثماره لدعم القطاع الخيري؛ لأن هذا البنك مملوك لمؤسسة (Charities Aid Founda-tion) (CAF) الخيرية (٣).

ومن هذا يتبين أن «التمويل» وإن كان في حقيقته يستخدم في الحصول على الأموال من مؤسسات مالية بعقود معاوضات، إلا أن التمويل الاجتماعي حسب الممارسات القائمة تدخل فيه التبرعات أيضًا، ولكن من خلال عمل مُنظَّم من قبل مؤسسات ومنظمات؛ ليكون شفافًا ومؤتمنًا ومسجَّلًا.

---

(١) سياسات التمويل وأثرها على نجاح الشركات والمؤسسات المالية، للدكتور: محمد عبد الله شاهين، (القاهرة: دار حميثرا للنشر والترجمة، ٢٠١٧)، ص ٣٣.

(٢) تمويل اجتماعي https://ar.wikipedia.org/wiki

(٣) ينظر موقع بنك (CAF) على صفحة: https://www.cafonline.org/caf-bank/secured-loans، وبخصوص القروض بلا فوائد فعلى صفحة: https://www.cafonline.org/caf-bank/secured-loans/charity-finance-guides/financing-the-future

وعليه فيمكن تعريف التمويل الاجتماعي الإسلامي بأنه: تقديم الشخص ما يملكه، على سبيل الإلزام أو التبرع أو المشاركة أو الاسترباح لمن يستفيد منه، أو يتصرف فيه، أو يديره، وفقا لما تجيزه الأحكام الشرعية ومن خلال عمل مؤسسي مجاز [١].

ثانيًا: أدوات التمويل الاجتماعي الإسلامي:

تتنوع أدوات التمويل الاجتماعي الإسلامي إلى عدة أنواع، منها ما هي إلزامية على المسلمين، ومنها ما هو غير إلزامي، وفيما يلي نبين أدوات التمويل الاجتماعي الإسلامي بأنواعها.

أ ـ الأدوات الإلزامية من أدوات التمويل الاجتماعي الإسلامي:

١ـ زكاة الأموال وزكاة الفطر، الزكاة لغة: النماء والصفوة والزيادة[٢]، واصطلاحًا: قدر من المال في مال مخصوص لمالك مخصوص. وأصل الزكاة: النمو الحاصل عن بركة الله، ويعتبر ذلك بالأمور الدنيوية والأخروية، وقد سميت الزكاة بذلك لما فيها من رجاء البركة أو لتزكية النفس وتنميتها بالخير[٣].

وزكاة الفطر: هي زكاة البدن[٤]، وتكون مع إكمال صيام شهر رمضان، وتعتبر الزكاة أهم مؤسسات التمويل الاجتماعي التي عرفها التاريخ البشري، وهي من روائع الإسلام التي كان لها أثر حتى على أتباع الأديان الأخرى؛ تأليفًا لقلوبهم إلى الإسلام، وللولاء له ولأهله، ومن ميزات الزكاة أنها أداة تمويل مجتمعي عام، وهي في الوقت نفسه فرض عين على كل شخص يملك نصابًا معينًا، ويتحمل مسؤولية إخراجها، بل ويحاسب عليها، وتصل أهميتها لدرجة أنها أحد أهم أركان الإسلام، وفي الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٦٠]. ومع أنه عز وجل قد حدد الأصناف التي تُنفَق عليها الزكاة بدقة، ولم يكل بيانها إلى أحد غيره، حتى لا يترك الأمر لاجتهاد مجتهد ولا افتراض مفترض،

---

(١) من أقرب التعاريف للتمويل الإسلامي لموضوعنا تعريفه: تقديم ثروة عينية أو نقدية إما على سبيل اللزوم، أو التبرع أو التعاون أو الاسترباح من مالكها إلى شخص آخر يديرها ويتصرف فيها لقاء عائد معنوي أو مادي تحث عليه أو تبيحه الأحكام الشرعية. [التمويل الإسلامي للمشروعات الصغيرة، دراسة لأهم مصادر التمويل، إعداد: د. محمد عبد الحميد محمد فرحان، إشراف: أ. د. قاسم الحموري، (الأكاديمية العربية للعلوم المالية والمصرفية، كلية العلوم المصرفية، قسم المصارف الإسلامية، البحث رسالة ماجستير في المصارف الإسلامية، قدمت عام ٢٠٠٣) ص٣٥].

(٢) القاموس المحيط، باب الواو والياء، فصل الزاي، ص١٦٦٧.

(٣) التوقيف على مهمات التعريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، ط١، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١٠هـ)، باب الزاي، فصل الكاف، ص٣٨٧، ٣٨٨.

(٤) التوقيف على مهمات التعريف، باب الفاء، فصل الطاء، ص٥٦١.

فلا تُهضم حقوق المستحقين، لكنه في الوقت نفسه لم يكلها إلى سلطة حاكمة معينة، ولا إلى أي قائد حزب أو إمام طائفة أو سيد جماعة، بل جعلها أمرًا اجتماعيًّا عامًّا فيما بين الناس، فمنح سبحانه المسلمين المرونة في دفعها، ووكَّل الأمر فيها إلى المصلحة التي يراها المُخرِج والمجتمع.

وقد ذهب بعض الفقهاء في ترك الأموال الباطنة (غير الظاهرة) كالنقود والذهب والفضة لأربابها يؤدون زكاتها لمن يستحقونها نيابة عنه الإمام، وهذا المنهج هو الذي اتخذه سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه[١].

والأصناف الثمانية المذكورون في الآية الكريمة السابق ذكرها هم المستحقون للزكاة، وفي مقدمتهم الفقراء والمساكين والعاملين على الصدقات وأبناء السبيل، فيمكن دفع الزكاة إلى هؤلاء الأفراد والجماعات الذين يدخلون في هذه الأصناف الثمانية.

فالزكاة إنما شُرِعت لسد الحاجة، وما دام الإنسان لا يجد ما يسد حاجته وحاجة من يعول فهو من المستحقين للزكاة، وإن الأحاديث التي نقلها الصحابة رضوان الله عليهم عن النبي ﷺ تدل على هذا، مثل حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليسَ المِسكِينُ الذي يطوفُ على الناسِ تردُّهُ اللُّقمةُ واللُّقمتانِ والتمرةُ والتمرتان، ولكن المسكينَ الذي لا يجِدُ غنى يغنيه، ولا يُفطَن به فيُتصدَّق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس»[٢]. فهذا الحديث قد ضبط حدًّا للمسكين، وهو واضح فيه.

ومما سبق يتبين أن الزكاة أداة إلزامية مهمة من أدوات التمويل الاجتماعي الإسلامي، وخاصة للمستحقين في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث.

٢ـ زكاة الثمار والزروع والأنعام وعروض التجارة وزكاة المعادن والركاز، وتسمى بالأموال الظاهرة، وهذه الأموال كُلُّها يمكن للدولة أن تُشرِف على جَمع زكاتها، وتوزيعها على المحتاجين، خاصة وأن مزارع إنتاج الماشية والألبان، وكذلك المؤسسات التجارية، وما فيها من بضائع ومواد منتجة ومستوردة، وكذلك مناجم المعادن بأنواعها، ومصانع إنتاج الصلب والمواد الأولية والثانوية، ومصانع إنتاج المواد التصنيعية وغيرها، كلها تعمل تحت رقابة الدولة ورخصها وإشرافها في زماننا، ويجوز أن تجعل لها هيئات مستقلة خاضعة للرقابة والمحاسبة مهمتها جمع الزكوات، ويكون لها نظام خاص، كما يُستحسن أيضًا إنشاء هيئات أهلية خيرية، ويكون من نشاطها تلقي الزكاة وتوزيعها على المستحقين؛ لأن ذلك يوفر كثيرًا من الجهد لصاحب المال في البحث عمن يستحق زكاته، وهي لديها إمكانات التعرف على الأبواب

(١) حوكمة نظام الزكاة، لمصطفى أمين محمد علي، (لبنان: دار الكتب العلمية)، ص٥٦، ٥٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وكم الغنى، برقم ١٤٧٩، ج٢ ص١٢٥.

التي تُصرَف فيها الزكاة أكثر من غيرهم، وتكون مقصدًا للمحتاجين ومستحقي الزكاة، ووجود جمعيات أهلية تقوم بتلقي الزكاة من الميسورين وتوزيعها بمعرفتها يؤدي إلى إفادة عدد كبير من المستحقين[١].

وهناك أيضًا زكاة الأنفال والفيء والركاز، وكفّارات اليمين والظهار وكفارة ممارسة العلاقة الزوجية في نهار رمضان، وغير ذلك، وهذه كلها لم نفصِّل فيها القول؛ لأنها إما أنها ليست من اختصاصات الإمام، كالخُمس في الأنفال والفيء والركاز، وإما إنها قليلة الوقوع وضيئلة يمكن لمخرجيها من الأفراد إخراجها بحسب ما يرونه من المصلحة.

وبهذا يتبين أن هذه الأدوات الإسلامية الإلزامية أدوات مهمة من أدوات التمويل الإسلامي المجاني، ويجوز للمسلمين أن يدفعوا الأموال الواجبة عليهم لدعم العمل الإنساني؛ لإغاثة المنكوبين أثناء الكوارث والمتضررين إبان الأوبئة وللنازحين، وفي أوقات الصراعات النزاعات، سواء كان المستفيدون مسلمين أم غير مسلمين، وسواء كانت لجمعيات مشرفة تابعة لدولة إسلامية أو لدولة توجد خارج العالم الإسلامي، فقد جاء في قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي في القرار رقم ١٦٥(١٨/ ٣) بشأن تفعيل دور الزكاة في مكافحة الفقر وتنظيم جمعها وصرفها بالاستفادة من الاجتهادات الفقهية، الصادر في بوتراجايا (ماليزيا) عام ١٤٢٨هـ، الموافق عام ٢٠٠٧م، ففي الفقرة خامسًا: مصارف الزكاة الأخرى: ب. المؤلفة قلوبهم: (٣) يجوز تقديم الدعم من أموال الزكاة للمنكوبين من غير المسلمين في مناطق الكوارث والزلازل والفيضانات والمجاعات؛ تأليفًا لقلوبهم. وفي نفس الفقرة: و. ابن السبيل: (٢) تقديم العون المالي من خلال إنشاء صندوق يخصص لمساعدة النازحين داخل أوطانهم أو خارجها، بسبب الحروب أو الفيضانات أو المجاعات أو الزلازل، أو غير ذلك.

وبما يقارب هذا أفتى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى أيضًا[٢].

وإذا كانت الزكاة ركنًا من أركان الإسلام، يتحوط فيها أشد احتياطًا؛ لأنها عبادة مفروضة وقُربة، يجوز دفعها لغير المسلمين أيضًا دعمًا للعمل الإنساني؛ لإغاثة المنكوبين أثناء الكوارث، والمتضررين إبان الأوبئة، والنازحين خلال النزاعات، فمن باب أولى يجوز للمسلمين أن يدفعوا إليهم من صدقات التطوع، ومن غيرها من أدوات التمويل الخيري غير الإلزامي ـ التي سيأتي ذكرها ـ وكل ما يدخل ضمن فعل الخير.

---

(١) ينظر رأي فضيلة الأستاذ الدكتور محمد رأفت عثمان في مقال منشور في ملحق الدين للحياة، بصحيفة الخليج، بتاريخ ١٣ مايو ٢٠١١م. [https://www.alkhaleej.ae].

(٢) ينظر: حكم دفع الصدقة لغير المسلمين، نور على الدرب، الموقع الرسمي لسماحة الشيخ الإمام ابن باز. [https://binbaz.org.sa/fatwas/146789]

ب ـ أدوات التمويل الإسلامي الخيري غير الإلزامي (المجاني القائم على التبرع والارتفاق):

١ ـ القرض، لغة: السلف، وهو «ما تُعطيه لتُقضاه»[١]، واصطلاحًا: «دفع جائز التصرف من ماله قدرًا معلومًا يصِحُّ تسلمه لمثله بصيغة؛ لينتفع به ويرد بدله»[٢]، ويكون خاليًا من الفائدة والزيادة الربوية، وهو عقد مبني على الإحسان، وللمقرض في القرض أجر عظيم. وقد ذهب الفقهاء إلى عدم جواز الاتفاق على أية فائدة بين المقرض والمقترض، واعتبروه من قبيل الربا؛ لأنه اسم لزيادة مشروطة في العقد، بل حرّموا كل منفعة تعود على المقرض من جرّاء القرض، أيًّا كان نوعها وشكلها[٣]، وذلك لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

ويمكن استغلال هذه الأداة من أدوات التمويل بأن تقدم الدول والهيئات التنموية والمؤسسات المالية ذات النفع الخيري قروضًا تنموية ميسرة وبسيطة خالية من الفائدة لصالح مشاريع تقيمها وتشرف عليها المنظمات المعنية بالرعاية والإغاثة واللاجئين، ويمكن استغلال هذه الأداة أيضًا بين أفراد المجتمع عامة، فللأفراد فيما بينهم أن يقرضوا ذويهم وأقاربهم وأصدقاءهم وجيرانهم والموثوق بهم، وذلك تفعيلًا للتكافل والتكاتف فيما بينهم، وينبغي أن تعمل المنظمات المعنية أيضًا بالتشجيع على ذلك، إعلاميًّا وتقدم خططًا ونماذج للمشاريع المسماة في عصرنا الحديث بالمشاريع «المتناهية الصغر».

٢ ـ العاريّة، «من المعاورة، وهي الاستعارة، ولهذا يقال: تعاورنا العواري. وعرفًا: إباحة لانتفاع منها بإيجاب وقبول»[٤]. فهي إباحة منفعة ما يعار بغير عوض لمدة معينة، ثم يعادُ المعار إلى صاحبه[٥]، وهي تشبه القرض في أحكامها.

---

(١) القاموس المحيط، باب الضاد، فصل القاف، ص٨٤٠.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، باب القاف، فصل الراء، ص٥٨٠.

(٣) ينظر: المحلى بالآثار، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، ط: بدون، التاريخ: بدون، (بيروت: دار الفكر) ج٦ ص٢٤٧. المُغني شرح مختصر الخرقي، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي، تحقيق: طه الزيني ومحمود عبد الوهاب فايد، وعبد القادر عطا، ط١، (القاهرة: مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م) ج٤ ص٢٣٦. المجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، ط١، (تكملة محمد نجيب المطيعي، بيروت: دار الفكر، ١٤١٧هـ) ج١٣ ص ١٦١، وما بعدها. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير، محمد عرفه الدسوقي، (مصر: مطبعة دار إحياء الكتب العربية، تصوير: دار الفكر، بيروت) ج٣ ص٢٢٦.

(٤) التوقيف لمهمات التعريف، باب العين، فصل الألف، ص٤٩٦.

(٥) التوقيف لمهمات التعريف، باب العين، فصل الألف، ص٤٩٦.

وهذه الأداة من أدوات التمويل الاجتماعي الإسلامي يمكن الاستفادة منها في مجال العمل الإنساني إبّان الكوارث والنزاعات خاصة، فيمكن لذوي اليسار والمؤسسات إعارة المركبات والسفن والطائرات الخاصة والعامة الكبيرة والصغيرة، أو المباني والمساكن والمستودعات وغيرها، أو تمكين الاستفادة مما لدى الشركات من قوة بشرية وكوادر فنية، أو مقدرات مادية وتقنية وفنية، أو ثروات حيوانية، أو غير ذلك مما تصور إعارته في عصرنا الحديث عند حدوث الكوارث والصراعات والنزاعات بشكل مؤقت.

٣ـ صدقة التطوع: وكلامنا فيما سبق حول الحديث عما يتميز به العمل الاجتماعي الإسلامي وعن خصائصه قد تضمن تفاصيل عدة حول صدقة التطوع، ونزيد هنا: أنه يمكن الاستفادة من صدقة التطوع كأداة من أدوات التمويل الاجتماعي الإسلامي هذه بشكل أوسع، فيمكن للناس التبرع نقدًا وعينًا للمنظمات المحلية والدولية المعنية بشؤون اللاجئين والنازحين والمتضررين بالكوارث، وكذلك للأفراد اللاجئين وغير الميسورين، وهي أداة مفضلة لدى هذه المنظمات ولدى الأفراد أيضًا.

٤ـ الوقف، لغة: «وقف يقفُ وقوفًا: دام قائمًا. ووقفته أنا وقفًا: فعلتُ به ما وقف. ووقف الدار: حبَّسه كأوقفه»[١]. والوقف اصطلاحًا: «حبس المملوك، وتسبيل منفعته مع بقاء عينه، ودوام الانتفاع به من أهل التبرع على معيَّن يملك بتمليكه أو جهة عامة في غير معصية تقرّبًا إلى الله»[٢]. والعين المملوكة إما أن تكون دارًا أو بستانًا أو نقودًا، ويتميز الوقف بأن أصله لا يمكن التصرف فيه ببيع أو هبة أو ميراث أو نقل ملكية، فيبقى ريعه دائمًا مستمرًا، وأصله باقيًا.

ويعتمد الوقف بصفة عامة على الأصول القابلة للنماء والاستثمار، لا على ما يتناقص ويتضاءل. و«الاستدامة» و«التأبيد» هما العنصران الأساسيان في الوقف.

ويقوم الوقف بنوعيه الذرِّي والخيري على سند شرعي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة، والأصل فيه ما روى عبدُ الله بنُ عمر رضي الله عنهما، قال: «أصاب عُمرُ بخيبر أرضًا فأتى النبي ﷺ فقال: أصبت أرضًا لم أُصِب مالًا قطُّ أنفس منه، فكيف تأمُرني؟ قال: إن شِئت حبستَ أصلها، وتصدقت بها. فتصدق بها عمر، أنه لا يُباع أصلُها، ولا يُوهب، ولا يُورَث، في الفقراء والقربى والرقاب وفي سبيل الله والضيف وابن السّبيل، لا جُناح على من ولِيَها أن يأكُل مِنها بالمعروف، أو يُطعِم صديقًا غير مُتموِّلٍ فيه»[٣].

---

(١) القاموس المحيط، باب الفاء، فصل الواو، ص١١١٢.

(٢) ينظر: المغني، لابن قدامة، ج٦ ص٣، وما بعدها.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب الوقف كيف يبدأ. رقم ٢٧٧٢، ج ٤ ص١٢.

ويؤدي الوقف دورًا مهمًّا في تنمية المجتعات، وتتنوع موارده ومصارفه؛ لتشمل مختلف مناحي الحياة، وقد برز عبر التاريخ والحضارة الإسلامية نموذجًا أصيلًا وحيويًّا في خدمة المجتمع، وإشاعة قيم الرحمة والتكافل والتآزر والخير، من خلال مساهمته الفاعلة المستدامة في النواحي الإنسانية والدينية، والاجتماعية والتعليمية والتربوية، والاقتصادية، والحفاظ على كيان الأمة والعائلة والأسرة، وبرز له دور محوري في المجال الاجتماعي في دعم العمل الإنساني في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث، والتخفيف من الأعباء الاجتماعية للدولة[١].

وفيما يلي نذكر حكمًا شرعيًّا متعلِّقًا بالوقف مهمًّا في مجال بحثنا:

ـ حكم تمويل المشروعات المتعلقة بدعم العمل الإنساني في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث من الأوقاف:

لقد أجاز مجمع الفقه الإسلامي الدولي تمويل المشروعات ذات العلاقة بدعم العمل الإنساني في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث للإغاثة بأموال الأوقاف وريعها، وذلك في قراره ـ سابق الذكر ـ رقم **٢٥ (١٣/ ٣)** بشأن توصيات الدورة الثالثة لمجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي الصادر في الدورة الثالثة بعمّان، المملكة الأردنية الهاشمية، خلال الفترة (٨- ١٣) صفر **١٤٠٧**هـ، الموافق (١١- ١٦) أكتوبر **١٩٨٦**م، والذي استمع فيه إلى بيان سمو الأمير الحسن بن طلال، حول المشكلات المُلِحّة التي يعاني منها المسلمون في مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وضرورة التوجه لتلبية الحاجات الملحة للمسلمين في مواجهة آثار الفقر والمرض والجهل، وتحقيق الحياة الكريمة للإنسان. وأوصى في الفقرة أولًا منه بما يلي:

«ضرورة تبني برنامج إسلامي واسع للإغاثة يُنفَق عليه من صندوق مستقل ينشأ لهذا الغرض ويُموَّل من أموال الزكاة والتبرعات والأوقاف الخيرية».

وبهذا يتبين أن الوقف أداة مهمة من أدوات التمويل الاجتماعي الإسلامي، ويمكن الاستفادة منها في مجال العمل الإنساني إبان الصراعات والكوارث والنزاعات على وجه الخصوص.

٥ـ الوصايا، الوصية، هي: «تمليكٌ مضاف لما بعد الموت»[٢]. ولا تكون في أكثر من ثلث التركة. وهذه الأداة من أدوات التمويل الإسلامية لا تفترق كثيرًا عن الوقف إلا في أنها تُنفَّذ بعد موت الموصي،

(١) ينظر: الوقف ودوره في التنمية الاجتماعية، للدكتور: سليم هاني منصور، (بحث مقدم للمؤتمر الثاني للأوقاف «الصيغ التنموية والرؤى المستقبلية»، بالمملكة العربية السعودية، **١٤٢٧**هـ، الموافق **٢٠٠٦**م)، ص **٢**، وما بعدها.

(٢) التوقيف على مهمات التعريف، باب الواو، فصل الصاد، ص **٧٢٧**.

والوقف يكون أثناء الحياة، وقد تندمج الوصية مع الوقف فتكون الوصية بالوقف بعد الممات، والوصايا باب مهم كبير أيضًا، يمكن الاستفادة منه في العمل الإنساني عامة، وفي مجال تمويل المشروعات ذات العلاقة بدعم العمل الإنساني في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث على وجه الخصوص، وذلك بأن يوصي ذوي اليسار من المسلمين لصالح الأعمال الاجتماعية الإنسانية.

وفي بيان أهمية الوصايا ونفعها وفوائدها على الأمد الطويل، أشار معالي الأستاذ الدكتور قطب مصطفى سانو في محاضرته «الوصايا نموذجًا للتمويل الاجتماعيّ الإسلاميّ» التي ألقاها عبر الفضاء الافتراضي بتاريخ **٢٥** شعبان **١٤٤٢**هـ الموافق **٧** إبريل **٢٠٢١**م من خلال منبر حوار الأربعاء بدعوة معهد الاقتصاد الإسلامي التابع لجامعة الملك عبد العزيز بجدة إلى أن تمويل الكنائس والجامعات الخاصة والمؤسسات الاجتماعية في العالم الغربي يأتي أكثرها من أموال الوصايا، حيث تمتلك هذه المؤسسات مليارات الدولار التي تأتيها من الوصايا، مما جعل منها مؤسسات مستقلة في فكرها ومواقفها؛ وتمثل جامعة هارفارد أكبر مثال لذلك؛ حيث إنها تمتلك أموالًا لا تقل عن ثلاثين مليارًا دولارًا أمريكيًّا تحصلت على معظمها من الوصايا[١].

٦ـ الرُّقبى والعُمرى، الرُّقبى لغة، كبُشرى: أن يعطي إنسانًا مِلكًا، فأيهما مات رجع الملك لورثته، أو أن يجعله لفلان ليسكنه، فإن مات ففلان[٢]. والعُمرى لغة: ما يُجعَل لك طول عمرك أو عمره. وعمَرتُه إياه وأعمرتُه: جعلتُه له عُمَرَه أو عُمرِي[٣]. وهي تمليك المنافع أو إباحتها مدة العمر. بأن يقول: أعمرتُكَ هذه الدار أو جعلتُها لك عمرك. وقيل: هي تبقية الشيء مدة عمر الموهوب له أو الواهب، بشرط الاسترداد بعد موت الموهوب له، مثل أن يقول: داري لك عمري[٤]. وهما عند أكثر الفقهاء سواء، بأن يقول الشخص: أرقبتك الدار مثلًا، أو هي لك رقبى مدة حياتك، على أنك إن مت قبلي عادت إلي، وإن متُّ قبلك فهي لك ولعقبك.

وهما مما كان العمل بهما جاريًا في الجاهلية، ولما جاء الإسلام أقرهما، ووضع لهما أحكامًا وضوابط، وهما جائزتان باتفاق، وتشترك العمرى والرقبى مع الهبة في كثيرٍ من الأحكام، وخصوصًا في الأركان والشروط، وتختلف في بعضها، وخصوصًا التأقيت، والعمرى والرقبى من الهبات، وليست من الوصايا، فلا ينطبق عليهما مقدار الثلث.

---

(١) موقع مجمع الفقه الإسلامي الدولي على الرابط: https://iifa-aifi.org/ar/11972.html

(٢) القاموس المحيط، باب الباء، فصل الراء، ص١١٦.

(٣) القاموس المحيط، باب الراء، فصل العين، ص٥٧١.

(٤) تكملة المهذب، لأبي إسحاق الشيرازي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، (لبنان: دار الكتب العلمية) ج١٧ ص٢٣٦.

وللعمرى والرقبى تطبيقات فعلية في المعاملات المالية المعاصرة، تظهر في تصرف المصرف في نصيب العميل المتوفى في الحسابات الاستثمارية المشتركة، وفي قسط التأمين التكافلي على أساس التبرع. وقد ذكر بعض الباحثين بعض التطبيقات المقترحة للعمرى والرقبى في إطار بيع المرابحة للآمر بالشراء، وبيع التقسيط، والإجارة المنتهية بالتمليك، والاستصناع، وكل معاملة تعاقدية مكونة من طرفين أو أكثر، وكذلك اقترح لهما تطبيقات في استثمار الأملاك الوقفية(١).

وهذه الأداة من أدوات التمويل الإسلامي مهمة في مجال العمل الإنساني عامة، وتتصور بأن يعمر أو يرقب بعض المسلمين بعض ما يملكونه لصالح مؤسسة خيرية مدة بقائها تعمل في الأعمال الإنسانية، وحتى إغلاق نشاطها، أو مدة حياتهم فقط.

وتُعتبر أدوات التمويل الاجتماعي الإسلامي، الإلزامية منها وغير الإلزامية (الواجبة والمندوب إليها) هي آليات التمويل «التقليدية» السائدة في بلداننا الإسلامية، والتي يحصل بها التضامن والتكافل ومكافحة الفقر والجوع، وفي دعم العمل الإنساني في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث(٢).

ج ـ الأدوات الاستثمارية من أدوات التمويل الاجتماعي الإسلامي:

الأدوات الاستثمارية من أدوات التمويل الاجتماعي في زماننا غالبًا تُمارَس عبر مؤسسات ومصارف مالية، وهذه تتنوع إلى أنواع:

١ـ بنوك تنموية، وتكون حكومية غالبًا؛ زراعية وصناعية وعقارية وسكنية، تكون خدمات بعضها موجَّهة لتمويل مشاريع الدول، كالتمويل والإقراض لبناء السدود ومصانع الطاقة، وتستحصل مستحقاتها وفوائدها بأقساط من ريع تلك المشاريع، وبعض هذه البنوك التنموية تكون خدماتها موجَّهة للمواطنين، كبنوك التنمية العقارية أو الزراعية أو الصناعية في الدول.

٢ـ بنوك مالية مصرفية تجارية، وهي مهمتها التمويل بالفائدة من خلال عدة تطبيقات، وتمارس شتى أنواع التمويل المالي للعملاء؛ منها المتوافقة مع الشريعة الإسلامية، ومنها غير ذلك.

٣ـ بنوك مملوكة لمؤسسات خيرية، وهي مهمتها التمويل أحيانًا بدون فوائد، وأحيانًا بفوائد ميسرة، إلا أن فوائدها يعاد استخدامها في تمويل أعمال خيرية أخرى، أو تصرف على أعمال الخير.

---

(١) ينظر ملخص بحث: الاستفادة من العمرى والرقبى في المصارف الإسلامية وشركات التكافل والأوقاف، لعبد الله بن قاسم البزار، المنشور في مجلة إسرا الدولية للمالية الإسلامية، المجلد ٢، العدد ٣ (٣١ ديسمبر ٢٠١١) على موقع: https:// emarefa.net/ar

(٢) تبلغ المساهمات السنوية للزكاة في إطار التمويل الاجتماعي الإسلامي حوالي ٣٠٠ مليار دولار أمريكي. [https://www.isdb.org/ar/news/altmwyl-alajtmay-alaslamy-ldm-jhwd-altafy-waadt-albna-bd-jayht-kwfyd-19]

وأدوات التمويل الاجتماعي الإسلامي الاستثمارية، هي:

١ـ المرابحة، في اللغة: «ربِح في تجارته كعلِم: استشف. والرِّبح ـ بالكسر ـ والتحريك، وكسحاب: اسم ما ربِحه»[١]، وهي اصطلاحًا: «البيع بزيادة على الثمن الأول»[٢].

٢ـ المشاركة، أو الشركة، في اللغة: «الشِّرك والشِّركة ـ بكسرهما ـ بمعنًى، وقد اشتركا وتشاركا، وشارك أحدُهما الآخر»[٣]، واصطلاحًا: «اختلاط نصيبين فصاعدًا بحيث لا يتميز. ثم أُطلِق اسم الشركة على العقد، وإن لم يوجد اختلاط النصيبين»[٤].

٣ـ المضاربة، لغة: مفاعلة من الضرب، يقال: «ضرب في الأرض ضربًا وضرَبانًا: خرج تاجرًا أو غازيًا، أو أسرع»[٥]، واصطلاحًا: «عقد شركة في الربح بمالٍ من رجلٍ وعملٍ من آخر»[٦].

٤ـ التورق: «أورق لغة: كثُر مالُه ودراهمه»[٧]، و«في اصطلاح الفقهاء: هو شراء شخص (المستورق) سلعة بثمن مؤجَّل من أجْل أن يبيعها نقدًا بثمن أقل غالبًا إلى غير من اشتُريت منه بقصد الحصول على النقد. وهذا التورق جائز شرعًا، شرط أن يكون مستوفيًا لشروط البيع المقررة شرعًا»[٨].

٥ـ السلَم، «السلَفُ ـ محركة: السلَم، اسم من الإسلاف، والقرض الذي لا منفعة فيه للمقرض، وعلى المقترض ردُّه كما أخذه»[٩]. واصطلاحًا: «بيعٌ موصوف في الذمة بلفظ سلم أو سلف»[١٠].

٦ـ الاستصناع، لغة: «صنع الشيء صُنعًا ـ بالفتح والضم: عمِله»[١١]. واصطلاحًا: «عقد وارد على العمل والعين في الذمة، ملزم للطرفين إذا توافرت فيه الأركان والشروط»[١٢].

---

(١) القاموس المحيط، باب الحاء، فصل الراء، ص٢٧٩.

(٢) التوقيف على مهمات التعريف، باب الميم، فصل الراء، ص٦٤٧.

(٣) القاموس المحيط، باب الكاف، فصل الشين، ص١٢١٩، ١٢٢٠، وتاج العروس، باب الكاف، فصل الشين، ج ٢٧، ص ٢٢٣.

(٤) التوقيف على مهمات التعريف، باب الشين، فصل الراء، ص٤٢٩.

(٥) القاموس المحيط، باب الباء، فصل الضاد، ص١٣٨.

(٦) التوقيف على مهمات التعريف، باب الميم، فصل الضاد، ص٦٦٠.

(٧) القاموس المحيط، باب القاف، فصل الواو، ص١١٩٨.

(٨) الفقرة (١) أولًا من قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي رقم: ١٧٩ (٥/ ١٩) بشأن التورق: حقيقته، أنواعه (الفقهي المعروف والمصرفي المنظم) الصادر في الدورة التاسعة عشرة في إمارة الشارقة (دولة الإمارات العربية المتحدة) خلال الفترة (١ – ٥) جمادى الأولى ١٤٣٠هـ الموافق (٢٦– ٣٠) إبريل ٢٠٠٩م.

(٩) القاموس المحيط، باب الفاء، فصل السين، ص١٠٦٠.

(١٠) التوقيف على مهمات التعريف، باب السين، فصل اللام، ص٤١٢.

(١١) القاموس المحيط، باب العين، فصل الصاد، ص٩٥٤.

(١٢) الفقرة أولًا من قرار المجمع رقم: ٦٥ (٣/ ٧) بشأن عقد الاستصناع الصادر في الدورة السابعة، بجدة في المملكة العربية السعودية، خلال الفترة (٧– ١٢) ذي القعدة ١٤١٢هـ، الموافق (٠٩–١٤) مايو ١٩٩٢م.

٧ـ الإجارة، لغة: الإكراء، يقال: «أجر المملوك أجرًا: أكراه، كآجره إيجارًا ومؤاجراةً»[١]. واصطلاحًا: «العقد على المنافع بعِوض، وهو مالٌ. وتمليك المنفعة بعوض إجارةٌ، وبغيره إعارةٌ»[٢].

٨ـ الجعالة لغة: «ـ مُثلّثة: ما جعلهُ له على عملِه»[٣]. واصطلاحًا: «التزام مال معلوم في مقابلة عمل معلوم، لا على وجه الإجارة»[٤].

٩ـ المزارعة، الزرع في اللغة البذر والغرس، يقال: «زرَع: طرَحَ البذر»[٥]. واصطلاحًا: «المعاملة على الأرض ببعض ما يخرج منها»[٦].

١٠ـ المساقاة، لغة: من السقي مع الدلالة على التشارك فيه، «وأسقاه: دلَّه على الماء، أو سقى ماشيته، أو أرضه»[٧]. واصطلاحًا: «معاقدةٌ جائز التصرف مثله على نخلٍ أو كرمٍ مغروسٍ معيّن مرئي مدّةً يُثمر فيها غالبًا بجزء معلوم بينهما من الثمرة»[٨].

وغيرها من المعاملات المالية الحديثة كالمشتقات المالية والصكوك الإسلامية، فينبغي أداءً للمسؤولية المجتمعية استغلالُ هذه الآليات، وتشجيع المجتمع كافة على استخدامها، وحث البنوك التجارية والمصارف المملوكة للمؤسسات الخيرية والحكومية، وكذلك الأفراد على ذلك، وينبغي أن تعطى الأولوية لدعم المؤسسات العاملة في مجال العمل الإنساني في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث، وكذلك الأفراد ذوي العلاقة بهذا الشأن للاستفادة من هذه الأدوات.

ونوصي في هذا المجال بوضع اللوائح والنُّظُم التي تعين على المشاركات التمويلية المجتمعية، وتضمن الحقوق المالية في حال دخول المصارف في متعلقة بالتمويل الاجتماعي الإسلامي، مع توفير دعم حكومي وقضائي لها، وهو ما سيساعد على التقليل من الفقر والمجاعة والبطالة في المجتمعات، والتوجه لمصرفة خالية من الفوائد الربوية، ويدعم العمل الإنساني في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث، ويساعد على النمو المستدام؛ حيث إن الفوائد الربوية تسحب نسبًا ضخمة من الأموال، تكون المجتمعات الفقيرة بأشد الحاجة إليها، وتسبب عبئًا ثقيلًا عليها.

---

(١) القاموس المحيط، باب الراء، فصل الهمزة، ص٤٣٦.
(٢) التوقيف على مهمات التعريف، باب الهمزة، فصل الجيم، ص٣٥.
(٣) القاموس المحيط، باب اللام، فصل الجيم، ص١٢٦٢.
(٤) التوقيف على مهمات التعريف، باب الجيم، فصل العين، ص٢٤٦.
(٥) القاموس المحيط، باب العين، فصل الزاي، ص٩٣٦.
(٦) التوقيف على مهمات التعريف، باب الزاي، فصل الراء، ص٢٨٥.
(٧) القاموس المحيط، باب الواو والياء، فصل السين، ص١٦٧١.
(٨) التوقيف على مهمات التعريف، باب الميم، فصل السين، ص٦٥٣.

وعودًا على بَدءٍ فإننا نؤكد نجاعة ما طالبت به المنظمات الدولية، وما تنادي به من تقوية الكفاءة المالية للنظام الدولي للعمل الإنساني، بتحسين الصلات بين شركاء العمل الإنساني والشركاء الإنمائيين، وأن يكون طويل الأمد، وسريع الاستجابة المبكرة، ويحقق مكاسب ذات فعالية وكفاءة في العمليات الإنسانية، وأن تُقدَّم الإسهامات المالية إلى وكالات المعونة التي تتمتع بسمعة جيدة؛ لتكون بمثابة الشكل الأكثر قيمة وفعالية للاستجابة لحالات الطوارئ الإنسانية، وهو ما يتوافق تمامًا مع ما ذكرناه من ميزات وخصائص العمل الاجتماعي الإسلامي من وجهة النظر الشرعية، والتي أكدت على الشفافية وأداء الأمانات لأهلها، ووجوب الاجتهاد في الأخذ بكل ما يحقق الخير، ويشمل كافة الناس، وكذلك أكدت على العدالة في الحقوق والواجبات دون تفريق على أساس الدين، وكون العمل الاجتماعي قربة إلى الله تعالى، وعلى مضاعفة الأجر عند دعم من هم في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث، وكذلك التحذير من الغلول والخيانة والغش والخداع، إضافة إلى الشمولية العامة في الخير والرحمة والأخوة والتنوع في الأساليب والأدوات.

المبحث الثاني
دور النهوض بثقافة التطوع لتعزيز العمل الإسلامي المشترك

المطلب الأول : بيان أهمية الأعمال التطوعية ودورها الفعال في استقرار المجتمعات، وتضامنها وفي العمل الإسلامي المشترك

أولًا: تحديد المراد بثقافة التطوع، وما هي الأعمال التي تندرج ضمن الأعمال التطوعية؟

باتت أدبيات ثقافة العمل التطوع رائجة في عالم اليوم حول العالم بشكل راسخ، وأصبحت هذه الثقافة تحتل حيِّزًا كبيرًا من الدروس والرسائل العلمية والدورات، وكذلك التخصصات الدقيقة في الجامعات والمعاهد، إضافة إلى القطاعات الخدمية في الوزارات والمنظمات والمؤسسات، وقد نبعت ثقافة التطوع من أهمية مفهوم العمل الاجتماعي الإنساني الذي يشعر به الفرد، وهو ما قد تحدَّثنا حوله في القسم الأول من هذا البحث، فضلًا عما أودعها الله في نفوس البشر من قيم الخير والرحمة والمودة والأخوة والإنسانية، والتي بها يتراحمون ويتوادون.

ولقد أضحت البرامج التطوعية التي تتبناها الدول والمنظمات تعمل على ترسيخ قواعد وأسس الأعمال التطوعية، وتم الإقرار بالتطوع كعامل مهم في التنمية عام ٢٠٠١، وذلك باشتراك ١٢٦ دولة عضو في منظمة الأمم المتحدة، في نهاية السنة الدولية للمتطوعين، وهو ما مهّد لتوصيات سياسية عديدة للدول والحكومات ولهيئات الأمم المتحدة وللمنظمات غير الحكومية بشأن الطرق الكفيلة بالنهوض بالعمل التطوعي وتعزيزه.

جاء في تقرير الأمم المتحدة الصادر عام ٢٠١١، عن حالة التطوع في العالم: إن التطوع هو تعبير أساس للعلاقات الإنسانية، فهو يتعلق بحاجة الناس للمشاركة في مجتمعاتهم، ولأن يشعروا بأنهم مهمون بالنسبة للآخرين، وذلك اعتقادًا منا بأن العلاقات الاجتماعية المتأصلة في العمل التطوعي هو أمر بالغ الأهمية؛ لرفاهية الأفراد والمجتمعات المحلية. وإن روح التطوع متشرِّبة بقيم عديدة، بما فيها التضامن والثقة المتبادلة والتقدير، وحسن الانتماء والتمكين، وجميعها تساهم مساهمة عظيمة في نوعية الحياة. وقد أشار قرار الأمم المتحدة إلى أنّ عدم إدراج التطوع في رسم السياسات الوطنية قد يؤدي إلى تجاهل مورد القيم، وإلى تقويض تقاليد التعاون والتآزر والتكافل التي تُؤلف بين المجتمعات المحلية. كما أشار

التقرير إلى أنه لا يوجد نموذج عالمي موحّد يعتبر هو الأمثل والأفضل للتنفيذ، ذلك أن ما ينجح في بلد ما، قد يفشل في بلد آخر تتباين فيه كثير من الثقافات والعادات والتقاليد[١].

ثانيًا: الحضور المكين والمتميز لثقافة التطوع في الواقع العملي للمسلمين وفي أدبياتهم:

وما قد يثار من قِبَل بعض المثقفين من خارج العالم الإسلامي، بأن هناك غياب نسبي لثقافة التطوع في المجتمعات العربية والإسلامية مقارنة مع غيرها من الدول والمجتمعات، ويستغربون بأن تلك الدول والمجتمعات غير العربية والإسلامية ترتكز عادة على دوافع إنسانية واجتماعية فحسب، وهي تمارس العمل التطوعي والخيري عمومًا، بينما الدول العربية والإسلامية فإنها تستند إلى القيم الاجتماعية والعادات القبلية والإرث الحضاري، بالإضافة إلى الدوافع الدينية.

فالجواب عليه: بأن ثقافة التطوع لها حضور مكين ومتميز وأصيل لدى المسلمين، وفي أدبيّاتنا الإسلامية، ودليل ذلك: أن الأدوات التي ذكرناها في أدوات التمويل الاجتماعي الإسلامي، فإن بعضها هي أعمال تطوعية، وهناك أعمال عظيمة أخرى، وأبواب علمية جليلة مدونة في الفقه الإسلامي، مثل: التكافل الاجتماعي بين المسلمين، والكفالة، والوكالة، واللقطة، وغير ذلك، من أبواب الخير، مثل: رعاية الوالدين المسنين، ورعاية ذوي القربي المسنين، وإكرام الضيف، وأداء حقوق الجار، وإيتاء ذي القربى، وزيارة المرضى، وتشييع الجنائز، والنجدة والمروءة[٢]، والتكافل[٣]، وإغاثة الملهوفين[٤]، ونصرة

---

(١) ينظر: تقرير حالة التطوع في العالم، ٢٠١١م، قيم عالمية من أجل الرفاه العالمي، برنامج الأمم المتحدة للمتطوعين، إلهام وإنجاز، (إصدار: مكتب المنسقة التنفيذية، برنامج الأمم المتحدة للمتطوعين، إدارة برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP)، يمكن الحصول على هذا التقرير من خلال الرابط: https://msky.ws/wp-content/uploads/2018/079-2011.pdf/

(٢) النجدة والمروءة اعتبرهما الإسلام صفتين محمودتين، فأنزل آيات كريمات في الثناء على موسى عليه السلام حينما فرّ هاربًا من بطش الظالمين، وقد أصابه الإعياء، ففي الآيات الكريمة أنه لما عرف حاجتهما لم ينتظر منهما طلبًا، بل تقدم بنفسه وسقى لهما: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ۝ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ [القصص: ٢٣، ٢٤].

(٣) يعتبر التكافل من وسائل أمان المجتمعات وسر استقرارها، قال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]، وقال سبحانه: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣]. وروى ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ لما بعث معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن، قال له: «ادعُهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلِمْهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وتُرَدُّ على فقرائهم». [أخرجه البخاري في صحيحه، باب: بعث أبي موسى ومعاذ على اليمن قبل حجة الوداع، برقم: ٤٣٤٧، ج ٥ ص ١٦٢].

(٤) إغاثة الملهوف خلق إنساني، وواجب على المسلم عليه أن يبذله للجميع، وقد أثنى ﷺ على شهامة رجال عاشوا في الجاهلية لإغاثتهم للملهوف ومساعدتهم للمحتاجين، مثل حاتم الطائي، كما أنه ﷺ أثنى على حِلف الفضول الذي عُقد في الجاهلية الذي تميز بنصرة المظلومين، ومساعدة الضعفاء.

المظلومين، ومساعدة الضعفاء، وبناء المساجد والجوامع بمرافقها المتعددة، والمكتبات، والمقابر، وتشييد الأوقاف والأربطة ودور العجزة، وإقامة المبرات والتكايا الخيرية، وتسبيل برادات الماء، وحفر الآبار الخيرية، و مغاسل الموتى والأكفان الخيرية، وغيرها من أعمال البر، فإنها كلها أعمال تطوعية مرغب فيها شرعًا، وتدخل في مجال التطوع وخدمة المجتمع، وفي التاريخ الإسلامي قصص لأعمال تطوعية رائعة ضربها المسلمون في مجتمعاتهم وبلدانهم، وعاش فيها المسلمون وغير المسلمين(١).

والفرق بيننا وبين غيرنا هو في الظاهر فقط، ذلك إضافة إلى أننا يغلب علينا الطابع الفردي في أعمالنا، فإن الأعمال التطوعية هي أعمال دينية يُتقرَّب بها إلى الله سبحانه، وتدخل في مرتبة الواجبات والمندوبات، والكثير منا يؤديها في ستر وخفاء، ودون إظهار وإعلام؛ خشية الرياء والسمعة، إضافة إلى هذا فإن في هذا سترًا أيضًا على المستفيد، ولذلك فإن كثيرًا من التبرعات الخيرية لدينا تذهب للمستفيدين من غير المرور بالمؤسسات إلا في حالات قليلة؛ ولذلك فإن أرقام كثير من هذه الأموال والأعمال لا تظهر في الإحصائيات والأرقام التي تصدر من الجهات المعينة بالإحصاء.

في حين أن أكثر الأعمال لدى الآخرين منظمة ومسجلة في منظمات ومؤسسات ونقابات وجمعيات، سواء أكان العمل اجتماعيًّا، أو إنسانيًّا أو اقتصاديًّا أو سياسيًّا أو غير ذلك، والأعمال التطوعية خاضعة لما يخضع لها غيرها، هذا فضلًا عن أن تسجيل التبرعات المالية الخيرية والأعمال التطوعية يعود عليهم بعوائد منها: إعفاءات واستردادات ضريبية، أو أولويات وامتيازات سياسية واجتماعية وإدارية ومالية، قد تكون شخصية أو عائلية، وهو ما يشجع المجتمع على العمل التطوعي والاجتماعي الإنساني ضمن عمل مؤسسي مع إشهاره وتسجيله وإعلانه؛ لذا فإن الأموال المتبرع بها، والأعمال التطوعية المنجزة تظهر هناك بأرقام كبيرة في الإحصائيات التي تصدر من الجهات المعينة.

---

(١) «إن ضمان الحياة الكريمة لكل إنسان في المجتمع -مهما كان معتقده- مبدأ أصيل من مبادئ هذا الدين العظيم، ولمّا أبصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه شيخًا، قال: ما لك؟ فقال: ليس لي مال وأنا تُؤخَذُ مني الجزية. قال: وهو شيخ كبير. فقال عمر: «ما أنصفناك إن أكلنا شبيبتك، ثم نأخذ منك الجزية، ثم كتب إلى عماله ألا يأخذوا الجزية من شيخ كبير، ثم أجرى عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه». وقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله على البصرة قائلًا: «وانظُر من قبلك من أهل الذمة من كبرت سِنُّه وضعُفت قوَّتُه، وولَّت عنه المكاسب، فأجرِ عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه»». [هذا نص الفقرة السادسة والعشرين من قرار المجمع قرار رقم: **٢٢٩(١٣/ ٢٣)** بشأن إعلان التعايش الكريم في ظل الإسلام، الصادر خلال الدورة الثالثة والعشرين بالمدينة المنورة، خلال الفترة من **١٩- ٢٣** صفر **١٤٤٠**هـ الموافق **٢٨** أكتوبر - **١** نوفمبر **٢٠١٨**م، وقصة عمر رضي الله عنه، ذكر القرار بأن رجع فيها إلى: ابن زنجويه في كتاب الأموال، باب اجتباء الجزية والخراج وما يُؤمَر به من الرفق بأهلها وينهى عنه من العنف، رقم: **١٧٩**، ج١، ص١٦٩].

ثالثًا: مكانة العمل التطوعي في الإسلام، وحكمه الشرعي:

العمل التطوعي في الإسلام عمل ديني مؤصَّلٌ عقائديًّا، كما سبق ذكره في العمل الاجتماعي الإسلامي، وهو منهج رباني، ووسيلة من وسائل تزكية النفوس والأعمال والأموال، قال الله عز وجل في سورة البقرة: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]، وفي السورة نفسها أعاد سبحانه القول حول التطوع، وهو ما يدل على مزيد تأكيد لأهميته، فقال: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ [البقرة: ١٨٤]. وقد حث الإسلام على التعاون على البر والتقوى، وهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، ونهى عن التعاون على الإثم والعدوان، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢]، وقال جل جلاله: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ولا يقتصر عمل الخير في الإسلام على إنفاق المال وحده، بل إنه مقرون بالفلاح، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

والمؤمنون مأمورون بالتنافس في فعل الخير الذي يترتب عليه الفوز الكبير والفلاح العظيم في الآخرة، قال الباري جل شأنه: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨].

أما سنة نبينا العظيم ﷺ فهي حافلة بما لا يُحصى من الحوادث والوقائع والأقوال والأدلة التي تحض على فعل الخير في كل نواحي الحياة، وترتيب الأجر العظيم لفاعليه، وقد كانت أفعاله ﷺ ترجمة للقرآن الكريم، كما ذكرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من وصفه بأنه ﷺ: «كان خُلُقه القرآن»، وكما ذكرت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها بأنه ﷺ: «كان يصِلُ الرحِم، ويحمِل الكَلّ، ويُكسِب المَعدوم، ويُقرِي الضيف، ويُعين على نوائب الحق»(١)، وهذا على المستوى الشخصي للرسول الأعظم.

ولقد انعكس هذا الاهتمام سلوكًا وعملًا على أصحابه رضوان الله عليهم، وخاصة الخلفاء الراشدين منهم، وعلى التابعين رحمهم الله من بعدهم، حتى إن ما روي عنهم في العطاء والبذل، سواء بالمال أو الجهد أو الفكر أكثر من أن يحصى أو يُعَد، والمصادر والمراجع مليئة بالروايات والحوادث التطوعية.

(١) ينظر الحديث في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم ١٦٠.

وهذا ما يؤكد بأن العمل التطوعي يعتبر واجبًا دينيًّا، وهو من فروض الكفاية، فعند دعاء الحاجة والضرورة إذا قام البعض بسد النقص وأداء الحاجة تجاه المستحقين سقط عن الآخرين، ولكن إذا لم يقم به أحد أثموا جميعًا.

ويعتبر العمل التطوعي من أهم أعمال الخير التي يحض عليها الدين الإسلامي وكذلك الأديان السماوية والثقافات الراقية والحضارات السامية المتمدنة، ورافدًا من روافد النهوض والتنمية والتطور بالمجتمعات، بما يتضمنه من مبادرات وأساليب سلوكية مترجمة لمعاني الإيثار والمودة والرحمة والأخوة وبذل الخير والعطف والحنان، لسد حاجة الأفراد وبناء المجتمع وتلاحم وحداته، إضافة إلى تكامل العمل التطوعي مع التنمية المتمثل في الاهتمام بحقوق الإنسان والبيئة والتكافل الاجتماعي ودعم العمل الاجتماعي الإنساني، وخاصة في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث، وفي المجالات الصحية المختلفة ذات الأولوية الصحية والعلاجية، وبالأخص في مجال التحصينات واللقاحات ومكافحة الأوبئة والأمراض، فكل ذلك يتطلب مزيدًا من العمل الإسلامي الجاد، والتضامن المشترك للتخفيف من آثارها، سواء على المستوى المحلي أو المستوى الإسلامي، وخاصة على مستوى الدول الإسلامية التي تجمعها منظمة التعاون الإسلامي، ومنظماتها المتفرعة والمتخصصة، وأيضًا ينبغي أن يمتد الترابط إلى المسلمين في المجتمعات المسلمة حول العالم، ويمد المسلمون يد العطف والحنان والتكافل والرعاية والمساعدة والمؤازرة إلى إخوانهم، ويكون العمل إسلاميًّا مشتركًا بالمال وبالعمل.

رابعًا: ميزات العمل التطوعي وخصائصه في الإسلام:

إن ما ذكرناه سابقًا ـ في الفصل الأول ـ من خصائص وميزات يتسم بها العمل الاجتماعي الإسلامي من وجهة النظر الشرعية، والتي من جملتها: كونه مؤصل عقائديًّا، ويتعدى دائرة الأخوة الإسلامية إلى دائرة الأخوة الإنسانية، والإحسان إلى الكافة، والعدالة في الحقوق والواجبات، ودون تفريق على أساس ديني، وكون هذا العمل قربة إلى الله تعالى وسببًا لمضاعفة الأجر عند دعم ذوي الحاجة في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث، ووجوب الاجتهاد في سلوك أسباب الخير، وتجنب الشر، وأداء الأمانات لأهلها والشفافية والحذر من الغلول والخيانة والغش والخداع، والإخلاص لله عز وجل، فهي كلها يصدق عليها بأنها خصائص وميزات العمل التطوعي في الإسلام أيضًا، ونكتفي بما ذكرناه هناك.

المطلب الثاني: تعزيز العمل التطوعي للقيم الاجتماعية وللتكافل الاجتماعي والتلاحم والتآزر بين أفراد المجتمع، وحله لكثير من المشكلات والأزمات المجتمعية والاقتصادية وغيرها:

للعمل التطوعي فوائد لا حصر لها، تعود إلى المتطوع وإلى المجتمع، وفيما يلي ذكر لأهمها:

تعزيز القيم الإنسانية الاجتماعية، وتقوية الشعور بالانتماء إلى المجتمع والوطن:

١ـ يعزز العمل التطوعي القيم الاجتماعية في غالب الأحيان، فالمتطوع عندما يتفاعل مع برامج ونشاطات من يتطوع من أجلهم، ويتلمس احتياجاتهم المتنوعة عن قرب، فإن ذلك يولد لدى المستفيدين شعورًا قويًّا بأنهم موضع رعاية وعناية من قبل أفراد مجتمعهم ووطنهم، وفي نفس المتطوع السعادة والفرح والمودة، وهو ما يقوّي الإحساس بالثقة المتبادلة لدى الطرفين، ويؤدي إلى زيادة تمسك المجتمع بالقيم الإيجابية والأخلاقيات والمبادئ السامية، وخاصة مبادئ العدل والحرية والكرامة والعطف والأخوة والرحمة، وإلى تقوية اللحمة المجتمعية والوطنية، وإلى تعزيز معاني التآزر والوحدة والأخوة في المجتمعات والأوطان، والتي لها أثر عظيم على الجميع، فهي تؤسس لنشر السلام والوئام بين أفراد المجتمع، وتنبذ الشر والظلم والحقد والكراهية عنهم، وتدفع للمزيد من المشاركة في الأعمال التطوعية. كما أن هذا التفاعل الإيجابي بين طرفي العمل التطوعي يقضي على أسباب ظهور الصراعات الطبقية في المجتمعات قبل نشوئها، كما ينتج عنه تعزيز الشعور بالانتماء لدى جميع أفراد المجتمع والوطن.

٢ـ بناء القدرات القيادية والإدارية:

يتيح العمل التطوعي الفرصة لبناء القدرات القيادية والإدارية للمتطوعين وللمستفيدين منها في وقت واحد، وإذا نظرنا إلى السيرة النبوية المطهَّرة، نجد أن الرسول ﷺ، قد استطاع خلال ثلاثة وعشرين عامًا فقط من قيامه بمهامه في النبوة والرسالة والقيادة، وهي أعمال تطوعية، تحويل الرجال الذين كانوا حوله إلى قادة جهابذة وشخصيات عظيمة، شخصيات مؤهلة على أعلى درجات التأهيل القيادي والإداري المنضبط، والملتزمة بالرسالة التي جاء بها على أفضل الأوجه، ودليل ذلك هو أنهم قد استطاعوا السيطرة على أكثر بقاع الدنيا في غضون سنوات عديدة، وهو ما يعتبر من المعجزات في سِجِل تاريخ الأمم؛ لهذا فإن العمل التطوعي من أهم ثمراته، هو بناء القدرات القيادية والإدارية الحقيقية التي قد لا تُتاح بسهولة في أي مجال آخر، حيث إن الحصول عليها من خلال الدراسة في الجامعات والمعاهد قد ينقصها التدريب العملي والميداني.

٣ـ تعزيز المهارات الاجتماعية والتجارية والصناعية والتعليمية، وهو فرصة لحل المشكلات والأزمات الاقتصادية والمجتمعية، وللدعوة إلى الله عز وجل، وتعليم الناس الخير:

يمنح العمل التطوعي أفراد المجتمع فرصة التحدث إلى أشخاص جدد، من خلال قضاء الكثير من الوقت في العمل التطوعي مع الآخرين واستخدام المهارات المتنوعة، من اجتماعية وتجارية وصناعية وتعليمية، وصقلها، مثل الاستماع النشط، وإدارة العلاقات، وتطوير العلاقات الشخصية والتجارية والصناعية والعلمية وتنميتها. ويمنح أيضًا فرصة لحل المشكلات والأزمات الاقتصادية والمجتمعية، من خلال مناقشتها مع الناس، وعرضها عليهم، والاستماع إلى الناس في الميدان، ومشاركة الآراء في الواقع العملي، ومن خلال ذلك تُتاح أيضًا الفرصة للدعوة إلى الله عز وجل، وتعليم الناس كل أنواع الخير أيضًا، كما قال تعالى عن الحج: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ۞ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٧، ٢٨]، وقد ذكر العلماء بأنها منافع دنيوية وأخروية، وسِيَر الصحابة والتاريخ الإسلامي حافلة بنماذج نيرة يمكن الاستعانة والاستفادة منها في هذا المجال.

٤ـ الوصول إلى الهدف المنشود والإحساس به:

يساعد العمل التطوعي في العثور على الهدف الذي يود المتطوع أن يصل إليه في حياته، وأن يصبح جزءًا من شيء أكبر مما كان عليه. فإذا كان شخصًا متقاعدًا أو عاطلًا عن العمل، فإن مساعدة الآخرين يمكن أن تضفي على حياته معنى جديدًا ويحفزه معنويًّا ونفسيًّا وعقليًّا، وهو في الوقت نفسه يساعد المستفيدين في الوصول إلى أهدافهم التي ينشدونها، ويخرجون من دائرة البقاء ضمن المستفيدين.

٥ـ بعث الراحة والطمأنينة في النفوس والتفاؤل والاستبشار بالمستقبل وحسن الظن بالله، والبعد عن اليأس:

يبعث العمل التطوعي في النفوس الطمأنينة والشعور بالثقة، بدءًا بالمتطوع وانتهاء بالمستفيد، وسواء كان ماديًّا أو بجزء من وقت المتطوِّع أو بدنيًّا أو فكريًّا، وذلك عن طريق نقل الخبرات أو التدريب، هذا وإن العمل التطوعي يورث الفرحة في نفس المتطوع، ويبعث بالثقة والبهجة بين المستفيدين، ويزرع فيهم حسن الظن بالله عز وجل، وينشر التفاؤل والاستبشار في المستقبل، والذي سيلوح أكثر اطمئنانًا وتفاؤلًا، وينجيهم من اليأس المذموم في الإسلام.

٦ـ التحسين في احترام الذات، ورجاء القبول عند الله:

يمكن للعمل التطوعي أن يساعد في احترام المتطوع لذاته وثقته في نفسه، وذلك بحصول البركة في الوقت والمال والعيال، فعندما يفعل الإنسان شيئًا للآخرين يستحق العناء وله قيمة لدى المجتمع، فإنه يمنحه الإحساس بالإنجاز الذي قد يساعده على الشعور بمزيد من الرضا عن نفسه، وعن عمله الصالح الذي يرجو قبوله عند الله عز وجل[١].

المطلب الثالث : اقتراحات لتعزيز وترسيخ ثقافة العمل التطوعي في نفوس الناشئة والشباب من خلال المناهج المدرسية ووسائل الإعلام المختلفة:

من خلال ما سبق لنا ذكره في المطلبين السابقين، يمكن لنا أن نقترح ما يلي من اقتراحات لتعزيز وترسيخ ثقافة العمل التطوعي في نفوس الناشئة والشباب من خلال المناهج المدرسية ووسائل الإعلام المختلفة:

١ـ إدخال المواد العلمية لثقافة التطوع في المناهج الدراسية للجنسين في مختلف المستويات المدرسية والجامعية، مع إشراك الطلبة في الأعمال التطوعية على مستوى المدرسة والمسجد والحي والمدينة والولاية والدولة، وكذلك على مستوى القارات، مع إدراج العمل التطوعي ضمن متطلبات التخرج من المدارس والجامعات.

٢ـ تكوين مركز علمي متخصص تحت رعاية منظمة التعاون الإسلامي؛ لإصدار البحوث والدراسات في العمل التطوعي يضم بالإضافة إلى المتخصصين في هذا الشأن علماء الشريعة والقانون وعلم النفس وعلم الاجتماع والعلوم والفنون ذات العلاقة.

---

(١) للاطلاع على المزيد من فوائد العمل التطوعي بشكل عام، ينظر:

Volunteering and its Surprising Benefits. By: Jeanne Segal, Ph.D. and Lawrence Robinson.

وذلك على الرابط: https://www.helpguide.org/articles/healthy-living/volunteering-and-its-surprising-benefits.htm.

وأيضًا:

Why Volunteer? 7 Benefits of Volunteering that Will Inspire You to Take Action. By: Alma Rominger.

وذلك على الرابط: https://growensemble.com/why-volunteer/

وأيضًا:

Benefits of Volunteering: 10 Reasons to Volunteer.

By: Stacey Buttel and Amber Krosel.

وذلك على الرابط: https://www.indeed.com/career-advice/career-development/what-are-benefits-of-volunteering

٣ـ تأسيس جامعة خاصة للعلوم التطوعية، تحت رعاية منظمة التعاون الإسلامي لتدريس هذا العلم مع إبراز الدور الريادي للإسلام وللأمة الإسلامية في الأعمال التطوعية.

٤ـ الطلب من علماء الشرع وخطباء المساجد وأساتذة الجامعات والمعلمين والقيادات الفكرية حث المجتمع ـ رجالًا ونساء ـ على الانخراط في الأعمال التطوعية المُنظَّمة بمختلف أنواعها وأساليبها.

٥ـ التوعية الإيجابية للاستجابة للعمل التطوعي من خلال وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة والاجتماعية.

٦ـ تشجيع كُتّاب السيناريو لوسائل الإعلام والروائيين وكتاب قصص الأطفال للتركيز على العمل التطوعي، واعتباره عنصرًا مُهِمًّا في منتجاتهم الإعلامية والتثقيفية، وبخاصة ما يتعلق منها بالأطفال والشباب، مع الاستفادة من الجوانب المشرقة للأعمال التطوعية في التاريخ الإسلامي.

٧ـ إشراك القيادات العاملة في الأعمال التطوعية، وتقديمهم قدوات ورواداً في المناسبات الوطنية والدينية والمهرجانات، وتكريمهم بالجوائز والدروع، ومنحهم الألقاب التشريفة المناسبة.

٨ـ الاستفادة من الخبرات العاملة في مجال الأعمال التطوعية، فأصحاب هذه الخبرات هم الأعرف بالتقاليد والأعراف السائدة في الميدان والواقع، ولئلا تضيع الجهود والتجارب الحديثة من غير فوائد حقيقية.

ـ تفعيل العمل المؤسسي في مختلف جوانب الحياة، ومنها في الأعمال التطوعية، وتطويرها، والاستفادة مما قدمتها الدول من برامج وخطط تنموية في مجال الأعمال التطوعية.

الخاتمة

في هذا الموضوع الذي طُلِب مني الكتابة فيه، فإنني في ورقتي هذه ـ ذات المحاور المحددة المطلوبة ـ لا أدّعي أنني أتيت بجديد، ومعظم ما ذكرته فهو مستقى من كلام العلماء والفقهاء، ومن كلام أهل الخبرة والدراية، والمسؤولين التنفيذيين الذي تبلور في العديد من الأبحاث والدراسات والمنشورات والكلمات مع إعمال الفكر والجهد في تحسينه وتجويده، ومع إدراكي بأن ما سأسجله في هذه الخاتمة لا يخرج عن كونه مجرَّد تذكير بما هو معروف لدى علماء المجمع وفقهائه في كثير من جوانبه، ولن ألخص هنا ما تناولته، فهي ورقة علمية، لكني أشير إلى أهم الرسائل التي أوَدُّ أن أضعها أمام مجلس المجمع الموقر،

وذلك من خلال مشروع القرار الآتي:

١ـ إن العمل الاجتماعي الإنساني عمل ديني مؤصَّل عقائديًّا، ومفهومه يتعدى دائرة الأخوة الإسلامية إلى دائرة الأخوة الإنسانية، وقد دعا الإسلام إلى العدالة في الحقوق والواجبات بين الجميع، ودون تفريق على أساس ديني، ويعتبر العمل الاجتماعي الإنساني من القربات، ويتضاعف عند دعمه في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث.

٢ـ يجب عند ممارسة العمل الاجتماعي الإسلامي والتطوعي سلوك أسباب الخير، وتجنب سبل الشر، وأداء الأمانات لأهلها والتزام الشفافية، والحذر من الغلول والخيانة والغش والخداع.

٣ـ يعرف التمويل الاجتماعي الإسلامي بأنه: تقديم الشخص ما يملكه، على سبيل الإلزام أو التبرع أو المشاركة أو الاسترباح لمن يستفيد منه، أو يتصرف فيه، أو يديره؛ وفقًا لما تجيزه الأحكام الشرعية ومن خلال عمل مؤسسي مجاز.

٤ـ أدوات التمويل الاجتماعي الإسلامي، منها أدوات إلزامية، مثل زكاة الأموال وزكاة الفطر، وزكاة الثمار والزروع والأنعام وعروض التجارة وزكاة المعادن، ومنها: أدوات غير إلزامية وهي قائمة على التبرع والارتفاق، مثل: القرض والعارية وصدقة التطوع، والوقف، والوصايا، والرُّقْبى والعُمرى، ومنها: أدوات استثمارية، مثل: المرابحة، والمشاركة، والمضاربة، والتورق، والسلم، والاستصناع والإجارة، والجعالة، والمزارعة والمساقاة، وهي كلها أدوات مهمة، ينبغي تشجيع الأفراد والبنوك التجارية والمصارف المملوكة والمؤسسات الخيرية والحكومية على استخدامها.

٥ـ يجوز استخدام أدوات التمويل الاجتماعي الإسلامي الإلزامية، وغير الإلزامية في دعم العمل الإنساني لإغاثة المنكوبين أثناء الكوارث والمتضررين إبان الأوبئة والنازحين خلال النزاعات، سواء كان المستفيدون مسلمين أم غير مسلمين، وسواء كانت لجمعيات مشرفة تابعة لدولة إسلامية أو لدولة توجد خارج العالم الإسلامي.

٦ـ آليات التمويل الاجتماعي الإسلامي الاستثمارية، مثل: المرابحة والمشاركة والمضاربة والتورق والسلم والاستصناع والإجارة والجعالة والمزارعة والمساقاة وغيرها من المعاملات المالية الحديثة كالمشتقات المالية والصكوك الإسلامية، فينبغي الاستفادة من هذه الآليات، وتشجيع المجتمع كافة على استخدامها، وذلك بحثّ البنوك التجارية والمصارف المملوكة للمؤسسات الخيرية والحكومية والمصارف التجارية، وكذلك الأفراد على ذلك. وينبغي أن تعطى الأولوية لدعم المؤسسات العاملة في مجال العمل الإنساني في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث، وكذلك الأفراد ذوي العلاقة بهذا الشأن؛ ليكون في ذلك عون لهذه الفئة بشكل أكثر فاعلية.

٧ـ يساعد التمويل الاجتماعي الإسلامي على التقليل من الفقر والمجاعة والبطالة في المجتمعات، وعلى التوجه لمصرفة خالية من الفوائد الربوية، ويساعد على النمو المستدام، حيث إن الفوائد الربوية تسحب نسبًا ضخمة من الأموال، تكون المجتمعات الفقيرة بأشد الحاجة إليها، وتسبب عبئًا ثقيلًا عليها.

والتوصيات هي:

١ـ يدعو المجمع إلى تقوية الكفاءة المالية لنظام العمل الإنساني بغية تعزيز العمل الإسلامي المشترك، وذلك بتحسين الصلات بين الشركاء، وأن يكون طويل الأمد، وسريع الاستجابة المبكرة، ويحقق مكاسب ذات فعالية وكفاءة في العمليات الإنسانية، مع التأكيد على الشفافية وأداء الأمانات لأهلها ووجوب الاجتهاد في الأخذ بكل ما فيه الخير ويشمل كافة الناس، والعدالة في الحقوق والواجبات دون تفريق على أساس الدين، وتقديم من هم في مناطق الصراعات والنزاعات والكوارث، إضافة إلى الشمولية العامة في الخير والرحمة والأخوة والتنوع في الأساليب والأدوات.

٢ـ ينبغي الاستفادة من الأهداف والغايات والرؤى وخطط الاستجابة التي تضعها المنظمات الدولية ومنظمة التعاون الإسلامي وأجهزته في مجال العمل الاجتماعي الإسلامي والتمويل الاجتماعي الإسلامي والعمل التطوعي، ويفضل في هذا المجال وضع اللوائح والنظم التي تعين على المشاركات التمويلية المجتمعية، وتضمن الحقوق المالية في حال دخول المصارف في متعلقة بالتمويل الاجتماعي الإسلامي، مع توفير دعم حكومي وقضائي لها.

٣ـ إدخال المواد العلمية لثقافة التطوع في المناهج الدراسية للجنسين في مختلف المستويات المدرسية والجامعية، مع إشراك الطلبة في الأعمال التطوعية على مستوى المدرسة والمسجد والحي والمدينة والولاية والدولة والقارات، مع إدراج العمل التطوعي ضمن متطلبات التخرج من المدارس والجامعات.

٤ـ تكوين مركز علمي متخصص تحت رعاية منظمة التعاون الإسلامي؛ لإصدار البحوث والدراسات في العمل التطوعي يضم بالإضافة إلى المتخصصين في هذا الشأن، علماء الشريعة والقانون وعلم النفس وعلم الاجتماع والعلوم والفنون ذات العلاقة.

٥ـ تأسيس جامعة خاصة للعلوم التطوعية، تحت رعاية منظمة التعاون الإسلامي لتدريس هذا العلم مع إبراز الدور الريادي للإسلام وللأمة الإسلامية في الأعمال التطوعية.

٦ـ الطلب من علماء الشرع وخطباء المساجد وأساتذة الجامعات والمعلمين والقيادات الفكرية لحث المجتمع، رجالًا ونساء على الانخراط في الأعمال التطوعية المنظمة بمختلف أنواعها وأساليبها.

٧ـ التوعية الإيجابية للاستجابة للعمل التطوعي من خلال وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة والاجتماعية.

٨ـ تشجيع كتاب السيناريو لوسائل الإعلام والروائيين وكُتّاب قصص الأطفال للتركيز على العمل التطوعي، واعتباره عنصرًا مهمًّا في منتجاتهم الإعلامية والتثقيفية، وبخاصة ما يتعلق منها بالأطفال والشباب، مع الاستفادة من الجوانب المشرقة للأعمال التطوعية في التاريخ الإسلامي.

٩ـ إشراك القيادات العاملة في الأعمال التطوعية، وتقديمهم قدوات ورواداً في المناسبات الوطنية والدينية والمهرجانات، وتكريمهم بالجوائز والدروع، ومنحهم الألقاب التشريفة المناسبة.

١٠ـ الاستفادة من الخبرات العاملة في مجال الأعمال التطوعية، فأصحاب هذه الخبرات هم الأعرف بالتقاليد والأعراف السائدة في الميدان والواقع، ولئلا تضيع الجهود والتجارب الحديثة من غير فوائد حقيقية.

١١ـ تفعيل العمل المؤسسي في مختلف جوانب الحياة، ومنها في الأعمال التطوعية، وتطويرها، والاستفادة مما قدمتها الدول من برامج وخطط تنموية في مجال الأعمال التطوعية.

١٢ـ استخدام التقنيات والأساليب الحديثة التي يحبذ الاستفادة منها في العمل الإنساني الاجتماعي، مثل: استخدام الإنترنت، وتطبيقات الأجهزة الذكية، ووسائل التواصل الاجتماعي في تقديم المساعدات المالية، وتوزيع وجبات الطعام، وفي خدمات النقل، والخدمات الصحية، والتدريس والتعليم والتدريب عن بعد. واستخدام البطاقات الإلكترونية؛ لتقديم المساعدات المالية. واستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي.

وبالله التوفيق.

فهرس المصادر والمراجع

ـ **٢٠ لمحة عامة عن العمل الإنساني العالمي ٢٠١٨**، نداء موحد لدعم الأشخاص المتضررين بالكوارث والنزاعات، وثيقة صادرة عن الأمم المتحدة. على الرابط: https://www.humanitarianresponse.info/sites/؛ www.humanitarianresponse.info/files/documents/files/gho_2018-22122017-ar_0.pdf

ـ **الاستفادة من العمرى والرقبى في المصارف الإسلامية وشركات التكافل والأوقاف (ملخص بحث)**، لعبد الله بن قاسم البزار، المنشور في مجلة إسرا الدولية للمالية الإسلامية، المجلد ٢، العدد ٣ (٣١ ديسمبر ٢٠١١م) على موقع: https:// emarefa.net/ar

ـ **إعداد خطة العمل الإنساني**، أنطوان جيرار، على رابط الأمم المتحدة: https://www.un.org/ar/chronicle/article/20183

ـ **إعلام الموقعين عن رب العالمين: لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية**، تقديم وتعليق وتخريج: مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٢٣ هـ).

ـ **أهمية العمل الانساني على المجتمع في اليوم العالمي للعمل الإنساني**، رنا الطوسي، مقال نُشِر بتاريخ ١٩ أغسطس ٢٠٢١م في موقع: https://www.sayidaty.net/node/1263631

ـ **تعريف العمل الإنساني**، ما هو العمل الإنساني؟ محمد سليمان، مقال على صفحة: https://wikiwic.com/

ـ **تقرير الأمين العام للأمم المتحدة إلى مؤتمر القمة العالمي للعمل الإنساني بعنوان «إنسانية واحدة: مسؤولية مشتركة». وذلك على الرابط**: https://www.un.org/ar/chronicle/article/20183

ـ **تقرير حالة التطوع في العالم، ٢٠١١م**، قيم عالمية من أجل الرفاه العالمي، برنامج الأمم المتحدة للمتطوعين، إلهام وإنجاز، (إصدار: مكتب المنسقة التنفيذية، برنامج الأمم المتحدة للمتطوعين، إدارة برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP)، على الرابط: https://msky.ws/wp-content/uploads/2018/079-2011.pdf/

ـ **تقرير سير العمل في صندوق التضامن الإسلامي للتنمية**، ومجموعة البنك الإسلامي للتنمية، يعرض على الدورة الثالثة والثلاثين لاجتماع الكومسيك (إسطنبول تركيا، ٢٠-٢٣ نوفمبر ٢٠١٧م)، منشور على الرابط: http://www.comcec.org/ar/wp-content/uploads/2017/11/33-IS-ISFD-A.pdf

ـ **تكملة المهذب**، لأبي إسحاق الشيرازي، تأليف: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، (لبنان: دار الكتب العلمية).

ـ **التمويل الإسلامي للمشروعات الصغيرة**، دراسة لأهم مصادر التمويل، إعداد: د. محمد عبد الحميد محمد فرحان، إشراف: أ. د. قاسم الحموري، (الأكاديمية العربية للعلوم المالية والمصرفية، كلية العلوم المصرفية، قسم المصارف الإسلامية، البحث رسالة ماجستير في المصارف الإسلامية، قدمت عام ٢٠٠٣م).

ـ **التوقيف على مهمات التعاريف**، محمد عبد الرؤوف المناوي، ط١، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١٠).

ـ **الجامع الصحيح**، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٤ه، ١٩٥٥م). وطبعة أخرى.

ـ **الجامع الصحيح**، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ط٢ تحقيق: جماعة من العلماء (مصر: المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، ١٣١١ هـ، تصوير: د. محمد زهير الناصر، عام ١٤٢٢هـ). وطبعة أخرى.

ـ **حاشية الدّسُوقِي على الشّرح الكبير للدردير**، محمد عرفة الدّسوقيّ (مصر: مطبعة دار إحياء الكتب العربية، تصوير: دار الفكر، بيروت).

ـ **حوكمة نظام الزكاة**، مصطفى أمين محمد علي، (لبنان: دار الكتب العلمية).

ـ **سياسات التمويل وأثرها على نجاح الشركات والمؤسسات المالية**، للدكتور محمد عبد الله شاهين، (القاهرة: دار حميثرا للنشر والترجمة، ٢٠١٧م).

ـ **العمل الخيري «دراسة تأصيلية تاريخية»**، د. محمد صالح جواد مهدي، مجلة سر من رأى، المجلد ٨، العدد ٣٠، السنة الثامنة، تموز ٢٠١٣م، ص٢١٨.

ـ **القاموس المحيط والقابوس الوسيط في جميع لغات العرب التي ذهبت شماطيط**، لمجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب الناشر، الطبعة الثانية، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧ه).

ـ **قرارات مجمع الفقه الإسلامي الدولي**.

ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م).

ـ **المجموع شرح المهذب**، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، ط١، (تكملة محمد نجيب المطيعي، بيروت: دار الفكر، ١٤١٧هـ).

ـ **المحلى بالآثار**، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، ط: بدون، التاريخ: بدون، (بيروت: دار الفكر).

ـ **المعجم الأوسط**، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني، تحقيق: أبي معاذ طارق بن عوض الله وأبي الفضل عبد المحسن الحسيني، (القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م).

ـ **المعجم الكبير**، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني، ط٢، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي (القاهرة: مكتبة ابن تيمية).

ـ **المُغني شرح مختصر الخرقي**، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي، تحقيق: طه الزيني ومحمود عبد الوهاب فايد، وعبد القادر عطا، ط١، (القاهرة: مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م).

ـ **مفهوم التمويل**، لطلحة الأنصاري، مقال بصحيفة الرياض، منشور بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى ١٤٣٨هـ الموافق ٢٢ فبراير ٢٠١٧م، ومنشور على الرابط: https://www.alriyadh.com/1572838

ـ **مقاصد الشريعة الإسلامية**، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، تحقيق: أ. د. محمد الحبيب ابن الخوجة، (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م).

ـ **ملحق الدين للحياة**، بصحيفة الخليج، بتاريخ ١٣ مايو ٢٠١١م. [https://www.alkhaleej.ae].

ـ **الموسوعة الفقهية الكويتية**.

ـ **موقع البنك الإسلامي للتنمية (IsDB): الرابط**: https://www.isdb.org/ar/news/altmwyl-alajtmay-alaslamy-ldm-jhwd-altafy-waadt-albna-bd-jayht-kwfyd-19

ـ **الموقع الرسمي لسماحة الشيخ الإمام ابن باز**. [https://binbaz.org.sa/fatwas/146789]

ـ **موقع بنك (C A F) على صفحة:** https://www.cafonline.org/caf-bank/secured-loans، وبخصوص القروض بلا فوائد فعلى صفحة: https://www.cafonline.org/caf-bank/secured-loans/charity-finance-guides/financ-ing-the-future

ـ **موقع صندوق التضامن الإسلامي بمنظمة التعاون الإسلامي:** http://www.isf-fsi.org/ar/?lang=ar

ـ **موقع مجمع الفقه الإسلامي الدولي على الرابط:** https://iifa-aifi.org/ar/11972.html

ـ **موقع منظمة التعاون الإسلامي على الرابط:** OIC/SUM-13/POA-Final.

ـ **الوقف ودوره في التنمية الاجتماعية،** الدكتور سليم هاني منصور، (بحث مقدم للمؤتمر الثاني للأوقاف «الصيغ التنموية والرؤى المستقبلية»، بالمملكة العربية السعودية، **١٤٢٧هـ**، الموافق **٢٠٠٦م**).

أخرى:

ـ Benefits of Volunteering: 10 Reasons to Volunteer. By: Stacey Buttel and Amber Krosel **وذلك على الرابط:** https://www.indeed.com/career-advice/career-development/what-are-benefits-of-volunteering

ـ https://ar.wikipedia.org/wiki

ـ https://www.humanitarianresponse.info/sites

ـ https://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=08042014&id=-07d57a56-2dba-41dd-98a8-a0485fc9d2a8&fb_comment_id=613750748695327_5116787

ـ Volunteering and its Surprising Benefits. By: Jeanne Segal, Ph.D. and Lawrence Robinson. وذلك على الرابط: https://www.helpguide.org/articles/healthy-living/volunteering-and-its-surprising-benefits.htm.

ـ Why Volunteer? 7 Benefits of Volunteering that Will Inspire You to Take Action. By: Alma Rominger. وذلك على الرابط: https://growensemble.com/why-volunteer/

ـ www.humanitarianresponse.info/files/documents/files/gho_2018-22122017-ar_0.pdf